الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي–الأغواط–

الميدان : العلوم الانسانية و الاجتماعية

شعبة : العلوم الانسانية

الموضوع

تطور فكرة الاستقلال في الجزائر وتونس 1907-1937م
"عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج" أنموذجاً

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في تاريخ

تخصص: التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالبتين :

- فاطمة شعيب
- فاطمة دجاج

إشراف الأستاذ:

كمال مايدي

السنة الجامعية:

1435-1436هـ 2014-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر

كلمة شكر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

« رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين»

(سورة النمل الآية 19)

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصَّالحات من الأعمال الحمد لله رب العالمين قيُّوم السَّموات والأرض مانح العبد نعمة العقل والتفكير، نحمده ونشكره على جميع نعمه ونسأله المزيد من فضل كرمه.

نشكر الله على إعانته وتوفيقه لنا في انجاز عملنا هذا المتواضع والذي نتمنى أن يكون في المستوى.نسأله المزيد والتوفيق الذي يسر لنا إنجاز هذا العمل و أعاننا عليه ووفقنا فيه .

ونتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف " مايدي كمال" الذي تحمل معنا مشقة هذا العمل .

وإلى أساتذة قسم التاريخ الذين كانوا نعم الأساتذة طوال مدة الدراسة و أتمنى لهم المزيد من العطاء والتقدم.

كما لا ننسى كل من شجعنا، ولو بكلمة أو ابتسامة، وخاصة بالدعاء إلى كل هؤلاء كلمة شكر وعرفان على تعاونهم معنا.

شعيب - دجاج

الإهداء

إهداء

أحمد الله الكريم الذي بلغني هذا المآل ...فالحمد لله.

أهدي هذا العمل المتواضع

إلى كل شهداء الجزائر

إلى الأيادي الحانية العطوفة...إلى العيون الساهرة الوديعة

إلى القلوب الدافئة المعطاءة ...إلى النفوس المبهجة التي أعطت

فما بخلت... وتعبت فما كلّت... وتفانت فما تقاعست...

إلى والديّ أنبل وأغلي وأعظم...هبة لي في الوجود...

إليك أمي... سليلة روحي وبلسم فؤادي...

إليك أبي... مهجتي واعتزازي ...

إلى كل من يحمل لقب شعيب وكل من يعرفني

إلى صديقتي خير بن عشو

إلى صديقتي التي تحملت معي عناء هذا العمل فاطمة جاج

فاطمة ش

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أمي التي قدمت لي الدعم طيلة مسيرتي الدراسية

إلى أبي وإلى كل العائلة

وإلى فاطمة شعيب التي تحملت معي عناء وتعب هذا العمل

وإلى نور الهدى ورنوغي

فاطمة د

قائمة المختصرات

1- المختصرات بالعربية:

تر	ترجمة
تح	تحقيق
تع	تعريب
(د ت)	بدون تاريخ
(د م ن)	دون مكان النشر
ص	الصفحة واحدة
ص ص	صفحات متتالية
ط	طبعة
ج	الجزء
مج	مجلد
الح ع I	الحرب العالمية الأولى
الح ع II	الحرب العالمية الثانية

2- المختصرات بالأجنبية:

P	Page
PP	Page Contune
S.D	Sant date

مقدمة

خضعت الجزائر وتونس للسيطرة الاستعمارية الفرنسية حيث احتلت الجزائر احتلالا عسكريا سنة 1830م وبموجب معاهدة الاستسلام التي أمضاها الداي حسين مع الجنرال دوبرمون في 5جويلية1830م قضي على الدولة الجزائرية ،و بناءا على تقرير اللجنة الإفريقية أصدرت السلطات الفرنسية مرسوما ينص على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وذلك في جويلية1834م وبالمقابل تعرضت ممتلكات الجزائريين للنهب والسلب وحوربت المقومات الشخصية الجزائرية وألغيت حقوق الجزائريين السياسية والمدنية وخضعوا لأعتى القوانين التعسفية وتجسد ذلك في قانون الأهالي الذي كان يهدف للقضاء على الذات الجزائرية.

بينما خضعت الجزائر للسيطرة المباشرة فإن فرنسا سيطرت على تونس بما يعرف بنظام الحماية سنة 1881م حيث أرغمت باي تونس على إمضاء اتفاقية الحماية أو ما يعرف بمعاهدة باردو في12ماي 1881م وبذلك أصبحت تونس محمية فرنسية ورغم أن نظام الحماية هذا لم يقضي على دور المؤسسات المحلية في البلاد إلا أن فرنسا عملت على القضاء على سلطة الباي من خلال زيادة نفوذ المقيم العام الفرنسي وانتهى الأمر بها إلى تجريد الباي من كل صلاحياته وأصبحت السلطة في يد المقيم العام.

قام الاستعمار الفرنسي في البلدين على استهداف الإنسان في كيانه وممتلكاته فكانت الهجمة الاستعمارية قائمة على الظلم والاستبداد والنهب والتفقير والتجهيل وذلك لتكريس السياسة الاستيطانية في البلدين وبالمقابل لم يقف الشعب الجزائري ولا التونسي مكتوفي الأيدي بل أنهما قادا مقاومة مسلحة ضد الاحتلال الفرنسي وخاضا مقاومة عنيفة لاهوادة فيها شملت كل أنحاء القطرين استمرت إلى غاية القرن العشرين(الجزائر1830-1920م،تونس 1881-1917م). إن فشل المقاومة المسلحة في كلا البلدين كان سببا في ظهور أسلوب جديد لمواجهة الاحتلال وهو ما يعرف بالمقاومة السياسية التي كانت رد فعل على السياسة الاستعمارية.

أسباب اختيار الموضوع:

قادتنا رغبتنا في دراسة الحركة الوطنية المغاربية عموما خاصة الحركات الاستقلالية منها إلى تتبع تطور فكرة الاستقلال في الجزائر وتونس من خلال نضال مصالي الحاج و عبد العزيز الثعالبي باعتبارهما حملا لواء هذه الفكرة. التعمق في دور الرجلين النضالي خاصة وإنها اشتركا في بعض الأفكار مثل مناهضة الاحتلال ورغبتهما في استعادة استقلال بلديهما لذلك كان نضالهما جريئا وشجاعا رغم ما عناه كل منهما من سجن ونفي في سبيل مبادئهما إضافة إلى دعوتهما إلى الوحدة العربية الإسلامية.

إضافة إلى اقتراحات وتوجيهات الأستاذ المشرف التي شجعتنا على دراسة هذا الموضوع بالتحديد حيث فكرنا في دراسة فكرة الاستقلال في بلاد المغرب عموما ولكن الأستاذ اقترح علينا دراسة هذه الفكرة في الجزائر وتونس من خلال نضال الثعالبي و مصالي.

أهمية الموضوع

تدرس هذه المذكرة موضوع الفكر السياسي في الجزائر وتونس وبالتحديد الفكر الاستقلالي ومراحل تطوره وكذا العوامل والظروف المتحكمة في ذلك انطلاقا من تتبع النضال السياسي والفكري لاثنين من رواد الفكر الاستقلالي في البلدين وهما عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج اللذان حملا فكرة الاستقلال واعتبرا الاستقلال حق طبيعي من حقوق الإنسان وعملا على مناهضة الاحتلال وقد ظهر ذلك في الاجتماعات والخطابات والكتابات الصحفية والمؤتمرات العالمية وغيرها من النشاطات التي قاما بها وهذا انطلاقا من إيمانهما بضرورة التخلص من الهيمنة الأجنبية، إضافة إلى ابراز أوجه التشابه والاختلاف في طرح هذه الفكرة لإدراك مسار تصاعدي ومتذبذب لها.

إشكالية الموضوع

يعالج هذا الموضوع تطور فكرة الاستقلال في الجزائر وتونس في الفترة الممتدة1907-1937م وذلك بتتبع هذه الفكرة عند اثنين من زعماء الحركة الوطنية المغاربية خلال نضالهما السياسي والفكري وموقفهما من أهم القضايا المطروحة في هذه الفترة. فتنصب إشكالية الموضوع حول السؤال التالي:

- **بماذا تميز مسار فكرة الاستقلال في الجزائر وتونس في الفترة الممتدة1907-1937م ؟**

التساؤلات الفرعية

- هل يعتبر ظهور فكرة الاستقلال في البلدين نتيجة للسياسة الاستعمارية الفرنسية في كليهما ؟وبالتالي هل ساهمت طبيعة الاستعمار في تحديد فكرة الاستقلال في كلا البلدين.؟
- إلى أي مدى أثرت النهضة التونسية قبل الحماية الفرنسية في نضال النخبة التونسية ضد الاحتلال الفرنسي؟
- ما مدى تأثر الطبقة العمالية الجزائرية بالأوضاع المحيطة بها ؟.
- هل ساهمت الظروف التي نشأ فيها الزعيمين في صياغة ايدولوجيتهما؟، وبالتالي هل تعتبر فكرة الاستقلال إيديولوجية موجودة عند أصحابها أم فكرة واقعية أي ناتجة من الواقع المعاش.؟
- ما هي العوامل المتحكمة في تطور فكرة الاستقلال؟
- ما هو موقف الجماهير الشعبية في البلدين من هذه الفكرة ؟وما هو موقف السلطات الاستعمارية منها؟

الاطار الزماني والمكاني:

يدرس هذا الموضوع الفترة الزمنية الممتدة من سنة1907م إلى سنة1937م وهذا يرجع إلى أن سنة 1907م شهدت تحولات واضحة على الساحة السياسية في الجزائر وتونس وشكلت بوادر ظهور الوعي الوطني حيث ظهرت حركة الشبان التونسيين سنة1907م في تونس بقيادة "علي باش حامبة" و"الثعالبي" وكلاهما طالب باستقلال تونس في مؤتمر الصلح بباريس سنة1919م وفي هذه الفترة أيضا طالب"الأمير خالد" العضو البارز في حركة الشبان الجزائريين باستقلال الجزائر وهذا بناءا على ظهور مبادئ ويلسون وفي مقدمتها حق الشعوب في تقرير مصيرها، وكانت هذه بداية ظهور فكرة الاستقلال في البلدين .

أما سنة 1937م فهي تعتبر حاسمة في كلا البلدين إذا تمثل عودة عبد العزيز الثعالبي من المشرق بعد نفي دام حوالي أربعة عشر سنة متمسك بفكرة استقلال تونس إلا أنه وجد الساحة السياسية في صالح الحبيب بورقيبة والذي كان يعتمد على سياسة المراحل في نضاله ،وبالتالي فقد الثعالبي القيادة في تونس وبالمقابل فإن مصالي الحاج عاد إلى الجزائر سنة1936م بعد غياب طوال فإنه دخل الجزائر يحمل معه فكرة الاستقلال التي كانت مطلب الشعب الأساسي ولهذا تمكن من نشر فكرة الاستقلال في الجزائر من خلال تأسيس حزب الشعب الجزائري سنة1937م و بذلك سيطر مصالي الحاج على الساحة السياسية في الجزائر.

منهج الدراسة:

ولدراسة هذا الموضوع دراسة موضوعية اعتمدنا على المناهج التالية: المنهج التاريخي السردي الوصفي: وذلك لتتبع وتقصي الأحداث والوقائع التي تتضمنها الدراسة ووصفها حسب ترتيبها الزمني، المنهج التحليلي: وقد اعتمدنا عليه في تحليل الأحداث والوقائع و تفسيرها والتحقق منها للوصول إلى نتائج موضوعية، إضافة إلى المنهج المقارن: إن طبيعة الموضوع تقتضي الاعتماد على هذا المنهج وذلك للمقارنة بين تطور فكرة الاستقلال في البلدين وبين نضال مصالي والثعالبي لمعرفة أوجه التماثل والاختلاف بينها.

الخطة المعتمدة في الدراسة:

وللإجابة على إشكالية الموضوع والأسئلة التي ضمنها فقد اعتمدنا على خطة تتكون من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وملاحق للتوضيح أكثر.

حيث عالجنا في **الفصل الأول الأوضاع العامة في البلدين (الجزائر وتونس من 1830-1907م)** وتطرقنا فيه إلى السياسة الاستعمارية الفرنسية الهادفة إلى تكريس الاستيطان الفرنسي من خلال سن مجموعة من القوانين والإجراءات التعسفية التي كانت تهدف من ورائها إلى تجريد الشعب في البلدين من ممتلكاته

ومقوماته الشخصية ومن حريته وحقوقه السياسية والمدنية ويرجع سبب دراستنا لهذه الأوضاع لمعرفة دورها في ظهور فكرة الاستقلال.

أما **الفصل الثاني** فقد تطرقنا فيه **إلى رواد فكرة الاستقلال في البلدين (عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج)** حيث تناولنا اثنين من أهم الشخصيات البارزة التي عرفتها الساحة السياسية المغاربية عامة والجزائرية والتونسية خاصة، حيث قدمنا ترجمة لهما باعتبارهما حملا لواء فكرة الاستقلال عن فرنسا وطالبا بها من خلال الخطابات والاجتماعات والصحف وغيرها مع التعريج على ايديولوجية كل منهما وآثارهما الفكرية والسياسية.

بينما عالج **الفصل الثالث تجسيد فكرة الاستقلال في البلدين** انطلاقا من البوادر الأولى لظهورها وعوامل بروزها سنة1919م والنشاط المشترك في البلدين من خلال تشكيل لجان تطالب بالاستقلال التام عن فرنسا وكذا الأسباب التي حالت دون تحقيق هذا الهدف المتمثل في الاستقلال .ثم تطرقنا إلى تبلور فكرة الاستقلال حيث تجسدت في تنظيمات سياسية تطالب بالاستقلال، لنصل في عنصر آخر إلى ترسيخ فكرة الاستقلال في البلدين كما تناولنا الموقف من فكرة الاستقلال حيث عرضنا لموقف الشعبين وكذا موقف إدارة الاحتلال من خلال فكرة الاستقلال .

وخاتمة شملت حوصلة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال تطرقنا لهذا الموضوع بالإضافة إلى الإجابة على الإشكالية.

عرض لبعض المصادر والمراجع المعتمدة

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع التاريخية اختلفت وتنوعت موضوعا ومضمونا أغلبها تحدثت عن تاريخ الجزائر وتونس الحديث والمعاصر مست جميع جوانب النضال والكفاح الوطني الجزائري والتونسي ضد الاستعمار الاستيطاني الفرنسي، ويمكننا تصنيفها على النحو الأتي:

أولا: المصادر

-كتاب تونس الشهيدة لعبد العزيز الثعالبي وقد أفادنا في الاطلاع على أوضاع تونس في مختلف المجالات حيث قدم من خلاله الثعالبي مقارنة لحالة البلاد قبل الحماية وأثنائها وما نتج عنها إضافة إلى مطالب التونسيين التي قدمها الثعالبي إلى السلطات الفرنسية وقد ضمنه المحقق سامي الجندي دراسة حول الحركة الوطنية التونسية إضافة إلى ترجمة لحياة الثعالبي ونشاطه السياسي.

-كتاب حياة كفاح بجزئية الأول والثاني لأحمد توفيق المدني والذي عالج فيه مراحل حياته ودوره الفكري والسياسي في تونس والجزائر لذلك فهو يحتوي على كم كبير من المعلومات التي لها علاقة بالأحداث والوقائع إلي عاشها وشهدها في خضم نضاله في تونس في ظل الحزب الدستوري التونسي وهو ما ساعدنا على تتبع نضال الثعالبي خاصة في الفترة التي تسبق رحيله إلى المشرق كما انه قدم دراسة عن نضال مصالي الحاج.

-كتاب الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الجزء الثاني لعبد الرحمان بن العقون حيث اعتمدنا عليه في دراسة فكرة الاستقلال في الجزائر.

-كتاب عبد العزيز الثعالبي وأخباره في المشرق والمغرب الذي جمع فيه صالح خرفي عددا من المقالات التي كتبتها الصحف والمجلات سواء في المشرق أو في المغرب عامة وخاصة في تونس عن الثعالبي كما جمع العديد من المقالات التي كتبها الثعالبي.

-كتاب مذكرات مصالي الحاج: من أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في هذه المذكرة باعتبار أن صاحبها كان من الطلائع الأولى للحركة الوطنية والتي تناولت حياته إلى غاية سنة 1937م وقد أفادتنا في التعرف على الأوضاع التي نشأ فيها مصالي وتأثيرها على تكوينه كما أنها عالجت فكرة الاستقلال عنده والتطور الذي مرتبها والعوامل المتحكمة في ذلك ومنها السياسة الاستعمارية التي استهدفه ورفاقه للحد من نشاطهم.

-محمد قنانش: ومن أهم كتبه الحركة الاستقلالية بين الحربين وهو عبارة مذكرة ودراسة تحليلية لنجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري وهو كتاب قيم نظرا لمساهمة مؤلفه شخصيا في الحركة إذ كان مناضل ومسؤولا في حزب الشعب الجزائري.

ثانيا: المراجع

أما المراجع فهناك كتب ومجلات قيمة في هذا الموضوع وكذلك بعض الأطروحات والرسائل الجامعية التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بهذا الموضوع وقد تميزت بالدقة والتحليل، وهي مراجع عبدت لنا الطريق لإنجاز هذا البحث نذكر منها على سبيل المثال لا حصر:

اعتمدنا على مؤلفات يوسف مناصريه :**دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين** والذي قدم من خلاله دراسة وافية عن الحركة الوطنية التونسية منذ بداياتها الأولى سنة1907م، كما تتبع نضال الثعالبي السياسي والفكري كما وضح فيه إيديولوجيته ومراحل تطورها، إضافة إلى كتابه الآخر: **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية** الذي أفادنا في تتبع تطور فكرة الاستقلال في الجزائر والعوامل المتحكمة في ذلك، كما مكنتنا مؤلفات خير الدين شتره وهي: **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية في تونس** وكتابه **المهاجرون الجزائريون إلى تونس** وكتابه **الطلبة الجزائريون في جامع الزيتونة** وكلها سلطت الضوء علي أوضاع الجزائر وتونس بعد الاحتلال وكذا رد فعل البلدين المتمثل في المقاومة المسلحة والمقاومة السياسية، كما أنه ربط نضال البلدين ببعضهما البعض حيث تناول دور الجزائريين الفكري والسياسي في تونس وهذا ما ساعدنا في إثراء الموضوع.

كما اعتمدنا على مؤلفات أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية** الأجزاء الثلاثة وكتاب **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** الجزء الثالث والرابع وقد إضافة إلى **تاريخ الجزائر الثقافي** وكلها مكنتنا من تتبع فكرة الاستقلال في الجزائر من خلال نضال مصالي الحاج السياسي، إضافة إلى معرفة تطور ايديولوجيته والعوامل المتحكمة في ذلك.

وقد استفدنا من كتاب عبد العزيز الثعالبي لأحمد الطويلي الذي ترجم فيه للثعالبي وقدم دراسة وافية عن مسيرة نضاله الفكري والسياسي ويحتوي الكتاب على مجموعة من النصوص التي كتبها الثعالبي.

الصعــوبات

من بين أهم الصعوبات التي واجهتنا هي: تعامل مع نصوص المصادر خاصة وأن من كتبوها كانوا هم من صنعوا الأحداث أو شاركوا فيها، وبالتالي كان لابد من فحصها وتحليلها للوصول إلى الموضوعية.

الفصل الأول

الأوضاع العامة في البلدين(الجزائر وتونس)1830-1907

1. الأوضاع السياسية
2. الأوضاع الاقتصادية
3. الأوضاع الاجتماعية والثقافية

بعد أن أخضعت فرنسا الجزائر سنة1830م وبعدها تونس سنة1881م لسيطرتها فإنها تبنت سياسة استعمارية ذات أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية كان الهدف منها السيطرة على الإنسان في كيانه وممتلكاته وهذا لتكريس سياستها الاستيطانية في البلدين. ونتناول في هذا الفصل أوضاع البلدين في الفترة المدروسة حيث نركز على آثار السياسة الفرنسية في البلدين ونتائجها على الشعبين، لأنه في ظل هذه الظروف ظهرت فكرة مفادها ضرورة التخلص من الأجنبي وذلك لا يكون إلا باستعادة الاستقلال، كما أنه في هذه الظروف ظهرت شخصيات حملت فكرة الاستقلال وعملت على تجسيدها على أرض الواقع. فبماذا تميزت أوضاع البلدين أثناء الفترة المدروسة وماذا نتج عنها؟

المبحث الأول: الأوضاع السياسية في البلدين:

بعد أن كانت كل من الجزائر وتونس ولايات عثمانية تنعم باستقلالهما التام فإنهما فقدتا سيادتهما على يد فرنسا نتيجة للتطورات التي شهدتها هذه الأخيرة بفعل الثورة الصناعية، ونظرا لضعف البلدين في أواخر عهدهما العثماني، فإن فرنسا استغلت هذه الفرصة لتحتل الجزائر احتلالا عسكريا سنة1830م، ثم تفرض حمايتها على تونس سنة1881م، وبعدها بدأت بسن قوانين واجراءات تعسفية الهدف منها القضاء على حرية الانسان في البلدين وتكريس سياسة الاستيطان.

1. الأوضاع السياسية في الجزائر:

تميزت العلاقات الجزائرية الفرنسية بالاستقرار النسبي خلال العهد العثماني ابتداء من القرن16م. لكن هذه العلاقات عرفت تحولات خطيرة مع مطلع القرن19م،وانتهت باحتلال فرنسا للجزائر سنة 1830 م[1].

يعتبر الاحتلال الفرنسي للجزائر انعكاسا للحركة الاستعمارية الأوربية التي شهدها القرن19م نتيجة ظهور الثورة الصناعية[2]التي حتمت عليها البحث عن أسواق جديدة ومجالات للاستثمار، وبالتالي التخلص من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي كانت تعاني منها[3]؛وقد استغلت فرنسا حالة الضعف التي دخلت فيها الجزائر أواخر عهد الدايات[4]،حيث كانت تعاني من اضطراب سياسي بفعل انعدام

---

[1]-أرزقي شويتام ،**نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره :1800-1830**،دار الكتاب العربي، الجزائر،2011،ص171.

[2]-خير الدين شترة ،**الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة :1900-1956**،ج1،دار البصائر ، الجزائر،ص38.

[3]-علي المحجوبي، **العالم العربي الحديث و المعاصر :تخلف فاستعمار فمقاومة**، دار محمد علي للنشر، تونس، 2009، ص35.

[4]-شارل أندري جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ،تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة،ج2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1978، ص374.

الاستقرار، وكذا الوضعية الاقتصادية الصعبة[1]، خاصة بعد الحصار الذي فرضته فرنسا على الجزائر طيلة ثلاثة سنوات 1827-1830م[2] مما زاد الأمر صعوبة القطيعة بين الحكام والأهالي وضعف الجيش الانكشاري وبالتالي عدم قدرته على الدفاع عن البلاد، كل هذه العوامل وغيرها شجعت فرنسا على شن حملتها على الجزائر سنة1830[3]م.

وعند نزول الجيش الفرنسي بسيدي فرج في14جوان1830م بقوة قوامها37ألف جندي، لم يجد أمامه سوى15ألف جندي نظامي ونفس العدد تقريبا من المتطوعين[4]. ورغم محاولة هذه القوات الدفاع عن المدينة إلا أنها وجدت نفسها أمام جيش يفوقها قوة وعددا، كانت نتيجة احتلال الجزائر انهيار الجزائر العثمانية نهائيا، بموجب معاهدة الاستسلام في5 جويلية1830م[5].

إن سقوط الجزائر على اثر معاهدة الاستسلام قد رمى البلاد في غياهب المجهول وطرح بها نحو مصير لا يمكن التنبؤ به؛ لقد كان للفراغ الذي أحدثه انهيار السلطة السياسية أن أوجد حالة من الاضطراب الشديد في الأذهان وفي السلوكيات بفعل المفاجأة. ولكنها لم تدم طويلا حيث ظهر اتجاه عام شمل جميع مناطق البلاد والذي يدعو إلى مجابهة العدو والتصدي له بقوة السلاح[6].

قاد الجزائريون مقاومة شعبية دينية قادها مرابطون ورؤساء القبائل مثل "ابن زعمون" والحاج سدي السعدي والآغا محي الدين ثم الأمير عبد القادر ومقاومة قامت بها الادارة العثمانية بعد سقوط الحكومة المركزية وقد تولى هذا النوع من المقاومة باي التيطري "مصطفى بومرزاق" وابنه سي أحمد وابراهيم باي قسنطينة السابق، والحاج أحمد باي قسنطينة عند دخول الفرنسيين مدينة الجزائر[7]، وقد شملت المقاومة المسلحة شرق البلاد وغربها ووسطها وجنوبها واستمرت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وبلغ عددها أكثر من 20مقاومة وكانت بعضها تدوم أكثر من سنة[8].

---

[1]-أحمد مهساس ،**الحركة الثورية في الجزائر: من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة**، تر: الحاج مسعود ومحمد عباس، دار القصبة، الجزائر،2003،ص30.

[2]-أبو قاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث: بداية الاحتلال**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،1982،ص33.

[3]-علي المحجوبي، المرجع السابق،ص36.

[4]-حمدان خوجة ، **المـرآة**، تح: محمد العربي الزبيري ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1975، ص267.

[5]-أحمد مهساس ،المصدر السابق،ص31.

[6]-جمال قنان ،**قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر،1994، ص102.

[7]- أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق،ص133.

[8]-مصطفى همشاوي **جذور أول نوفمبر1954**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر1954، الجزائر، (د.ت)،ص18.

كانت فعالية تلك المقاومة مرهونة بقدرتها على إقامة سلطة وطنية واعادة تأسيس الدولة، وقد عمل الأمير عبد القادر على تكوين قوة سياسية وعسكرية، وبعد انهزامه سنة1847م قامت انتفاضات في الأرياف عرفت أوجها سنة1871م في منطقة القبائل[1]؛ وإن لم تكتسي المقاومة المسلحة طابع الثورة الشمولية فلأنها كانت تفتقر إلى قيادة موحدة بعد ارتباك النشاط الاداري من جراء انهيار الدولة، وما لبثت السلطات المحلية أن انهارت بدورها أمام انبعاث سلطة القبائل والزوايا التي وجدت في ذلك فرصة مناسبة لتصفية حساباتها مع ممثلي السلطة المركزية السابقة، وسارعت السلطات الفرنسية بهدف كسب القادة الأعيان إلى تعميق هذه التناقضات بإخفاء أهدافها ومحاولة الظهور بوجه المحرر من الحكم التركي[2].

أمام هذا الوضع الذي تميز بطغيان الروح الوطنية لدى الجزائريين، فإن قادة الاحتلال شنوا حربا شنعاء ضد مقاومة الجزائريين سعيا منهم للقضاء عليها من خلال ارتكاب جرائم رهيبة تمثلت في القتل والحرق وابرز مثال على ذلك ما وقع لقبيلة"العوفية"التي أبيدت عن آخرها بأمر من"روفيقو"في أفريل 1832م[3].

ولم يتفق الفرنسيون منذ احتلال الجزائر على الاعتبار الذي يمكن أن يعطوه لهذا البلد المحتل؛ وبمقتضى التردد بين أتباع سياسة الاحتلال الكامل والادارة المباشرة أو اتباع سياسة الاحتلال المحدود والادارة غير مباشرة ؛تم تقسيم الجزائر إلى عمالات لها نوابها وشيوخها المنتخبون كما سائر العملات الفرنسية[4]، وحتى تحكم السلطات الاستعمارية قبضتها على البلاد أصدرت مرسوما يوم22-07-1834م نص على الحاق الجزائر بفرنسا، يديرها حاكم عام تابع لوزير الحربية في باريس[5]. ثم وقعت تزكية في الدستور الفرنسي الصادر سنة1847م، حيث نص صراحة على أن الجزائر إقليم فرنسي مقسم إلى ثلاثة ولايات[6].

كما أنشأت فرنسا ما يعرف بالمكاتب العربية في فيفري1844م،وكان دورها ظاهريا يتمثل في إدارة شؤون الأهالي الجزائريين[7]، لكنها أقيمت في الحقيقة بهدف إحكام المراقبة على تحركات الجزائريين وإخضاعهم نفسيا ومحاصرتهم معنويا واحباط كل توجه معاد للجيش الفرنسي أو معاكس للإدارة الفرنسية في الجزائر، وهذا ما جعل أسلوب المكاتب العربية في الواقع نوعا من الحكم العسكري المعتمد على الإرهاب والقمع فهو

---

[1]-علي المحجوبي ، المرجع السابق ،ص38.

[2]-أحمد مهساس ، المصدر السابق،ص32.

[3]-جمال قنان، المرجع السابق، ص115.

[4]-خير الدين شترة، **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد تونس**، دار كردادة،الجزائر،2006،ص 95.

[5]-يحي بوعزيز ،**سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية،1830-1954**، المطبوعات الجامعية ، الجزائر،2007.ص31.

[6]-مصطفى همشاوي ، المرجع السابق،ص18.

[7]-أندري بريان وآخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: إسطنبولي رابح، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1984، ص323.

يندرج ضمن الإخضاع غير المباشر[1]، وقد طلب كل من"بيجو"و"دوما"من الضباط القائمين عليها أن يعملوا على تفتيت وتشتيت القيادات والزعامات الأهلية ذات السلطة والنفوذ والتأثير حتى لا تكون خطرا في المستقبل على السيادة الفرنسية[2].

ولكي يدعم النظام الاستعماري أساس سيطرته على الجزائر قام في14جويلية1865م بإصدار قانون السيناتيس كنسيلت"Sénatus-consulte"بنية فرض الادماج كأمر واقع بإعلان أن الأهلي المسلم فرنسي مع استمرار خضوعه للشريعة الاسلامية، لكن هذا النص مع ذلك لا يجعل من الجزائري فرنسيا يتمتع بكامل حقوق المواطنة، لأن هذه الحقوق مشروطة بوجوب طلب الجنسية الفرنسية والتخلي بذلك عن وضعه الاسلامي[3].ورغم الضغوط فإنه لمدة10سنوات لم يتجنس إلا37جزائريا[4].إلا أن السلطات الاستعمار في الجزائر عارضت هذا القرار كما رفض الجزائريون التخلي عن أحوالهم الشخصية.

وبينما شمل الادماج جميع الفئات حتى الأجانب الأوربيين أصدرت فرنسا لصالحهم قانون التجنيس المؤرخ في26جوان1889م كما منحت اليهود الجنسية الفرنسية بمقتضى قانون كريمو الصادر في24أكتوبر 1870م،فقد خص السكان الأهالي بقانون خاص يعرف بقانون الأهالي أو قانون"الأنديجينا"سنة1881م ،المتضمن لعقوبات خاصة ،الغرض منه إيجاد وسائل ردع ضد الأهالي وتسليط القمع عليهم بدون محاكمة ومن كان راغبا في التخلص من أحكام هذه القوانين الجائرة فعليه أن يأخذ بقانون14جويلية 1865م إذا كان مستوفيا الشروط المطلوبة[5].

لقد كان التفاوت والتمايز هو القاعدة في القوانين الفرنسية، ولم يكن للجزائريين بوصفهم رعايا الحق في الاقتراع ولا المشاركة في الانتخابات، وكان تمثيلهم في المجالس الجزائرية منقوصا ،ثم إن قوانين سنة1898م وسنة1900م منحت الجزائر الشخصية المدنية بعد حصولهم في السنة الأخيرة على الاستقلال المالي، أما السلطة التنفيذية فقد أسندت إلى الحاكم الذي يمثل فرنسا ويخضع إلى وزارة الداخلية[6]؛ وفي هذا الصدد يذكر فرحات عباس: "وأصبح مجموعة من المعمرين يتحكمون في كل شيء ويتعاملون مع الجزائري بكل

---

[1]-ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**، عالم المعرفة، الجزائر ،2008،ص30.

[2]-يحي بوعزيز ، المرجع السابق، ص13.

[3]- أحمد مهساس ، المصدر السابق،ص39.

[4]-مصطفى همشاوي، المرجع السابق، ص18.

[5]-عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا وآسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2009،ص73.

[6]-محمد حربي، **الثورة الجزائرية: سنوات المخاض**، تر: نجيب عياد وصالح المثلوثي، موفم للنشر، الجزائر، 2012،ص91.

عنصرية واحتقار وإذلال، وكان الجزائريون فريسة للمدنيين الأوربيين الذين أصبحوا سفاحين...فقبضوا على زمام الحكم وخلقوا نظاما اقتصاديا استعماريا محضا"[1]ومن الجانب الإداري كانت الجزائر مقسمة إلى مقاطعات ومحافظات وبلديات وكانت اهذه الأخيرة على نوعين: بلديات ذات صلاحيات كاملة وبلديات مختلطة، أما مناطق الجنوب فكانت تخضع للحكم العسكري.

نتيجة لازمة مراكش-والتي وقعت هذه الأخيرة تحت الحماية الفرنسية1912م-وظهور بوادر ح عI قامت السلطات الاستعمارية بإصدار قانون التجنيد الإجباري للشبان الجزائريين يوم3فيفري1912م[2]، وقد رفضه الجزائريون ونتج عن تطبيقه هروب الشبان، وكذا الهجرات الجماعية نحو المشرق العربي؛ كما كان سببا مباشرا في قيام اضطرابات وثورات عديدة أهمها ثورة الأوراس1916م[3]وفي مقابل ذلك ظهرت لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين التي بعثت بوفد يحمل مجموعة من الإصلاحات إلى السيد بوانكارية رئيس المجلس الوطني الفرنسي في21-7-1912م[4]؛ وهناك من يعتبر هذه السنة بداية النشاط السياسي في الجزائر.

وللإشارة فإن الجزائريين عرفوا المقاومة السياسية قبل هذا التاريخ وذلك منذ سنة1830م خلال تقديم العرائض والشكاوى للاحتجاج ضد ممارسات الإدارة الاستعمارية، حيث لخص" حمدان بن عثمان خوجة"[5] وزملاءه انتهاكات الاحتلال في عريضة أرسلها لرئيس وزراء في فرنسا في أواخر جوان1830م، كما نذكر أيضا العريضة التي أرسلها أعيان الشرق الجزائري للبرلمان الفرنسي في10جويلية1887م؛ ويمكن اعتبارها بمثابة برنامج للعمل الوطني و حدّه الأدنى في هذه المرحلة لأن المعترضين كانوا يتكلمون باسم كل الجزائريين، وهذا ردا على قانون تجنيس الجزائريين لهذا اهتزت الجزائر إلى أقصاها لتعلن أنها ترفض التجنيس وأن ما تريده هو الحفاظ على شخصيتها المتميزة[6].

---

[1]-فرحات عباس، **ليل الاستعمار**، تر: أبو بكر رحال، وزارة الثقافة، الجزائر،2009،ص ص99-111.

[2]-أبو القاسم سعدالله ،**الحركة الوطنية الجزائرية** :1900-1930،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1987،ص132.

[3]-عبد الرحمان بن إبراهيم العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر1920-1936**،ج2.منشورا السائحي الجزائر، (دت)، ص33.

[4]-يحي بوعزيز، **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نصوصه1912-1948**، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1987، ص ص24-26 .

[5]-ولد حوالي سنة1775من أصل كرغلي ومن أسرة برجوازية، تقلد العديد من المناصب الادارية؛ أسس أول حزب وطني سياسي يعرف بلجنة المغاربة رفقة أحمد بوضربة..؛ لخص الاعتداءات والانتهاكات الاستعمارية في حق الجزائريين في عريضة ارسلها إلى رئيس الوزراء فرنسا شهر جوان1830م وخلال هذه الفترة ألف كتاب المرآة، وقد طالب فيه بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم. أنظر محمد العربي الزبيري، **مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة وبوضربة** ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2009،ص ص 92-94.

[6]-جمال قنان، **دراسات في المقاومة والاستعمار**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر،(د.ت)، ص 106.

إن سياسة الاستعمار القائمة على الزجر والإرهاب وخنق الحريات من العوامل التي تسببت في ضعف النشاط السياسي في الجزائر إلا أن ذلك لم يمنع ظهور نخب شكلت تجمعات صغيرة يمكن اعتبارها الارهاصات الأولى لظهور التيارات السياسية في الجزائر، والتي تمثلت في كتلة المحافظين[1] وكتلة الليبراليين[2]، والتي تشكلت من بين صفوفها لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين السابقة الذكر[3].

مع مطلع ق20م أيضا ظهرت حركة الشبان الجزائريين التي كانت تهتم بالقضايا الاجتماعية والسياسية وكان هذا الاهتمام يشكل البوادر الأولى للتظاهر المطلبي في هذه المرحلة الجديدة من تاريخ الجزائر[4]. وكانت تهدف إلى تحرير البلاد بطرق شرعية سياسية مستعملة في أغلب الأحيان أساليب غربية[5]؛ وفي سنة1913م انضم"الأمير خالد" إلى صفوف هذه الحركة وقام بنشاط واسع فيها[6]إلى غاية انقسام هذه الحركة بسبب اصلاحات4فيفري1919م وهذا يرجع إلى الاختلاف حول ضرورة الاحتفاظ بالأحوال الشخصية للمسلم الذي يحصل على حقوق المواطنة الفرنسية[7].

يعتبر الاستعمار الفرنسي استعمارا استيطانيا يقوم على أسس اجتماعية واقتصادية وثقافية، يهدف إلى إقامة كيان اجتماعي غريب ونظام سياسي جديد وربط الشعب المستعمر بحضارة وثقافة الغازي ثم الانفصال في النهاية عن الوطن الأم ولئن نجحت فرنسا في السيطرة على الجزائر سياسيا بجعلها تابعة إداريا لها كما أنها تمكنت من تشجيع الهجرة الأوربية إلى الجزائر ثم أصبح هؤلاء المعمرين سادة في البلاد حيث سيطروا علي مقدرات الحياة إلا أنها فشلت في إبعاد الجزائريين عن هويتهم و انتمائهم للحضارة العربية.

---

[1]-تتكون من المثقفين التقليديين و العلماء والقدماء ومن زعماء الدين وتعني كلمة المحافظة بقاء الحالة الراهنة لمعارضة الأفكار الغربية والتجنيس والتجنيد الاجباري في الجيش الفرنسي، وما يدخل تغييرات متطرفة على المجتمع الجزائري. أنظر أبو قاسم سعدالله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج2...، المرجع السابق،ص152.

[2]-ضمت هذه الكتلة جماعة من الشبان الجزائريين من خرجي المدرسة الفرنسية، وكان في صفوفها اطباء ومحامين وقضاة وصحافيين ومترجمين، وتبنت هذه الكتلة الأفكار الغربية كالحداثة والحرية والجمهورية والمساواة. انظر عبد النور خيثر وآخرون ،**منطلقات وأسس الحركة الوطنية 1830-1954**، وزارة المجاهدين ، الجزائر،2007،ص241.

[3]- نفسه، ص240.

[4]- أحمد مهساس ، المصدر السابق،ص44.

[5]- جمال قنان، **دراسات في المقاومة و الاستعمار**، المرجع السابق،ص111.

[6] -Mahfoud Kaddache ,**L'Emir Khaled :Documents et témoignages pour sévit altude** ,Nationalisme Algérien ,affice des publications univers,Alger,2009,P52.

[7]-شارل روبير آجرون، **تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة1881إلى اندلاع الحرب التحريرية1954**،ج2، تر: جمال فاطمي وفتحي سعيد، دار الأمة ، الجزائر،2008،ص118.

2. الأوضاع السياسية في تونس

وبعد احتلال فرنسا للجزائر سنة1830م لم تعد تونس في مأمن من الخطر الفرنسي، لهذا حاول رجال الاصلاح في تونس تفادي الوقوع في نفس مصير الجزائر ،وخاصة أنها كانت محل أطماع الكثير من الدول الأوربية ،فبدأت النهضة في تونس محاولة منها التخلص من النفوذ الأجنبي منذ أواسط القرن20م، حيث أصدر "الباي محمد" في9-9-1857م عهد الأمان الذي يعتبر اعلانا لحقوق الانسان وللمبادئ الديمقراطية والحرية الشخصية والعدالة، ولما اعتلى "خير الدين" باشا كرسي الوزارة1873-1877م[1]،فإنه تنبه إلى أن خير وسيلة لمقاومة أوربا هو النهوض بالبلاد واصلاح أنظمة الدولة العتيقة وتوجيه الأمة نحو الرقي الصحيح الذي كان السبب في رفع منار الغرب عاليا[2].

إلا أن هذه الاصلاحات كان قد فات أوانها إذ انتهى عهد الأمان بالنسبة لتونس التي كانت آخذة في طريق الضعف السياسي والاقتصادي وكان الخطر عليها واضحا وكبيرا[3]نظرا لقربها وصغر مساحتها وجنوح أهلها للسلم وكثرة مواردها الطبيعية وموقعها الجغرافي الممتاز مما جعلها محل أطماع جيرانها إضافة إلى عدم وجود حدود طبيعية ولا سياسية ولا عرقية ،بينها وبين الجزائر كما أن احتلالها أصبح ضروري لفرنسا لتضمن احتفاظها بالجزائر[4].إضافة إلى استيطان أعداد كبيرة من الجالية الأوربية وسيطرتها على مرافق البلاد الاقتصادية والاجتماعية، وكانت فرنسا من أكثر الدول التي عملت على زيادة نفوذها في تونس حيث تنامت مصالحها الاقتصادية والثقافية بحصولها على العديد من الامتيازات، كما أن تونس كانت تشكل مجالا خصبا للاستثمار في القطاع الفلاحي وفي ميدان التجهيز كمد السكك الحديدية إضافة إلى توظيف أموال الفرنسيين في البحث عن المواد الأولية واستغلالها وبفضل موقعها الاستراتيجي أصبح احتلالها ضروريا كونه يسمح بمراقبة تجارة الشرق الأقصى[5].

ولأن تونس كانت محل أطماع ألمانيا وانجلترا وإيطاليا وفرنسا، فإن مؤتمر برلين المنعقد سنة 1878م رجح

---

[1]-خير الدين شترة ،**إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية:1900-1939**، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص26.

[2]- الفاسي علال ،**الحركة الاستقلالية في المغرب العربي** ،ط1،لجنة الثقافة لحزب الاستقلال ،المغرب ،1984،ص52.

[3]-الحبيب تامر، الحبيب تامر ،**هذه تونس** ،مطبعة الرسالة ، مصر،1948،ص25.

[4]-خير الدين شترة، **المهاجرون الجزائر**...، المرجع السابق ،141.

[5]-محمد محفوظي ،**المشكلة التونسية**، في مجلة المنار، العدد 13، دار البصائر، 12ديسمبر 1952،ص4.

الكفة لصالح فرنسا، فكانت انجلترا تهدف بذلك إلى ابعاد فرنسا عن قبرص ومصر والسودان[1]، أما ألمانيا فإنها أرادت توجيه أنظار فرنسا خارج أوربا حتى لا تفكر في استعادة الألزاس واللورين[2]، واشتد الصراع بين فرنسا وإيطاليا لهذا قررت فرنسا الاسراع في تنفيذ مخططها[3].

وبدأت فرنسا بالبحث عن مبرر لتدخلها العسكري في تونس وفي سنة1881م، اغتنمت فرصة توغل مجموعة من قبائل بني خمير في التراب الجزائري في16فيفري1881م إضافة إلى حوادث30و31مارس التي اصطدمت فيها القوات الفرنسية والقبائل التونسية[4]،وانتهى الأمر بتوغل القوات الفرنسية في الأراضي التونسية وسيطرت على الكاف وطبرقة وبنزرت واستمرت في التوسع في كامل البلاد التونسية[5].

وللإشارة، فإن الجزائريين بمختلف فئاتهم وطبقاتهم الاجتماعية كانوا معارضين لاحتلال تونس حيث كانوا يعتبرونها وطنهم الثاني وخاصة أن هذه الأخيرة فتحت أبوابها للمقاومين الجزائريين وقدمت لهم المساعدة منذ بداية الاحتلال[6]؛وبينما عمل"الداي حسين" في الجزائر على استنفار القبائل الجزائرية للمقاومة[7]فإن باي تونس"محمد الصادق"1859-1882م عمل على إرسال البرقيات والاحتجاجات وطلب المساعدة من الدولة العثمانية ولكنه لم يتمكن في النهاية من نيل مراده[8].

فرضت الحماية[9]الفرنسية على تونس بموجب معاهدة "باردو" أو ما يعرف بمعاهدة "قصر السعيد" في12

---

[1]-مجموعة من المؤلفين، **ثورة يوليو وحركات التحرر في المغرب العربي و جنوب إفريقيا**،ج5، دار الفكر،مصر،2008،ص19.

[2]-خليفة شاطر وآخرون، **تونس عبر التاريخ: الحركة الوطنية ودولة الاستقلال**،ج3،مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية و الاجتماعية، تونس ،2005،ص17.

[3]- اسماعيل ياغي ومحمود شاكر، **العالم الاسلامي الحديث والمعاصر**،ج2، دار المريخ للنشر ،السعودية،1993،ص99.

[4]- عبد الجليل التميمي ،**الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859-1882** ،مؤسسة التميمي، تونس ،2005،ص 210.

[5]- علي محجوبي، **انتصاب الحماية التونسية الفرنسية بتونس**، تر: عمر بن ضو وحليمة قرقوري، سراس للنشر، تونس،1986،ص44.

[6]-يحي بوعزيز ، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**،دار البصائر الجزائر،2009، ص ص 262-265.

[7]- عزالدين معزة، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة دراسة تاريخية وفكرية مقارنة1899-2000**،أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة،2009،(غ.م)،ص20.

[8]- محمد عصفور سلمان، **الحماية الفرنسية على تونس عام1881م والموقف العثماني والأوربي منها**، في المجلة ديالي ،العدد 56،كلية التربية للعلوم الانسانية، (د.م.ن)،2012،ص6.

[9]-كان أسلوبا جديدا يختلف عن الذي طبقته في الجزائر لتجنب الخسائر التي تكبدتها، فكانت سيطرتها على تونس غير مباشرة وذلك بالإبقاء على السلطة التقليدية ولكن بمراقبتها عن كثب وكانت أول تجربة سياسية لنظام الحماية في تاريخ فرنسا الاستعماري. أنظر رأفت الشيخ، **تاريخ العرب المعاصر**، عين للدراسات والبحوث، مصر ،1997، ص141.

ماي1881م[1] التي وقعها الباي" محمد الصادق "مجبرا ولما استقر الوضع لفرنسا طالبت على لسان "بول كامبون"[2]بتحرير معاهدة الحماية وتم توقيع المعاهدة الثانية بحلق الوادي، ثم جددت في8جوان 1883م والتي عرفت بمعاهدة المرسى[3] (أنظر الملحق رقم01) وأصبح كل شيء بعدها بيد المقيم العام[4].

منذ فرض معاهدة الحماية على تونس ثارت قبائل الوسط والجنوب وقادت مقاومة ضد نفوذ الباي وضد نفوذ الحماية وقد انضمت إليها مدن قابس وصفاقس ولم تتخلف مدينة ولا قبيلة بدورها للدفاع عن تونس[5]،وقد تولى قيادة وتنظيم هذه الانتفاضة الشعبية قادة بعض المناطق مثل" الحاج الحراث و"أحمد بن يوسف" و"علي بن خليفة" وغيرهم[6].

ورغم تصاعد عمليات الكفاح المسلح بعد سنة1883م، إلا أن المقاومة الشعبية لم تستطع الصمود أمام القوات الفرنسية لعدم تكافؤ قوة الطرفين وحاجة المقاومة إلى السلاح إضافة إلى تعدد القيادات وعدم وجود خطة موحدة للكفاح، كما أثر الباي وأعوانه تأثيرا سلبيا على المقاومة المسلحة بوقوفهم إلى جانب المستعمرين، واستمرت المقاومة الشعبية المسلحة حتى سنة 1917م[7].

ومما سبق يبدو أن رد فعل الشعب التونسي لا يختلف عن رد فعل الشعب الجزائري الذي رفض الاستسلام، وهناك تشابه واضح من حيث المقاومة وكذا عوامل فشلها، وفي الوقت الذي أبقى نظام الحماية في تونس على المؤسسات التقليدية إلى جانب بنائها بعض مؤسسات الدولة الحديثة والتابعة لها لم يكن لها دور سوى التمويه أي المؤسســات المحلية، فإنه بالمقابل طبق في الجزائــر نظاما استعماريا فكك مؤسسات

---

[1]- شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير(القوميات الاسلامية والسيادة الفرنسية**، تر: علي المنجلي سليم وآخرون، دار التونسية ،1976،ص65.

[2]-كان محافظا لمنطقة شمال فرنسا قبل أن يتم تعويضه برسطان لتمثيل فرنسا في تونس وذلك في 12فيفري1882م عمل على التخلص من اللجنة المالية بتونس وذلك بابرام اتفاقية المرسى 8جوان 1883.للمزيد أنظر أحمد قصاب، **تاريخ تونس المعاصر1881-1956**، تر: حمادي الساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1986، ص17.

[3]-بموجب هذه المعاهدة أصبحت فرنسا تتحكم مباشرة في الخصائص الادارية والعدلية والجباية الضرائب والسيطرة على الأراضي. للمزيد أنظر الفضيل الورتلاني ،**الجزائر الثائرة** ،دار الهدى ، الجزائر،2007،ص329.

[4]-نقولا زيادة، **تونس في عهد الحماية 1881-1934**، معهد الدراسات العربية ،مصر،1964،ص ص125-128.

[5]-علي محجوبي، **العالم العربي الحديث و المعاصر**، المرجع السابق، ص ص 120-126.

[6]-مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق،ص21.

[7]-علي المحجوبي، **انتصاب الحماية**....، المرجع السابق،ص102.

الدولة التقليدية، كما أن احتلال الجزائر لا يقوم على أي معاهدة بينهما أما في تونس فإن الأمر يختلف فاتفاقية"باردو" ثم"المرسى" يخولان لفرنسا حق الرقابة وتفرضان عليها واجب المساعدة، بينما الجزائر جزء لا يتجزأ منها[1].

وقد عرف التونسيون كالجزائريون منذ بداية الحماية النضال السياسي الذي بدأه الشيخ "محمد السنوسي" والشيخ" المكي بن عزوز"[2]وكانت سنة1884م[3] هي بداية العمل السياسي، وقد تخفى هذا الأخير في البداية وراء واجهات ثقافية كالجمعيات[4] والمدارس والصحف وقد بدأت النخبة نضالها أولا بالنهوض بالمجتمع وذلك من خلال الاصلاح الديني والاجتماعي والثقافي[5]حيث قامت به أساسا الصحافة(مثل جريدة الحاضرة التي تأسست1888م والزهرة1890م)والتعليم قامت به المدرسة الخلدونية التي تأسست 1896م[6] ؛وقد أعطت زيارة "محمد عبده" الثانية لتونس من9-22سبتمبر1903م نفسا جديدا للشباب التونسيين، فقام خريجوا المدرسة الصادقية بتأسيس جمعية قدماء تلاميذ الصادقية تولى رئاستها الأولى "خير الله مصطفى" ومن أعضائها البارزين "علي باش حانبه"[7]،وكانت تهدف إلى النهضة الفكرية والرقي الاجتماعي والتعريف بالنهضة الأوربية الحديثة[8].

---

[1]-خير الدين شترة ، **المهاجرون الجزائريون**...، المرجع السابق ، ص142 ،143.

[2]-ولد(1852-1916م) من أصل جزائري ،عالم من أعلام العلم ،والده صاحب زاوية نفطة الشهيرة أخذ العلم على علما جامع الزيتونة ،توفي بالاستانة للمزيد أنظر يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين** ،دار هومة ،الجزائر،2014،ص29،28.

[3]-في هذه السنة قاد أعيان تونس حركة احتجاجية قدموا عريضة للباي احتجوا فيها على الأضرار التي أصابت التونسيين و دعوا فيها احترام الدين .للمزيد أنظر نفسه ،ص ص26-29.

[4]-بعد أن تولى البشير صفر رئاسة جمعية الأوقاف(1898- 1908م)بنشاط سياسي ملحوظ مثل خطابه الذي دافع فيه عن الحضارة العربية الاسلامية أمام مؤتمر الجمعية الجغرافية الفرنسية بتونس1904م كما ألقى خطابا آخر أمام المقيم العام ستيفان بيشون(1901-1906م) عبر فيه عن افتقار جمعية الأوقاف إلى المواد الكافية للقيام بواجبها و ذكر أن البؤس قد عم قسما كبيرا من التونسيين بسبب المعاملات الاستعمارية. للمزيد أنظر نفسه ،ص34؛ وللمزيد عن نشاط البشير صفر أنظر البشير بن سلامة، **النظرية التاريخية في الكفاح التحرري التونسي** ،ج1،مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله ، تونس ،1977، ص ص112-128.

[5]-جلال يحي ،**العالم العربي الحديث والمعاصر: الفترة الواقعة بين الحربين** ،ج2 ،المكتب الجامعي الحديث، مصر،2010 ،ص698.

[6]-مجموعة من المؤلفين ، المرجع السابق ،ص 30 ،31.

[7]- من أصول تركية درس بالصادقية ،حصل على شهادة في الحقوق أنشأ جمعية قدماء الصادقية أصدر جريدة التونسي دافع عن حقوق التونسيين وساهم في أحداث طرابلس1911م فنفي إلى الأستانة وعمل بها ،وقف بقية حياته في الدفاع عن وحدة المغرب العربي.للمزيد أنظر الصادق الزمرلي ،**أعلام تونس** ،تر:حمادي الساحلي، ط1،دار الغرب الاسلامي، لبنان،1986 ،ص140.

[8]-يوسف مناصرية ، المرجع السابق ، ص36.

أسس"علي باش حانبة "جريدة التونسـي"في 7 فيفري1907م وطالب أصحابها بتـمثيل التونسييـن في المجلس الاستشاري والمشاركة في الحصول على أراضي الدولة، وطالبوا بتعليم اللغة العربية للتونسيين غيرها من المطالب[1]؛وانتهى الأمر بتكوين حركة تونس الفتاة بقيادة القائدين"علي باش حامبة"و"عبد العزيز الثعالبي"،استمرت الحركة في نشاطها حتى سنة1912م بسبب أحداث الجلاز[2]ومقاطعة الترامواي[3]بإبعاد قادة الشبان التونسيين وتعطيل جريدتهم وعطلت الصحف العربية وأعلنت حالة الطوارئ اثر اندلاع الح ع I [4].

يمكنا القول أن سياسة فرنسا في تونس تختلف عن مثيلتها في الجزائر، وهذا يرجع إلى طبيعة الاستعمار، فالقوانين والاجراءات كانت أشد وطأة على الجزائريين بينما كان نظام الحماية أقل منها وهذا لأنه يقوم على الجانب الاقتصادي، الأمر الذي سمح بالنشاط السياسي في وقت مبكر، وفي الوقت الذي كانت فيه الاجراءات الزجرية تمنع كل نشاط قد يبديه الجزائريون فإن تونس عرفت نوعا الحرية وكان لهذا أثر واضح على تطور النشاط السياسي في البلدين.

[1]-يحي جلال، المرجع السابق ، 699.

[2]- الجلاز مقبرة اسلامية أرادت بلدية العاصمة تسجيل هذه المقبرة في المحكمة العقارية المختلطة في 26-11-1911م بدعوى حمايتها، وهذا ما أثار ثائرة تونسيين، وحدثت مواجهة بين السلطات والتونسيين. للمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح**، ج1، دار البصائر، الجزائر،1988، ص ص70-74.

[3]-حادثة ترامواي عام1912م: تعود أسبابها غير المباشرة إلى حقد الشعب التونسي على شركة الترام بسبب سلوكها العنصري كما أن أغلب العاملين فيها من الإيطاليين، كما أن حادثة الجلاز مع حرب طرابلس قد أورثت الروح الانتقامية لدى التونسيين فكانت حادثة سحق الطفل التونسي بالترام القطرة التي أفاضت الكأس أدت إلى مقاطعة الشعب الركوب في عربات الشركة مما أدى إلى افلاس هذه الأخيرة كما أن تدخل قادة الحركة الوطنية ومطالبهم بتحقيق بعض المطالب مقابل انهاء المقاطعة جعل الفرنسيين يشعرون أن زمام الأمور سيفلت من أيديهم فقاموا باعتقال الزعماء الوطنيين... للمزيد أنظر نفسه،ص ص80-82.

[4]-خير الدين شترة، **اسهامات النخبة**... ، المرجع السابق، ص27 ،28.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية في البلدين

بعد أن ضمنت فرنسا سيطرتها السياسية والعسكرية على كل من الجزائر وتونس فإنها التفتت إلى الاقتصاد في البلدين، ورغم ما تنص عليه معاهدة الاستسلام (5 جويلية 1830م) من احترام ممتلكات الشعب الجزائري وكذا ما نصت عليه معاهدة باردو12ماي1881م في تونس؛ فإن سلطات الاحتلال مارست سياسة اقتصادية قائمة على النهب والسلب ومصادرة الممتلكات، وهذا لإرهاق الشعبين لتقضي على روح المقاومة لديه، وكذا لتستنزف خيرات البلدين.

1. الأوضاع الاقتصادية في الجزائر

أ. الفـــلاحـــــة

إن الحديث عن سياسة فرنسا الفلاحية في الجزائر تجعلنا نعود لدراسة موضوع الأرض حيث عرفت الجزائر أواخر العهد العثماني خمسة أنواع من الأراضي، وهي: أراضي الملك وأراضي العرش وأراضي المخزن وأراضي الموات و أراضي البايلك[1].

قبل الاحتلال كانت الجزائر بلدا فلاحيا بالدرجة الأولى فمناخها جميل وأرضها طيبة توجد بها مراعي شاسعة وسهول فسيحة تكثر فيها منتوجات أمريكا والهند كالأرز والكتان، بالإضافة إلى ما ينبت في أراضي أوربا، كما تنتج كميات هائلة من القمح والشعير والصوف والجلود والشموع أما مراعيها فتزخر بأنواع الحيوانات المختلفة[2].

ومع بداية الاحتلال تغيرت هذه المعطيات حيث عملت فرنسا على تسخير هذه الامكانيات لخدمة مصالحها، إذ بتولي" بيجو"منصب الحاكم في الجزائر فإنه أولى عناية كبيرة بقطاع الفلاحة حين أسند فلاحتها لكثير من العسكريين في مشروع قائم على فلاحة الأرض ومحاربة الأهالي[3]، وأقام حوالي7قرى نموذجية للاستيطان على شكل مزارع جماعية وأصدر عام1841م قرار يقضي بالاستلاء على أراضي الأهالي الثائرين ليستفيد منها المستوطنون الأوربيون ذلك أن السياسة الاستيطانية ارتبطت بالمصادرة والاستحواذ على الأراضي لتلبية حاجيات الاستيطان.

كما أصدر أمرا سنة1845م يقضي بالاستيلاء على أراضي القبائل الثائرة والمؤيدة للأمير "عبد القادر" وبموجبه استولت فرنسا على حوالي نصف مليون هكتـار من الأراضي؛ وفي العـام الموالي 1846م أصدر أمرا

---

[1] – محمد العربي الزبيري، **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1976، ص58،59.

[2] –محمد العربي الزبيري، **مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر،1985،ص106.

[3] – يحي بوعزيز، **سياسة التسلط**...،المرجع السابق ،ص11.

آخر للاستيلاء على أراضي القبائل المشاعة وتحويل ملاكها إلى عمال أجراء فيها خاصة إذا عجزوا عن اثبات ملكيتها[1].

وكان لقانون26أفريل1851م دفع كبير في تشجيع الفلاحة بالجزائر إذ منح بنك الجزائر قرضا لكل معمر مالك لأرض فتضاعف الانتاج الفلاحي من الحبوب في الجزائر الأمر الذي أنقذ فرنسا من أزمتها، وعلى هذا الأساس لم تصل سنة1860م حتى شملت الحقول الأوربية المزروعة نسبة9٪من مجموع المساحات المزروعة في الجزائر؛ وقد رافقت هذه السياسة الاستعمارية الزراعية إقامة مشاريع بداية1850م، حيث انطلقت عملية بناء الطرقات والسدود سنة 1854م والسكك الحديدية سنة1857م[2].

ومن أجل الحصول على الأراضي الزراعية قامت الإدارة الاستعمارية بعملية مزدوجة:

-عملت على الانتشار الواسع في المحيطات التعميرية الاستعمارية وذلك بتقليص من ملكية الجزائرية.

-ارتكزت على عدة وسائل للحصول على مزيد من الأراضي على حساب ملكية الجزائريين[3].

ففي حالة الحرب اعتمدت على القوانين التعسفية، كقانون الاستيلاب سنة1870م أما في حالة السلم فتوجهت إلى إصدار قوانين عقارية مثل قانون1863م الذي حدد كيفية تملك الأراضي وقانون سنة1873م الذي يهدف للقضاء على الملكية الجماعية للقبائل والأعراش، وقانون سنة1893م الذي أباح بيع أراضي المسلمين التي يطالب بها الدائنون الفرنسيون وطرد أصحابها منها[4]؛ وتجدر الإشارة إلى أن زراعة الكروم والقطن وغيرها من المزروعات التجارية حلت محل القمح[5].وقد زادت مجاعة1866-1868م من البؤس ومعاناة الفلاح الجزائري الذي خسر ماشيته وكذا محاصيله الزراعية[6].

ب. الصـنـاعـة

كانت الصناعة في الجزائر العثمانية تقوم على الضرائب والحرف والصنائع والأسواق وموارد البحر وكان الريف يساهم في تمويل المدينة بجزء مما تحتاجه من المواد الضرورية للصناعة، حيث كان السكان على مهارة في الصناعة بمقاييس ذلك العصر إلى درجة أنهم تمكنوا من صناعة النقود المحلية وتقليد النقود الأجنبية

---

[1] عميراوي أحميدة ،المرجع السابق ،ص 20،21.

[2] -عميراوي أحميدة، **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954**، المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص48.

[3] -نفسه، ص53.

[4] - شارل روبير أجيرون، المصدر السابق، ص ص21،24.

[5] -نفسه،ص170.

[6] -صالح العنتري، **مجاعات قسنطينة** ،تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1974،ص ص 54-58.

وقد تميزت الصناعة قبل الاحتلال بالتنظيم وشجعت الدولة صناعة السفن والأسلحة والذخيرة [1].

لكن بعد الاحتلال أصبحت الصناعة الأوربية تقوم على رأس المال وعلى الصناعة التحويلية والمنافسة الحرة وفائض الانتاج، والمانفاكتيرية[2]، لهذا حاولت سلطات الاحتلال استثمار موردها في الجزائر برأس مال حر وبفلاحة شبه تحويلية صناعية كالقطن[3] وبهذا اهملت الصناعة التقليدية الجزائرية واختفت مصانع الأسلحة والبارود وبالمقابل تضاعفت كميات المعادن المستخرجة[4].

ج. التجارة

قبل الاحتلال عرف النشاط التجاري في الجزائر ازدهارا بنوعية التجارة الداخلية والخارجية ،وأصبحت المدن الجزائرية مراكز تجارية هامة يؤمها الأهالي من مختلف القرى وكانت لها علاقات تجارية مع الدول الجنوبية أو ما يعرف بالسودان الغربي، وكذا مع البلدان المغاربية والمشرقية، إضافة إلى علاقاتها التجارية الواسعة مع البلدان الأوربية[5]؛ وبعد الاحتلال فإن التجارة الخارجية انكمشت ثم تم القضاء عليها نهائيا، ولم يعد هناك أي تجارة خارجية بل عمليات احتكارية تقوم بها مجموعة من المعمرين يجمعون الأرباح لأنفسهم على حساب فرنسا والجزائر في آن واحد، وبالتالي أصبح المعمرون يحتكرون عمليات التصدير والتوريد[6].

د. النظام الضريبي

خضع الأهالي لنظام ضريبي قاسي منذ بداية الاحتلال وبموجب المرسوم الصادرة يوم17-1-1845م تم وضع ترسانة من الضرائب منها:

- ضريبة الأجور على الأراضي المستأجرة وتدفع نقدا بعد جمع الغلة.

-ضريبة الزكاة و تدفع على الحيوانات.

-ضريبة العشور التي كانت تمثل14٪من أجر الدخل السنوي للفلاح وفيها انتهاك فضيع يحرم المجتمع الأهلي من أهم وسيلة لمواجهة الفقر.

-وفي عام1858م أحدثت الادارة الاستعمارية ضريبة أخرى هي ضريبة اللازمة[7].

---

[1]- حمدان خوجة، المصدر السابق ،ص ص 65-67.

[2]-هي ورشات صناعية أسرية منزلية وحرة يديرها مالك . أنظر عميراوي أحميدة، **آثار السياسة الاستعمارية**...،المرجع السابق،ص39.

[3]- نفسه، ص39.

[4]- الزبيري محمد العربي ،**الثورة الجزائرية في عامها الأول** ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984،ص19.

[5]-أرزقي شويتام ،المرجع السابق، ص64 ، 65.

[6]-محمد العربي الزبيري، **الثورة في عامها**.....، المرجع السابق،ص20.

[7]-عميراوي أحميدة، **آثار السياسة الاستعمارية**....، المرجع السابق، ص57.

-وفي13جويلية1874م أقرت الادارة ضريبة أخرى لزيادة مداخيل الخزينة الفرنسية، عرفت بالضريبة العربية يدفعها الجزائريون إضافة إلى الضرائب الفرنسية المباشرة التي تنهك كاهل المسلمين، وكان التفاوت الضريبي واضحا بين المعمرين والأهالي الجزائريين[1].

هـ .آثار السياسة الاقتصادية الاستعمارية على الجزائر

بعد أن كان الاقتصاد الجزائري قبل الاحتلال متوازنا ومنظما ومنسجما مع السكان فإن عملية الاحتلال صدعت هذا التوازن بسرعة وبصورة مباشرة وغير مباشرة من خلال المصادرة[2]؛ وكان ذلك بهدف القضاء على نفوذ الزعماء والقيادات حتى لا يتحولوا إلى قوة معارضة للوجود الفرنسي ومن أجل نقل الملكية بسهولة من الجزائريين إلى المعمرين للقضاء على قوة الأهالي السياسية والاقتصادية[3].

إن الضرائب الثقيلة المفروضة على الجزائريين والغرامات المرتفعة قد نتج عنه افقار الجزائريين مما أدى بهم إلى العمل كأجراء يوميين في أراضيهم التي أصبحت ملكا للمعمرين، كما أن الاجراءات غير قانونية أدت إلى تجريدهم من أملاكهم وأراضيهم وكان سبب ذلك القوانين المجحفة التي عرضتهم لعمليات المقايضة والسمسرة والربا التي كان يقوم بها الأوربيين والتي تميزت بالتلاعب بالعقود والصفقات الأمر الذي تسبب في إفلاس الكثير من الجزائريين وجعلتهم يفقدون أراضيهم[4].

ومن ناحية التجارية سيطرت الرأسمالية الاستعمارية على السوق الجزائري، وفتحت المجال للبضائع الفرنسية لتقضي على الصناعات المحلية. وقد أدى طرد العمال والفلاحون من أراضيهم ووظائفهم إلى انهيار القدرة الشرائية وتحطم رأس مال التجار والحرفيين الجزائريين وهو ما أدى إلى انتشار الفقر والبؤس[5].إن تربية المواشي التي تمثل تقليديا نشاطا أساسيا في اقتصاد الأهالي كانت في تراجع بسبب قلة الأراضي الصالحة للرعي إضافة إلى سياسة المياه والغابات وقد ساهمت الادارة الاستعمارية في افقار مربي الماشية من خلال مضاعفة العراقيل التي كانت تحول دون القيام بممارسة الرعي[6]؛كما أن الأهالي كفوا عن تخزين الحبوب في

---

[1]- محفوظ قداش، **الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939**،تر: أحمد بن البار، ج1،ط1، دار الأمة، 2008، ص37.

[2]-أندري بريان وآخرون، المرجع السابق، ص332.

[3]- أبو قاسم سعدالله ، **الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج1، دار الغرب الاسلامي ، لبنان ،1992،ص76.

[4]-ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق،ص76 ،77.

[5]-يحي بوعزيز، **سياسة التسلط الاستعماري** ...، المرجع السابق، ص ص 63-66.

[6]-عبد المالك خلف التميمي، **الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي : المغرب العربي- فلسطين- الخليج العربي : دراسة تاريخية مقارنة** ، عالم المعرفة ، 1983،ص25.

المطامير حيث كانوا يبيعونها للسماسرة الأوربيين بأثمان زهيدة، ثم يضطرون وقت الحاجة إلى شراءها منهم بأثمان باهظة[1].

2.الأوضاع الاقتصادية في تونس

أ. الفلاحـة

في الفترة الحديثة كانت تونس تشمل على مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة، أما عن ملكية الأراضي فهي لا تختلف عن الجزائر، حيث كانت هناك أراضي الأحباس وأملاك الدولة وأراضي ملك للقبائل وملكيات خاصة وهي قليلة[2]، وقد تنوعت المنتوجات الزراعية في هذه الفترة منها القمح والشعير والذرة والزيتون وقصب السكر وغيرها، كما تنوعت المنتوجات الحيوانية كالصوف والجلود والحرير[3].

ويذكر الثعالبي أن الفلاح التونسي هو أولا مربي للماشية، فقد كان يترك نصف أرضه مراعي للقطعان وكان هذا النشاط من أهم موارد البلاد، وكانت نتائجها مجالا لنشاط مزدهر بعد الاحتلال وجد الفلاحون أنفسهم محاطين من كل جهة بممتلكات المعمرين واستحال العمل عليهم في تربية المواشي لعدم وجود المراعي ولأن المعمرين رفضوا التمسك بالقوانين والأعراف التي نظمت البلاد[4].

وإذا كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر قائما على امتلاك الأراضي واستغلالها لفائدة المعمرين[5]، فإن هذا الطابع لم يتغير في تونس حيث صادرت الأراضي كما حدث في الجزائر، وأصبحت تابعة لملكية الدولة، وكان الهدف من ذلك القضاء على ملكية السكان وإضفاء الجنسية الفرنسية المسجلة فتصبح ملكا للدولة أو تحتفظ بها هذه الأخيرة للفرنسيين[6]؛ ونتيجة للمنافسة الإيطالية الفرنسية قامت فرنسا بتشجيع الهجرة الفرنسية إلى تونس وبالمقابل قامت بسن القوانين التي تسمح لها بالسيطرة على أراضي التونسيين لعل أولها قانون فيفري1882م الذي ينص على ضم أراضي البور إلى ملكية الدولة وبمقتضاه تم الاستيلاء على مساحات شاسعة وتوزيعها على المستوطنين[7].

---

[1]-شارل روبير أجيرون، المرجع السابق ، ص334.

[2]-محمد العربي الزبيري، **مدخل إلى تاريخ المغرب الحديث**...، المرجع السابق، ص104 ،105.

[3]-مليكة الشيخ، **العلاقات السياسية الاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر (18م)**، مذكرة ماجستير ،معهد العلوم الانسانية و الاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية،2011،(غ. م) ،ص135.

[4]-عبد العزيز الثعالبي، **تونس الشهيدة**، تر: سامي الجندي، دار القدس، لبنان، 1975،ص130.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص38.

[6]-عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص94.

[7]-عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص37.

كما أصدرت قرارا آخر في أول جويلية1885م يمنح ضمانات ثابتة للأراضي التي يملكها المعمرون كما تم انشاء محاكم عقارية مهمتها النظر في مطالب التسجيل في العقارات المدنية والريفية وقد فقدت الأرض بموجبه قيمتها كرمز الثروة والجاه الاجتماعي، واكتسبت قيمة اقتصادية حيث ارتفعت أثمان الأراضي كثيرا[1].

وقد تعاملت مع الأراضي المشاعة[2] كما فعلت في الجزائر إذ لم تعترف بها وتم مصادرة مساحات كبيرة منها[3]؛ وللاستيلاء على أراضي الغابات أصدرت أمرا بتاريخ4أفريل1890م ثم اتبعته بأمر آخرا سنة 1904م، وبالتالي تمت لها السيطرة على أراضي الغابات[4]، ولم تسلم أراضي الأوقاف من جشع الاحتلال إذ تم الاستيلاء عليها بموجب أمر13نوفمبر1898م وبيعت بأبخس الأثمان للمعمرين[5]، كما شملت العملية السيطرة على الأوقاف الخاصة[6].وهكذا كانت القوانين التي تصدرها السلطات الفرنسية كلها لصالح المعمرين مما أدى إلى ظهور بورجوازية فلاحية كبيرة[7]، ونتج عن تطبيق هذه السياسة أن أصبح ما يملكه المستوطنون في تونس بعد الح ع I يعادل 110.500هكتار؛ ويتميز الاستعمار الزراعي في تونس بالملكيات الكبيرة واستخدام الأيدي العاملة التونسية مأجورة دون أن تملك[8].

ب. الصناعة

قبل الحماية عرفت تونس العديد من الحرف والصناعات مثلها مثل الجزائر، وكانت تصنف حسب نوعية الحرفة، يشرف عليها أمين[9]، وقد ذكر الثعالبي بأن تونس كانت من أهم البلاد الصناعية على شواطئ البحر المتوسط إذ يقول:"...وفي البلاد ثروات عظيمة...قابلة للإنتاج وإثراء السكان بالأموال مثل المناجم والملاحات والغابات ومصائد الأسماك وفيها أيضا النبتات الزيتية والصمغية...وفي البلاد قابلية أوسع لإنتاج حرير دودة القز..."[10].

---

[1]-علي محجوبي ، المرجع السابق،ص ص 128-130.

[2]-وهي أراضي العرش يستغلها كامل أفراد القبيلة كل حسب طاقته. للمزيد أنظر العربي الزبيري، **التجارة**..، المرجع السابق، ص59.

[3]- عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص38.

[4]-الحبيب تامر ،المرجع السابق،ص ص43-45.

[5]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص 78-80.

[6]-عبد العزيز الثعالبي ،المصدر السابق ،ص115.

[7]-عبد القادر خليفي، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر-1899-1983**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، جامعة منتوري بقسنطينة ،2007،ص15.

[8]- عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص37.

[9]-مليكة الشيخ ، المرجع السابق، ص167.

[10]- عبد العزيز الثعالبي ،المصدر السابق، ص20.

لكن بعد الحمايـة أصبحت الصناعـة كغيرهـا من القطاعـات الأخرى في يد المستغليـن الأوربيين الذين يملكون الوسائل ورؤوس الأموال ودعم الدولة الاستعمارية وفي الوقت ذاته حرم التونسيون من ممارسة الصناعة إلا بصفة ضيقة، حيث يتم جلب اليد العاملة من الخارج[1]. وقد حرصت السلطات الفرنسية أن تظل الصناعة في البلاد تقليدية مما أدى بالصناع التونسيون إلى الفقر[2]، وهذا لتضمن فرنسا سيطرتها على السوق التونسية وتصبح مجالا مفتوحا للبضائع الفرنسية، كما سنت سياسة جمركية لتسهيل دخول الواردات الفرنسية وتصدير المواد الخام من تونس التي تدنت أثمانها ثم تعود بعد تصنيعها إلى تونس حيث تباع بأثمان باهظة[3]؛وقد كانت أهم المواد المستخرجة تتمثل في الفوسفات والحديد والرصاص والزنك والنحاس وهي أيضا أهم المواد التي كانت فرنسا تستغلها في الجزائر[4].

كما قامت فرنسا بمنع انتشار الصناعات الألية حتى لا تزاحم الصناعات الفرنسية[5]؛وقد سيطرت الشركات الاحتكارية على ثروات البلاد أبرزها الشركة الفرنسية الإفريقية وشركة الفوسفات وحديد قفصة وشركة الإيجار الفرنسية، والاتحاد العقاري التونسي وكلها كانت تستغل موارد البلاد وتستنزفها لصالح الاقتصاد الفرنسي[6].

ج. التـــجـارة

في الفترة العثمانية عرفت تونس تجارة داخلية وخارجية مزدهرة وتحولت إلى مركز تجاري هام، وقد اكتسبت فرنسا مكانة هامة في تونس منذ"لويس الرابع عشر"[7]، وعموما فإن التدخل الأوربي الذي عرفته تونس في منتصف الثاني من القرن التاسع عشر (19م)كان يعتمد على اقتسام السوق التونسية بين الدول الكبرى، وقد اكتسى التدخل الأوربي في تونس طابعا تجاريا قبل أن يصبح عسكريا وسياسيا[8].

عرفت التجـارة الداخلية نشاطا ملحوظا حيث كانت بيد الأوربيين أو وسطـاء مثل البورجوازية اليهودية

---

[1]– عبد القادر خليفي، المرجع السابق،ص16.

[2]– محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس، تونس ،1993،ص101.

[3]–الحبيب تامر، المرجع السابق ،ص49.

[4]–خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق،ص52.

[5]–محمد الهادي الشريف، المرجع السابق ،ص103.

[6]– عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص39.

[7]–مليكة الشيخ، المرجع السابق، ص52.

[8]–علي محجوبي، **العالم العربي الحديث**...، المرجع السابق، ص40.

التي سرعان ما تفرنست وكان ذلك سببا في ازدهار الاقتصاد النقدي خاصة في المناطق التي شهدت تسرب الأوربيين إليها، وبفضل التحسينات التي أدخلت على النظام الجمركي لفائدة فرنسا سنة 1890م ثم في سنة 1928م وازدهرت التجارة الاستعمارية التي كانت قائمة على تصدير المواد الأولية واستراد المواد المصنعة[1].

وللإشارة فإن الاصلاحات الفرنسية في هذا القطاع بقيت محدودة ولم تمس السكان التونسيين إلا بعد سنة1887م، حيث تم إصلاح المحصولات والتخفيض في الكثير من المعالم والتقليل من الاجراءات المتبعة في الأسواق العمومية وإلغاء نظام اللزمة[2].

د. الضرائب

وقد أثرت الميزانية التونسية من الضرائب المباشرة ومن الرسوم التي تسلط أساسا على الفئات الكادحة، وقد جاءت السياسة الجبائية لسلطات الحماية لتستجيب لغرضين أساسين: الحفاظ على المصالح المكتسبة في الماضي والعمل على تحقيق مكاسب جديدة تمكن من فتح الآفاق دون اللجوء إلى الخزينة الفرنسية ولذلك أبقت على النظام الجبائي التونسي وحافظت على نظام اللزمة ونمط جمع الضرائب وغيرها من الطرق المشينة التي يستفيد منها المسيرون ويتحمل أعباءها الفقراء وليحقق المعمرون مزيدا من المكاسب ظلت الضرائب مرتفعة[3].

ج. آثار السياسة الاقتصادية الاستعمارية على تونس

إن تجربة فرنسا الاستيطانية في تونس لا تختلف عن ممارستها الاستيطانية الاستغلالية في الجزائر، حيث تم انتزاع الأراضي ونهبها على نطاق واسع كما حدث في الجزائر[4]وتحويل الأرض التونسية إلى أرض فرنسية وأصبح أصحابها غرباء فيها؛ ونتيجة لمصادرة أراضي التونسيين فقد أفلس الكثير من ملاك الأراضي واضطروا لممارسة مهن حرة ووظائف بسيطة، وأصبحت البورجوازية الصغيرة من الموظفين الكادحين وأصحاب المتاجر والمكاتب وصغار أرباب الصناعات وانتزعت مساحات شاسعة من أراضي القبائل واستولت على بعضها الشركات ونتج عن هذا أن أصبح عشرات الآلاف من الفلاحين الذين انتزعت منهم أراضيهم يدا عاملة في مزارع ومناجم ومصانع وشركات نقل المعمرين الأمر الذي تسبب في انتشار الفقر والبؤس[5].

وقد نتج عن نظام الحماية تضعضع الأوضاع الاقتصادية وإدخال على اقتصاد البلاد مظاهر عصرية لم

---

[1]-محمد الهادي الشريف ، المرجع السابق ، ص103.

[2]-علي محجوبي، **انتصاب الحماية**....، المرجع السابق،ص119.

[3]-نفسه، ص ص 118-120.

[4]- عبد المالك خلف التميمي، المرجع السابق، ص38.

[5]- عبد العزيز الثعالبي ،المصدر السابق، ص125.

تنسجم معها على الوجه الأكمل، لقد حول الاستعمار الفرنسي تونس بداية من سنة1881م إلى مصدر للمواد الفلاحية والمعدنية وللجنود من جهة وموردا للمنتجات المصنعة الفرنسية والأوربية من جهة أخرى[1].

نتيجة للإهمال الذي تعاني منه الصناعة والضرائب المفوضة على المواد الأولية الضرورية للصناعة، فقد تحطمت الصناعة المحلية وتخلى الحرفيون عن صناعاتهم، مما أدى إلى انتشار البطالة والفقر والبؤس[2]؛ وكون المعمرون ثرواتهم من عرق الطبقة الكادحة الضعيفة[3].

وخلاصة القول أن السياسة الاستعمارية استهدفت الانسان في ممتلكاته وكيانه، فقامت على النهب والسلب والمصادرة وإرهاق كاهل السكان بالضرائب وسن القوانين العقارية الجائرة التي زادت في فقر وبؤس ومعاناة الانسان الجزائري والتونسي ووجهت اقتصاد البلدين لخدمة مصالحها على حساب الشعبين؛ وإن هذه السياسة الجائرة قد ولدت لدى الجزائريين والتونسيين الوعي بضرورة الدفاع عن حقوقهم، وبالتالي ظهور شخصيات تطالب باستعادة الأراضي المصادرة والمساواة في فرص العمل والأجر وهذا ما سنتطرق له في الفصول اللاحقة.

[1]-خير الدين شترة، **المهاجرون الجزائريون في تونس**....، المرجع السابق، ص 92 ،93.

[2]- عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص149.

[3]- علي محجوبي، **انتصاب الحماية**....، المرجع السابق، ص120.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية في البلدين

بما أن الاستعمار الاستيطاني يقوم على إقامة كيان اجتماعي جديد فهذا معناه القضاء على العنصر المحلي في البلد المستعمر وهذا ما عملت عليه فرنسا منذ احتلالها للجزائر وفرض حمايتها على تونس، حيث كانت تهدف إلى تحطيم الانسان ومحو أي أثر له وتفتيت أواصره من خلال إدخال عنصر جديد عليه أتاحت له فرصة التفوق على الانسان المحلي امعانا منها في قهره وافناءه إضافة إلى استهداف الاستعمار الفرنسي في البلدين الثقافة الوطنية لهذا فإنه عمل على هدم المقومات المعنوية للمجتمعين وبما أن احدى مقومات الاستعمار الاستيطاني هي ربط الشعب المستعْمَر حضاريا وثقافيا بالشعب المستعْمِر، فإن السلطات الفرنسية اتخذت جملة من الاجراءات للقضاء على المقومات الشخصية للشعبين.

1. الأوضاع الاجتماعية

أ. في الجزائر

في الجزائر العثمانية كان المجتمع الجزائري ينقسم إلى مجموعتين: مجتمع المدينة يتميز بوجود الطبقة الحاكمة والمالكة ويتشكل معظم أفرادها من العثمانيين والحضريين والكراغلة ورجال المخزن، وهذا في كبريات المدن الجزائرية[1]، أما سكان الأرياف فكانوا يشكلون الأغلبية إذ تتراوح نسبتهم بين90و95٪من مجموع السكان، وكانت عبارة عن قبائل منظمة[2].

لكن مع بداية الاحتلال تعرض الشعب الجزائري لأخطر عملية هدم وفتكت الآلة الاستعمارية بالعنصر البشري، إذ منذ يوم5جويلية1830م تعرض سكان العاصمة للقتل والتشريد وفي26نوفمبر1830م ونفس الجريمة على يد "روفيقو "في أفريل 1832م عندما أباد قبيلة العوفية عن أخرها[3].

وقد اتضحت استراتيجية الاحتلال ومخططه التنفيذي سنة1832م من خلال ما قاله "الماريشال جيرار" وزير الحرب الفرنسي:" ينبغي أن نقبل بأن تهجير السكان إلى نواحي بعيدة، وحتى إبادتهم وتخريب وحرق و تدمير زراعتهم قد تكون الوسائل الوحيدة لترسيخ سيطرتنا"[4]، وقد تواصلت حرب الابادة طوال الخمسين

---

[1]-أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري وفعاليات في العهد العثماني:1519-1830**، دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجزائر 2005، ص ص 77-89.

[2]-أرزقي شويتام، **نهاية الحكم العثماني** .....،المرجع السابق،ص81.

[3]-جمال قنان، **قضايا ودراسات**....،المرجع السابق،ص133.

[4]-نقلا عن محمد العربي ولد خليفة، **الاحتلال الاستيطاني للجزائر-مقاربة للتاريخ الاجتماعي والثقافي**، منشورات ثالة، الجزائر ،2008، ص55.

سنة الأولى للاحتلال بحقد قل نظيره في الحروب التي عرفتها البشرية[1].

وقد شجعت السلطة الفرنسية في الوقت ذاته الذي كانت تشن فيه حرب إبادة ضد الجزائريين الهجرة الأوربية إلى الجزائر فازداد عدد المهاجرين من28ألف مهاجر سنة1840م إلى أكثر من110ألف مهاجر سنة 1848م[2]؛ وقد نتج عن سياسة فرنسا الاجتماعية آثار سلبية نذكرها كما يلي:

-إقامة كيان اجتماعي غريب عن المجتمع الجزائري وخاصة أن المهاجرين الأوربيين خلال المراحل الأولى للاحتلال كانوا من حثالة المجتمع الأوربي؛ واستأثروا بالسلطة السياسية وبخيرات البلاد[3].

-تم تحطيم العائلات الجزائرية الكبرى التي كانت تمثل القيادات للمجتمع الجزائري روحيا وماديا واداريا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وفكك المجتمع الجزائري[4].

-حيث كانت القبيلة هي الخلية الاجتماعية الأساسية التي يشد بعضها بعضا بصلاة وثيقة وبقيت الأحلاف القبلية درعا خصبا ضد الطوارئ الطبيعية ومكنت أراضي العرش الفلاحين من التخلص من أطماع المعمرين وكانت الاستشارة المؤرخة22أفريل1863م أول اجراء فجر القبلية وحل أسباب وحدتها فقسمت إلى دواوير لكل واحدة نوعها الخاص وبداخلها تكونت جمعيات للملكية الفردية وبذلك كسرت أواصر الاتحاد التقليدية حفاظا على مصالح المعمرين ولتحقيق أهدافها.

-انحطاط العائلات الكبرى التقليدية التي جابهها المعمرون بالكره بعدما حرمت هذه العائلات الكبيرة من قيادتها والمنافع المتصلة بذلك وانحدرت تدريجيا نحو الفقر وفقدت اتباعها الذين كانت تستمد منهم قوتها وأفلست هذه العائلات تدريجيا مما اضطرها إلى التنازل عن اراضيها أو خيولها، كما فقد الأجواد مكانتهم فتحولوا إلى فلاحين بسطاء أو حراس في بلديات الاحتلال ومنها من كان يعاني الفقر والبؤس.

إن القلة القليلة من العائلات التقليدية التي تمكنت من الحفاظ على مكانتها في شمال الجزائر كانت تلك العائلات التي عملت على تعليم أبنائها الفرنسية وعرفت كيف تندمج في المجتمع الاستعماري وعائلات الأجواد أو الشرفة الذين حافظوا على جزء من سلطتهم وثروتهم هم الذين فظلوا خدمة فرنسا على فقدان مكانتهم[5]. تم تحطيم ما يعرف بالبورجوازية الجزائرية في المدن الكبرى وكانت تتألف من التجار والحرفيـين

---

[1]- عميراوي أحميدة، **آثار السياسية**....، المرجع السابق، ص47.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر1830-1992**، دار الارشاد، الجزائر، 2013، ص 328.

[3]-مصطفى الأشرف، **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة، الجزائر،2007،ص320.

[4]-يحي بوعزيز، **سياسة التسلط**...، المرجع السابق،45.

[5]-أندري بريان وآخرون، المرجع السابق ،ص332.

والقضاة والمثقفين فشردوا وزوحموا في أعمالهم من طرف الجالية الأوربية التي كانت تتصف بالشراهة في ميدان الاقتصاد والغلظة والقسوة في ميدان السياسة والادارة[1]،مما أدى إلى تقلص المساحات الزراعية ومصادرة الأراضي الزراعية الخصبة لصالح المعمرين كما أن السلطات الفرنسية في باريس قد تخلت عن ممارسة نفوذها في الجزائر لصالح المعمرين[2].

تراجع عدد السكان في الجزائر الذي كان يصل إلى حوالي3ملايين نسمة أثناء فترة السبعينات من القرن 19م، وقد فقدت الجزائر خلال الح ع I161.377جزائري إضافة72.035من جرحى[3]وأصبح أكثر من نصف مليون شخص يسكنون الأكواخ في حالة اجتماعية يرثى لها، حيث لا غذاء كاف ولا عناية صحية ولا عمل يوفر لهم الغذاء الضروري[4]، وقد انتشر الثالوث الخطير من مرض وجهل وفقر مدقع وتفشي الأمية والأوبئة الفتاكة خاصة بعد أن سلبت منهم أراضيهم[5]وكان الاستعمار قد أغلق أبواب الكسب الكبيرة في وجوه الجزائريين وخص بها أبناءه وحرم الجزائريين من ميادين الرزق وعودتهم البطالة، وفتح لهم أبواب الفساد الخلقي ودفعهم إليها بكل وسائله. وكان الاستعمار يذكي العدواة والبغضاء بين الجزائريين ويمزقهم إلى طوائف تتناحر فاتجهت عداوتهم إلى بعضهم البعض[6]، كل هذه العوامل السابقة وغيرها أدت بالجزائريين إلى الهجرة إلى الخارج سواء كانت فردية أو جماعية لعائلات جزائرية إلى المناطق النائية أو إلى الخارج باتجاه أوربا خاصة فرنسا وباتجاه المغرب العربي والمشرق العربي، وقد ساهم المهاجرون الجزائريون في بناء فرنسا المخربة من الح ع I ووجدت فيهم يدا عاملة رخيصة تم تسخيرها للأعمال الشاقة[7].

وبالمقابل تحسنت الظروف المعيشية للعمال المهاجرين وتزايد الوعي الوطني بصفة خاصة لدى الجزائريين نتيجة لبعدهم عن القمع السياسي والفكري داخل الجزائر، وبعد احتكاكهم بالأوساط العمالية والنقابية في فرنسا وهناك برزت فكرة الاستقلال لدى المهاجرين الجزائريين وحمل مصالي الحاج لواء فكرة الاستقلال التي رسم معالمها الأمير خالد، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في الفصول اللاحقة.

---

[1]- يحي بوعزيز ،**سياسة التسلط**....، المرجع السابق ،ص45.

[2]- ناصر الدين سعيدوني ،**دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث**...، المرجع السابق،ص327 ،328.

[3]-محمد العربي ولد خليفة ، المرجع السابق، ص63.

[4]-يحي بوعزيز ،**سياسة التسلط** ....، المرجع السابق،ص52.

[5]-ناصر الدين سعيدوني ،**دراسات و أبحاث**...،المرجع السابق،ص328.

[6]-أبو عمران بن الشيخ ، **قضايا في الثقافة و التاريخ**، مشورات ثالة ،الجزائر ،2007،ص25 ،26.

[7]-محمد العربي ولد خليفة ، المرجع السابق ،ص69.

ب.في تونس

إن سياسة الاستيطان الفرنسي في تونس منذ بداية الاحتلال كانت تختلف عن سياستها في الجزائر، إذ عملت على تشجيع الاستيطان الحر في تونس بعد أن استفادت من تجربتها في الجزائر التي بدأت فيها بالاستعمار الرسمي وفي الواقع كانت مهمتها في تونس سهلة لا تقاس بالصعوبات التي واجهتها في الجزائر، إلا أن الاستيطان الحر لم يشجع سوى عدد قليل من الفرنسيين على الهجرة وكانت الأغلبية من الإيطاليين[1]، لهذا لجأت فرنسا إلى الاستيطان الرسمي وذلك لموازنة العنصر الإيطالي، وقد كانت هذه السياسة تهدد مستقبل البلاد نظرا لقلة الكثافة السكانية عند أهل البلاد الذين كان عددهم يقدر بحوالي مليون ونصف نسمة سنة1881م[2]، وقد أبيح للوافدين الأوربيين انتزاع الأراضي وامتلاكها[3].

ويتجلى الاهتمام الفرنسي بالعنصر الأجنبي على حساب الأهالي في قرار منح الجنسية الفرنسية للأجانب وهذا ما فعلته فرنسا في الجزائر أيضا حيث منحت اليهود الجنسية الفرنسية وذلك في سنة1870م وللإشارة فإن يهود تونس تعاونوا مع المستوطنين الأوربيين كما تعاون يهود الجزائر معهم وقبلوا التجنس بالجنسية الفرنسية[4] للحفاظ على امتيازاتهم[5].

وقد كانت تونس مقصدا للمهاجرين الجزائريين سواء بهدف البقاء بها أو المرور منها إلى المشرق، وقد عرفت زيادة ملحوظة بعد سقوط قسنطينة وانهزام جيوش"الأمير عبد القادر"وهناك عائلات جزائرية تم نفيها مثل عائلة "المدني" و"بوشوشة" و"السنوسي" و"الثعالبي" و"القلاتي"[6]. كما عرفت الجزائر هجرة كبيرة إلى تونس بعد القضاء على المقاومة الشعبية المسلحة التي قادها"المقراني" و"الشيخ الحداد"و"الشيخ بوعمامة"،وفي أعقاب ثورة "المقراني" سنة1871م تم إصدار أحكام بطرد المئات من العائلات إلى تونس ومن جراء القرارات والقوانين التعسفية التي طبقت على الجزائريين خلال الفترة (1871-1900م)،وخاصة قانون الأهالي اضطر المئات من الأهالي سنة1874م إلى الهجرة عن البلاد[7].

ومنذ بداية الحماية قام المهاجرون الجزائريون بدور هام في مقاومــة الاحتلال كما أنهم ساهموا في النشاط

---

[1]-عبد المالك خلف التميمي ، المرجع السابق ،ص36.

[2]-ناصر الدين سعيدوني، **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر**...، المرجع السابق ، ص76.

[3]-خير الدين شترة ، **المهاجرون الجزائريون** ، المرجع السابق ، ص92.

[4]-بعد الحصول اليهود في الجزائر على الجنسية الفرنسية بموجب قرار كريمو 1871م فإن يهود تونس أرادوا الحصول على الجنسية الفرنسية لحماية مصالحهم و لضمان المساواة مع الفرنسيين. للمزيد أنظر أحمد توفيق المدني ، المصدر السابق، ص ص83-85.

[5]-عبد الحميد زوزو، **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر**..، المرجع السابق، ص77.

[6]-أبو قاسم سعدالله ،**تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج5،دار الغرب الاسلامي ، لبنان،1998 ،ص488.

[7]-خير الدين شترة ، **الطلبة الجزائريون**.... ،المرجع السابق ، ص256.

السياسي والصحفي في تونس و اعتبروا القضية التونسية قضيتهم[1].

وإذا كان النمو الديمغرافي في الجزائر قد عرف تراجعا بل تقهقر واضحا بسبب حروب الابادة التي شنتها فرنسا على الشعب الجزائري وتعويضهم بالعنصر الأوربي[2]، فإن النمو الديمغرافي في تونس ومنذ سنة (1881-1919م) قد عرف استقرارا حيث قدر العدد الاجمالي للسكان بمليون ونصف نسمة ونظرا لقلة عدد السكان فإن تونس كانت تستقطب اليد العاملة من البلدان المجاورة لها، ولم يرتفع إلا مع مطلع القرن20م بسبب ارتفاع الولادات وانخفاض الوفيات نتيجة القضاء على الأمراض؛ أما عن أهم الأثار الاستعمارية على المجتمع التونسي، فيمكننا إدراجها في النقاط التالية:

-انفراد المستوطنون وفي مقدمتهم أصحاب المال والأعمال والنفوذ السياسي والاقتصادي ووظفوا دواليبه لخدمة مصالحهم، وقد احتكر هؤلاء المقاعد النيابية بالمجالس التمثيلية وسيطرتهم على كبريات الصحف والجمعيات المهنية، وهكذا تحول المستوطنون إلى مجتمع منظم يتحكم في وسائل التأثير السياسي والاقتصادي ويوجه الخيارات التي تمس شؤون البلاد ومستقبلها[3].

-الفوارق داخل المجتمع التونسي واضح مثلها في المجتمع الجزائري، وهي تخضع إلى التغيرات الاجتماعية التي تتولد عن اختلاف محصول الفلاحة حسب السنين، حيث يوجد عدد قليل من كبار المالكين وعدد أكبر من متوسطي الفلاحين وصغارهم والمتصرفون في أراضي الأوقاف وصغار الشركاء بالربع أو خمس ومنها العملة الفلاحون والرعاة[4].

-وكان من أثر الحدث الاستعماري أن ضعضع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية القديمة دون أن يوفق دوما إلى تلافي الأمر بضرب مستحدث من التوازن وقد أدخل مظاهر جديدة، حيث ظهرت شريحة من التونسيين الرأسماليين يملكون وسائل عصرية وينتجون أساسا للسوق وكانوا إفرازا لمؤثرات الاستعمار الرأسمالي الفرنسي في تونس[5].

-تفكيك الأطر التقليدية للعلاقات الاجتماعية نتيجة لتطور هياكل الإنتاج وهو ما أفرز تصنيفات اجتماعية جديدة منها بروز نظام الاجارة وشموله لجل القطاعات الاقتصادية وظهور شرائح اجتماعية عصرية مثل

---

[1]-محمد صالح الجابري ،**النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس1900-1962**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت)، ص268.

[2]-محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق، ص63.

[3]-خليفة شاطر وآخرون ، المرجع السابق، ص45-46.

[4]-شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير...**، المصدر السابق، ص 92-93.

[5]-خير الدين شترة، **المهاجرون الجزائريون**.. ، المرجع السابق، ص93.

أرباب الصناعات وأصحاب الأعمال الحرة[1].

-تحطيم البورجوازية المحلية واضعافها وابعادها عن الاسهام في استغلال ثروات البلاد وانحصر دورها في المشاريع الصغيرة أو توظيف جزء منها لخدمة الاحتكار الأجنبي وأصبحوا عمالا في مزارع ومناجم المعمرين، وكانوا يعانون التمييز العنصري وقلة الأجر وانعدام الضمانات وبالتالي لم تكن حالتهم تختلف عن حالة الجزائريين.

-كما انتشرت في المجتمع التونسي الآفات الاجتماعية وتدهورت الأوضاع الصحية إذ لا مستشفيات يقصدها التونسيون، وانتشرت الأمراض خاصة المعدية منها وعم الفقر والجوع وكثر عدد المتسولين، وكانت الضرائب واقعة كلها على عاتق التونسيون.

-نتج عن السياسة الاستعمارية الفرنسية انقسام الشعب التونسي إلى فئتين سماها الثعالبي بالعرق الأعلى والعرق الأدنى، يمثل الأولى المعمرون المسيطرون على كل مقدرات الحياة والثانية تمثلها الطبقة المضطهدة وهم التونسيون[2].

-الواقع أن فترة ما بين الحربين قد شهدت عملا حثيثا للتونسيين على الصعيدين الاجتماعي والسياسي فخلالها تمكنت جماعة من سكان جربة من اقتحام ميدان التجارة ومنافسة العناصر الإيطالية واليهودية [3]وقد تمكنت البورجوازية المتوسطة والصغيرة من الارتقاء بسرعة في السلم الاجتماعي بفضل مواكبة تقدم الفلاحة الأوربية أو الاستفادة من الطرق الرأسمالية في المجالين التجاري والمصرفي. وهذه النخب الاقتصادية ستكون أداة للتغيير في عدة مجالات منها المساهمة في العمل السياسي[4]وكذا النهوض بحركة التعليم في البلاد وأوضح مثال على ذلك تلاميذ المدرسة الصادقية الذين برزوا في الصحافة والسياسية وكان لهم دور كبير في دعم الحركة الوطنية[5]، وهذا ما سندرسه في الفصول اللاحقة.

يمكننا القول في الأخير أن الشعب التونسي كان له نصيب من المعاناة والآلام بسبب السياسة الاستعمارية الفرنسية، حيث عانى من الفقر والشقاء والتمييز العنصري لكن هذا لا يقارن بما عناه المجتمع الجزائري الذي كانت فرنسا تهدف إلى ابادته كليا والقضاء عليه واحلال العنصر الأوربي محله، وهذا يرجع إلى أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر كان استعمارا استيطانيا هدفه البقاء في الجزائر.

---

[1]- خليفة شاطر آخرون ، المرجع السابق، ص47.

[2]- عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق،ص194.

[3]-عبد الحيد زوزو، **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر**..، المرجع السابق ،ص78.

[4]-خليفة شاطر وآخرون ، المرجع السابق، ص47.

[5]-عبد الحيد زوزو، **دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر**...، المرجع السابق ،ص78.

2. الأوضاع الثقافية في البلدين

أ. في الجزائر:

في اطار محاربة الثقافية الوطنية وهدم المقومات المعنوية قامت فرنسا بجملة من الاجراءات التعسفية منها:

- **سياسة فرنسا ضد الإسلام واللغة العربية:** بهدف القضاء على الدين الاسلامي أصدرت فرنسا جملة من القرارات منها قرار8 سبتمبر 1830م الذي استولت على جميع أملاك الأوقاف الاسلامية في كل البلاد وترخيصا لهذا القرار أصدرت قرار آخر يوم7ديسمبر1830م مكنها من حرية التصرف بالأوقاف وبعدها اتجهت إلى المساجد والزوايا فحولتها إلى كنائس[1] وثكنات واسطبلات[2] كما تحولت المباني الخاصة بالمؤسسات التعليمية والأعمال الخيرية إلى أغراض أخرى والتي كانت تقوم بها بعد ما سلبت منها أراضيها واستولت على الأموال التي كانت بين أيدي الأشخاص القائمين على شؤنها لتصرف في مجالات أخرى[3].

إضافة إلى ذلك كانت السلطات الفرنسية في الجزائر تراقب خطب الوعظ والارشاد كما كانت تقوم بتعيين أفراد لا علاقة لهم بالدين بعد تدريبهم على الجوسسة من أجل خدمة مصالحها[4].كما أخضعت الزوايا للمراقبة والتحكم في وكلائها وتهديم بعضها وقاموا بإيجاد زوايا منافسة لها وهذا للقضاء على دورها التعليمي[5]،وفي مقابل ذلك أطلقت العنان للحركات التنصيرية من خلال تشجيع الآباء البيض والأخوات البيض وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الحقد الدفين على الاسلام والمسلمين ومحاولة محو هزيمة الحروب الصليبية[6]؛ وقد استغل الكاردينال "لافيجري" ظروف معيشة الجزائريين الناتجة عن الاحتلال والمجاعات والجفاف فتستر وراء تقديم الإغاثة للمتضررين فعملوا على تنصير الجزائريين كخطوة أولى لإدماجهم في فرنسا[7]، ويندرج في إطار سياسة هدم المقومات المعنوية للمجتمع اهمال القضاء الاسلامي ورجاله من القضاة بإلغاء المجالس الاستشارية والمجلس الأعلى للقانون الاسلامي في سنة 1875 م وخفض عدد القضاة المسلمين وأسندت مهـامهم إلى القضاة الفرنسيين الذيـن أصبحوا يتولـون اصدار أحكامهـم طبقا للقانـون

---

[1]-أبرز لذلك ما حدث لمسجد كتشاوة الذي حوله الدوق دوروفيقو إلى كنيسة القديس فليب. للمزيد أنظر خديجة بقطاش، **الحركة التبشرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871**، دار دحلب، الجزائر،2007، ص29.

[2]-يحي بوعزيز، **سياسة التسلط**..، المرجع السابق ، ص9.

[3]-جمال قنان، **قضايا ودراسات**...، المرجع السابق، ص120.

[4]- يحي بوعزيز، **سياسة التسلط**..، المرجع السابق، ص10.

[5]-سعيد بوخاوش، **الاستعمار الفرنسي والسياسة الفرنسية في الجزائر** ،دار تفيتلت، الجزائر،2013،ص70.

[6]-أبو قاسم سعدالله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،ج3، دار الغرب الاسلامي، لبنان،2005،ص20.

[7]-خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص105.

الفرنسي[1]؛ ويعتبر مرسوم10سبتمبر1886م هو الخطوة ما قبل الأخيرة لتصفية القضاء الاسلامي نهائيا[2].

وللقضاء على اللغة العربية فإن السلطات الفرنسية بالجزائر اتبعت سياسة التجهيل وكانوا يدعون أن الجزائريين لا يقبلون على المدارس خوفا من التنصير ولعل أبرز الأسباب لسياسة التجهيل المعتمدة هو معاقبة الجزائريين على مقاومتهم المسلحة كما أن الفرنسيون كانوا يخشون من أن التعليم يؤدي بالجزائريين إلى اليقظة[3]،ولهذا عملت سلطات الاحتلال جاهدة للقضاء على اللغة العربية واعتباها لغة أجنبية وشجعت محلها اللغة الفرنسية واللهجات المحلية في اطار القضاء على اللغة و الثقافة العربية للجزائريين [4].

- **سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**:ما يعرف عن السياسة التربوية في الجزائر في ظل العهد العثماني إنه لم تكن هناك سياسة تربوية بالمعنى الحرفي، إلا أن التعليم كان منتشرا في كل أنحاء الجزائر حيث انتشرت الكتاتيب والمساجد والزوايا التي يشد إليها الرحال و عرفت بإشعاعها العلمي و الثقافي وسمعتها الطيبة.

وبعد الاحتلال اتبع الفرنسيون في مسعاهم لطمس معالم اللغة العربية بالجزائر أسلوبا متدرجا بدأ بغلق المدارس والمعاهد العربية ومنع تعليم اللغة العربية ومنع تدريسها أو فتح مدرسة للعربية أو كتاب لتحفيظ القرآن إلا بترخيص خاص لا يمنح إلا في حالات استثنائية كما نص على ذلك قانون أكتوبر1894م. وفي المقابل بدأ العمل على نشر اللغة الفرنسية عن طريق المدارس حيث كان تعلم الفرنسية شرط كل ترقية اجتماعية[5].

كما وجه الاحتلال ضربة قاسية للمثقفين فقتل ونفي وزج في السجون وظل يطارد ويضطهد من بقي حيا لمنعه من القيام بواجبه[6]؛ فقامت الجمهورية الثالثة في سنة 1871م بإغلاق المدارس الابتدائية والتكميلية بحيث لم تسلم من هذا الإجراء سوى16مدرسة في سنة1882م وكان للتشريع المدرسي الجديد الذي أخرجه وزير التربية العمومية والفنون الجميلة "جول فيري" والمتضمن إنشاء مدارس لتعليم الجزائريين وجعل التعليم إجباريا ردود فعل مناهضة في أوساط المعمرين[7]، حيث رفضته البلديات التي كانت ترى في تعليم الجزائري خطرا على بقائها في الجزائر، وقد كانت نسبة الأطفال الذين يزاولون التعليـم الابتدائي1.9٪

---

[1]-عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار و حركات التحرر**...، المرجع السابق، ص73.

[2]-جمال قنان، **دراسات في المقاومة والاستعمار**...، المرجع السابق،ص101.

[3]-سعيد بوخاوش ، المرجع السابق ، ص80.

[4]-حسان صبحي، **النظام التربوي الاستعماري في الجزائر1830-1852**، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر،2005،ص 105.

[5]-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ، ص76 ،77.

[6]-محمد العربي الزبيري، **الثورة في عامها الأول**...، المرجع السابق، ص24.

[7]شارل روبير آجيرون، المصدر السابق، ص262.

من مجموع الأطفال الذين هم في سن التعليـــم وبالنسبة للتعليـم الثانوي فإن عدد الطلبة فيه لا يزيد عن84 طالبا سنة1900م[1].

كما قامت سياسة فرنسا التعليمية على تشويه تاريخ وجغرافية الجزائر من خلال الاهتمام بتدريس تاريخ الجزائر تحت الحكم الروماني وفي العهد الاستعماري مع تجاهل تاريخ الجزائر العربي الاسلامي، كما تم الاستغناء عن جغرافية الجزائر بتدريس جغرافية فرنسا بهدف قتل الروح الوطنية وقطع ارتباط الجزائر العربي الاسلامي[2].

- **ظهور الصحافة الوطنية:** لمواجهة المشروع الاستعماري الرامي لطمس معالم الهوية الوطنية فإن الجزائريون أدركوا مع مطلع القرن 20م أهمية الصحافة في الدفاع عن الهوية الوطنية وعن حقوقهم[3]؛ ولقد كانت نشأة الصحافة في الجزائر فرنسية لأن الجزائر لم تعرف هذه الظاهرة الاعلامية والثقافية بالرغم من مرور قرنيين من الزمن على ظهورها في أوربا وعليه فقد كانت نشأة الصحافة في الجزائر مبادرة فرنسية[4]، وقد احتكر الكولون الصحافة إلى غاية سنة1900م إلا أن هذا الاحتكار زال عندما ظهرت للوجود صحافة وطنية أنشأها الجزائريون في بداية القرن20م[5] وكان روادها ينتمون إلى مختلف الاتجاهات إلا أن هدفهم واحد وهو استعمال الصحافة كوسيلة للتعبير عن مطالبهم الوطنية[6].

وقد أدت الصحف الوطنية[7] دورا رائدا في رفع مستوى الوعي الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي في المجتمع الجزائري وذلك بفضل المقالات والدراسات التي كانت تنشرها في مختلف المواضيع وخاصة ما يتصل بالظلم والجور والارهاب المسلط على الجزائريين[8].ومن أبرز الصحف المؤثرة في هذه الفترة جريدة الفاروق "لعمر بن قدور"سنة1912م والتي تميزت بتوجيهها الاسلامي والوطني، اهتمت بواقع المجتمع الجزائري البائس فحاربت ضلالات الطرق الصوفية وبعد صدور حوالي65عددا منها منعتها السلطات الحاكمة من الصدور[9]، وتم سجن "عمر بن قدور "ثم نفي إلى الأغواط لمدة خمس سنوات وبعد عودته من

---

[1]- عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار** ...، المرجع السابق،ص73 ،74 .

[2]-حسان صبحي، المرجع السابق،ص108.

[3]-جمال قنان ، **دراسات في المقاومة** ...، المرجع السابق ، ص106.

[4]-أبو قاسم سعدالله، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945**،ج6، دار البصائر، الجزائر، 2010، ص ص 211-213.

[5]- جمال قنان، **قضايا و دراسات** ...، المرجع السابق، ص176.

[6]-أبو القاسم سعدالله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج2، المرجع السابق، ص ص 211-213.

[7]-مثل جريدة المصباح للعربي فخار وجريدة الإسلام. للمزيد أنظر عبد النور خيثر وآخرون، المرجع السابق، ص ص 235-237.

[8]-يحي بوعزيز، **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص 12.

[9]- محمد ناصر، **الصحف الجزائرية 1847-1939**، دار البصائر، الجزائر،2008،ص36.

المنفى أصدر الفاروق مرة أخرى في أكتوبر1920م. إضافة إلى جريدة ذو الفقار" لعمر راسم"[1] التي تميزت بأسلوبها العنيف تجاه المتعاونين مع الاستعمار ودعاة الإدماج والتجنس[2].

ولقد ظلت الصحافة الجزائرية منذ صدور أول صحيفة سنة1847و حتى سنة1908م تعاني من واقعين مريرين فإما أن تكون موالية للاستعمار موالاة مطلقة معبرة عن ارادته خادمة لإدارته وأغراضه وإما أن تتحول إلى ضحية من ضحايا غطرسته ورقابة الصارمة. وفي ظروف ضرب فيها طوقا من الرقابة الصارمة على أصحاب الأقلام الوطنية، واهتمت الصحافة التونسية منذ القرن20م اهتماما خاصا بأحبار الجزائر وحرصت على افساح المجال للكتاب الجزائريين كي يجدوا متنفسا على صفحاتها[3].

وهكذا تمكن الجزائريون من إنشاء صحافة وطنية كان لها تأثير بالغ على الرأي العام الجزائري، وساهمت في بلورة القضية الوطنية لدى الجزائريين، وإذا كان هذا الوضع الثقافي بالجزائر الذي تميز بتضييق الخناق والاضطهاد لأي تحرك يمكن أن يبديه الجزائريون من الحفاظ على مقوماته الشخصية.

2.في تونس:

أ. التعليم

في تونس العثمانية اعتنى المراديون بمواضع العلم كما اهتم "حسين بن علي" ومن توارث بعده الحكم اهتماما كبيرا بالدين والعلم[4] وكانت تونس مركزا ثقافيا وحضاريا تشد إليها الرحال من كل مكان[5]؛ وإن الجذور الأولى للنهضة الثقافية في تونس ترجع إلى الربع الأخير من القرن19م إبان اصلاحات "الوزير الأول خير الدين باشا"[6] التي وضعت أسسا ثابتة لنهضة علمية واجتماعية شاملة حيث كللت بإيجاد معهد الصادقية وبوضع قانون لإصلاح التعليم وتنظيمه بالجامع الزيتونة وبإرسال البعثات العلمية لفرنسا وإيطاليا[7].

---

[1]- فنان وأديب في فنون الخط و الزخرفة ،أنشأ سنة 1912 صحيفة ذوالفقار ندد بقانون التجنيد الاجباري. للمزيد أنظر: عفرون محرز ،**ملحمة الجزائر المصورة من ماسينيسا إلى 5 جويلية 1962**، تر: محمود حاج مسعود ، دار هومة ، الجزائر ،2013،ص107 .

[2]- محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954**، منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر،2007، ص97.

[3]- محمد صالح الجابري ، المرجع السابق، ص ص 153-158.

[4]-خير الدين شترة ، **الطلبة الجزائريون**...، المرجع السابق، ص698.

[5]-عبد العزيز الثعالبي ، المصدر السابق، ص57 ،58.

[6]-ولد سنة1810م ببلاد الشركس تربى في الأستانة عند أحد العلماء قدم إلى تونس ودخل في خدمة الوزير خزندار وأدخله أحمد باي ضمن ضباط حرسه وعين مدرسا بالمدرسة الحربية وبعدها تقلد منصب الوزير، ألف كتاب أقوم المسالك في أحوال الممالك وتوفي في اثر مرض عضال. أنظر أحمد الطويلي، **دراسات ووثائق: عن الحركة الاسلامية بتونس**، مؤسسة سعيدان، تونس،1992،ص 37.

[7]-خير الدين شترة ، **المهاجرون الجزائريون**...، المرجع السابق، ص95.

ولكن بمجرد توقيع معاهدة المرسى سنة1883م تحطمت هذه النهضة ولقد حكم على اللغة العربية لأنها من طبيعتها تحفظ وتنمي في الشعب التونسي مفهوم شخصيته فتجعل بالتالي استعمار البلاد في غاية الصعوبة وقد أصيب التعليم الوطني منذ سنة1881م باضطهاد حكومي لا يرحم فقد عمدت الحكومة إلى ضرب المؤسسات القائمة، أما عن المساعدة فالدولة لا تعطي التعليم العربي درهما واحدا فآل إلى الاعتماد على موارده الخاصة"[1].

وهكذا فإن سياسة فرنسا التعليمية في تونس لا تختلف عن سياستها في الجزائر من حيث السعي لمحو الروح الهوية وذلك بمحاربة اللغة العربية واستبدالها باللغة الفرنسية وبتطبيق برنامج خاص لإخراج الناشئة عن قوميتها العربية و قطع الصلة بينها و بين ماضيها و تاريخها لتتمكن من ادماجها في العنصر الفرنسي[2].

ركز الحاكم العام "بول كامبون" على تدعيم نظام الحماية بتونس فأحدث إدارة للعلوم والمعارف ووضع للمعهد الصادقي برنامج يتماشى مع المناهج التربوية الفرنسية وألغى تعليم اللغتين التركية والإيطالية وأصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة المهيمنة، وقامت ادارة المعارف بتوسيع نطاق المدرسة الصادقية بإحداث فروع لها وكان التعليم في هذه المدارس باللغة الفرنسية[3]وقد احتج التونسيون على ذلك وطالبوا من السلطات الفرنسية بأن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في البلاد ونتيجة لذلك اضطرت لتأسيس فروع بهذه المدارس يعنى فيها باللغة العربية وتطبق فيها نفس البرنامج الذي تطبقه المدرسة الصادقية[4].

وبعد فرض الحماية بدأ لون جديد من كفاح الشعب التونسي حيث شمل نضاله ضد الاستعمار ميدان التعليم والثقافة العامة فأكثر من النوادي والجمعيات المختلفة وأسس المعاهد العلمية والمدارس الوطنية الحرة وأنشأ المكتبات الشعبية وبذلك أعادة الروح إلى نهضة السابقة لنظام الحماية. والتي لعبت دورا مكملا للمدارس وأسهمت في الحفاظ على الشخصية التونسية والنهوض بالمستوى الثقافي للتونسيين[5]. ومن أشهر المدارس التي أنشأتها العناصر التونسية المثقفة نذكر المدرسة الخلدونية سنة1896م التي تعتمد في تمويلها على تبرعات الشعب وكان الهدف منها تعليم مبادئ الجغرافية والتاريخ والاقتصاد السياسي والرياضيات والفيزياء والعلوم الطبية[6].

---

[1]-عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص59.

[2]- خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون**...، المرجع السابق، ص116

[3]-محمد بن خوجة ،**صفحات من تاريخ تونس** ،تق وتح: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي،بيروت،1986،ص332.

[4]- الحبيب تامر، المرجع السابق، ص58.

[5]- عبد القادر خليفي ، المرجع السابق ، ص27.

[6]-عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق ، 59.

عرفت الطرق الصوفية في تونس انتشار واسعا مثل الجزائر وكانت تقوم بنشر التعليم الديني والمعرفي ومن خلال تجربة فرنسا في الجزائر مع الطرق الصوفية حيث كانت نواة الكثير من الثورات الشعبية لذلك عملت على تجنب الاصطدام بها وحاولت كسب تأييدها و للإشارة فإن شيوخ بعض الزوايا كالقادرية سهلوا دخول الاستعمار الفرنسي لتونس وبهذا فقدت الطرق الصوفية مكانتها في البلاد[1].

ب.وضع القضاء

يقول الثعالبي:" إن آلة القضاء التونسي هي بناء مخيف ضد الأمن وضد العدل فهي من أقوى وسائل الحكومة والانقلاب الاجتماعي...لا يوجد في تونس قضاء واحد بل هناك خمسة أنواع: القضاء الفرنسي وهو امتداد للحكم الفرنسي وقضاء تونسي اسلامي وآخر يهودي ورابع علماني وخامس مختلط...إن النظر إلى القضاء التونسي بعد أن وضع تحت سلطة الكاتب العام يعطينا صورة حزينة عن الانحلال وعن الأذى الذي تصنعه حكومة هدفها خراب الوطن "[2].

ج. الصحافة في تونس :

ظهرت الصحافة التونسية إلى الوجود مع ظهور المطبعة سنة1860م[3]وقد احتلت الصحافة في الحياة الثقافية التونسية مكانة مرموقة واستعملت كوسيلة لنشر الأفكار الجديدة[4]ومن أبرز الصحف التونسية نذكر:

- **جريدة الحاضرة:** لصاحبها "علي بوشوشة"[5] صدرت في شهر أوت1888م وتوقفت عن الصدور سنة1911م يساعده في تحريرها مجموعة من رجالات النهضة مثل "محمد البشير صفر"[6]و"الشيخ سالم بوحاجب" والشيخ "محمد السنوسي"[7] وغيرهم وهي إسلامية النزعة معتدلة تعمل على خدمة المصلحة القومية وارشاد المواطنين إلى معرفة مصالحهم من حقوق وما عليهم من واجبات وتنبيه أول الأمر إلى اصلاح

---

[1]-التليلي العجيلي ،**الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية :1881-1939**،ج2،منشورات كلية الآداب، تونس، 1992، ص40.

[2]-نقلا عن عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص69.

[3]-أول جريدة هي جريدة الرائد التونسي ظهرت أسبوعية وكانت تنشر الأخبار السياسية عن البلاد العثمانية واهتمت بالأدب والفكر وبعد الحماية اقتصرت على نشر أوامر الحكومة ، للمزيد أنظر يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص23.

[4]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص 316.

[5]-عاش بين1859-1917م من أصل جزائري كانت مقيمة بمدينة بنزرت كان من خريجي الزيتونة والصادقية. أنظر يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص30.

[6]-ولد بمدينة تونس في27-02-1865،درس بالمدرسة الصادقية ،عمل في الادارة التونسية .كتب مقالات في جريدة الحاضرة، نظم دروسا بالخلدونية، تم تعيينه واليا على سوسة 1908م، توفي في 1917م .للمزيد أنظر: الصادق الزمرلي ، المرجع السابق، ص.121

[7]- زعيم أول حركة وطنية في تونس بعد الحماية من علماء الزيتونة وهو أستاذ باي محمد ناصر. قدم عريضة ممضاة من مختلف طبقات الشعب للباي يحتج فيها على شكل الحكم المباشر الذي تتبعه سلطات الحماية للمزيد أنظر: الفاسي علال، المصدر السابق ، ص48.

ما فسد ومعالجة ما اختل من أمور البلاد العامة[1].

وقد أدت بعض الجرائد العربية الأخرى رسالة حضارية إلى جانب الحاضرة وكانت تقريبا كلها في خدمة الفكر الاسلامي والاصلاح الديني والنهضة العربية والعلمية ونشير هنا إلى جريدة "الزهرة" الأسبوعية التي أسسها "عبد الرحمان الصنادلي"[2] سنة1890م وركز اهتمام جريدته على الأخبار الوطنية ونقد الإدارة الفرنسية حتى سنة1897م حيث منعتها هذه الأخيرة من الصدور[3].

هاتان الجريدتان" الحاضرة والزهرة" اعتبرتا من أهم الصحف العربية التونسية[4] حيث كانت تدعوان في نفس الوقت إلى إصلاح المناهج التعليمية بما يتوافق والتطورات المعاصرة وتنشئة جيل عربي اسلامي مهيئ لإنقاض بلاده من الأوضاع المتردية مع التحريض على مناهضة الاستعمار ورفض قرارات ادارة الاحتلال[5].

إضافة إلى جريدة "التونسي"سنة1907م لسان حال حزب الشباب التونسي ذات النشرتين العربية والفرنسية وذات النزعة السياسية المناهضة الاستعمار والمندد بسياسة التمايز بين المستعمرين والأهليين التي تنتهجها السلطة وخاصة بالنسبة للجزائريين.

وفي الوقت الذي لم تكن فيه السلطات الفرنسية تسمح للصحف العربية بالدخول إلى الجزائر فإن الصحف التونسية بمختلف مذاهبها ومستوياتها خاصة ذات الاتجاه الإصلاحي كان يسمح لها بالدخول إلى الجزائر حتى قبل الحماية، ذلك أن الصحف التونسية مهما جنحت للمعاضة أو غالت في طرح القضايا فإنها لا تعدم كوابح الرقابة لها بالمرصاد كما أنها كانت واقعة تحت طائلة الحجز والزجر[6].

وخلاصة القول أن وضع تونس الثقافي يختلف عن جارتها الجزائر إذ أن الفرنسيين رغم أنهم حرموا تونس من الاستفادة من الصحف العربية والاسلامية الصادرة بالمشرق لم يفلحوا في ذلك بنفس الدرجة التي أفلحوا بها في الجزائر، فبالإضافة إلى قيمة جامع الزيتونة الأعظم العلمية، فإن التونسيين لم ينقطع مددهم من الشرق فكانوا على اتصال دائم به من خلال الكتب والرائد التي تأتيها من المشرق وتنقل التونسيون بين بلدان المشرق إضافة إلى زيارة محمد عبده إلى تونس التي فتحت باب الاصلاح في تونس.

---

[1]-مجموعة من المؤلفين ،المرجع السابق ، ص31.

[2]-جزائري الأصل وكان صحافيا بارعا إذ كتب في السياسة...ولم يتوانى في الدفاع عن القضية التونسية في مختلف أطوارها وكذلك عن القضايا العربية والاسلامية في كافة انحاء العالم. للمزيد أنظر خير الدين شترة ،**الطلبة الجزائريون**...، المرجع السابق،ص517.

[3]-يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص 31 ،32.

[4]-نذكر أيضا جريدة الصواب صدرت 1904م لصاحبها الجعايبي وسبيل الرشاد 1895م للثعالبي، مرشد الأمة 1906م لسليمان الجادوي، و التقدم 1907م للبشير الفورتي و غيرها .أنظر محمد صالح الجابري ، المرجع السابق، ص183.

[5]-خير الدين شترة ، **الطلبة الجزائريون**...، المرجع السابق، ص502.

[6]-محمد صالح الجابري، المرجع السابق ،ص174.

ومما سبق نستنتج ما يلي:

-تعرضت كل من الجزائر وتونس إلى السيطرة الاستعمارية الفرنسية، حيث احتلت الجزائر سنة1830م ثم اعتبرت جزءا من التراب الفرنسي بموجب المراسيم الفرنسية22جويلية1834م، بينما أخضعت تونس لنظام الحماية بموجب معاهدة باردو12ماي1881م، ثم دعمتها بمعاهدة المرسى التي جعلت من الباي مجرد رمز للسلطة وأصبح المقيم العام يسيطر على كل شيء.

-بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر فقدت هذه الأخيرة سيادتها وتم القضاء على مختلف الأنظمة فيها، وهذا يرجع إلى طبيعة الاستعمار، بينما أبقوا في تونس على المؤسسات المحلية التقليدية، وأضافوا إليها بعض المؤسسات الجديدة، وبالتالي فإن شخص الباي كان يمثل بصيص أمل لدى الشعب التونسي في امكانية استعادة سيادته .

-تم اقصاء العنصر الجزائري من المشاركة في ادارة البلاد كليا حيث أصبح المعمرون الأوربيون أسياد في البلاد خاصة بعد حصولهم على استقلالهم المالي سنة1900م ووقفوا حجر عثر أمام أي اصلاح من شأنه تحسين وضعية الأهالي الذين ظلوا تحت وطأة القوانين والاجراءات الاضطهادية ويعانون من الظلم و الارهاب و الزجر...

وهذه أهم العوامل التي ساهمت في تأخير النشاط السياسي للجزائريين:

-رفض الجزائريون وكذلك التونسيون السيطرة الاستعمارية فقادوا مقاومة مسلحة من أجل استعادة حريتهم، وقد كانت المقاومة المسلحة في الجزائر أطول منها في تونس من حيث المدة الزمنية وهذا يرجع إلى صغر مساحة تونس بعكس الجزائر التي تتمتع بمساحة شاسعة ، وكذا طبيعة الاستعمار للبلدين إذ دخل تونس بدعوى مساعدتها على التطور والرقي وهذا ما جعلهم يحجمون عن المقاومة تحت تأثير هذه الدعاية بعكس الجزائر التي بدأ منذ أيامه الأولى في القتل والنهب والسلب، إضافة إلى طبيعة العنصر التونسي الذي يميل إلى السلم، وبعد فشل المقاومة المسلحة في البلدين ظهرت المقاومة السياسية التي اعتبرت وسيلة جديدة للنضال من أجل استعادة الاستقلال.

-قامت فرنسا بانتزاع الأراضي والنهب والسلب ممتلكات الجزائريين ومنحها للمعمرين الأوربيين وأصبح الجزائري خماسا في أرضه أو عاطلا عن العمل، خاصة وأن الجزائر في النصف الأول من القرن 19م كانت المجال الوحيد لاستثمار هؤلاء المعمرين بينما مع مطلع القرن 20م ظهرت مجالات جديدة للاستثمار مما خفف من عملية الاستيطان و انتزاع الأراضي في تونس.

-عرفت تونس نهضة ثقافية بفضل اصلاحات خير الدين التي كان لها دور فعال في تخريج عدد من المثقفين الذين عملوا على محاربة الاستعمار من خلال النهوض بميدان التعليم والثقافية إضافة إلى اتصالهم الدائم بالمشرق وكذا أهمية جامع الزيتونة بينما عانى الشعب الجزائري من التجهيل في اطار العمل على محو الشخصية الجزائرية وليظل الجزائريون يتخبطون في الجهل حتى لا يشكلوا عنصرا يهدد مصالح المعمرين.

- تعتبر دراسة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي مهمة جدا لما لها من تأثير مباشر على الشخصيات وكذا على أسلوب نضالها للاستعمار ومواقفها منه كما أنها تحدد إيديولوجية و اتجاه هذه الشخصيات و بالتالي تطبع نضالها بهذه الايديولوجية. وهذا ما نعمل على توضيحه في الفصول التالية.

الفصل الثاني

رواد فكرة الاستقلال في البلدين(عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج)

1. المولد والنشأة
2. التوجه الفكري
3. الآثار الفكرية والسياسية

بعد أن تعرفنا على الاوضاع العامة في البلدين والتي سعت فيها فرنسا الاستعمارية إلى تكريس سياسة الاستيطان في ظل هذه الظروف ظهرت شخصيات حملت لواء فكرة الاستقلال والتحرر للتخلص من المحتل الغاشم، حيث يعتبر عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج من رواد فكرة الاستقلال ليس في تونس والجزائر فقط بل في شمال إفريقيا كلها ولهذا نحاول في هذا الفصل التعريف بالزعيمين وكذا نناقش ايديولوجيتهما لنصل إلى بعض آثارهما الفكرية والسياسية التي توضح اتجاههما الفكري.

المبحث الأول: المولد والنشأة

1. عبد العزيز الثعالبي في تونس

سبق وإن ذكرنا أن سياسة فرنسا الزجرية وقوانينها التعسفية في الجزائر كانت سبب في هجرة الكثير من العائلات الجزائرية إلى البلدان المغاربية أو المشرقية أو غيرهما، وقد كانت تونس مقصدا للكثير من العائلات الجزائرية وهناك عائلات تم نفيها إلى تونس منها عائلة الثعالبي.

- **الظروف التي أحاطت بظهور الثعالبي**

كان احتلال الجزائر بمثابة الصدمة الحضارية التي جعلت تونس تعي خطورة وضعها خاصة وأنها محل أطماع الكثير من الدول الأوربية[1].

كما أن رحلات " الوزير الأول خير الدين" كشفت لهم عن حقيقة مؤلمة وهي أن العالم الاسلامي كان جميعه في تلك الفترة يعاني من الضعف مثل تونس، وسبب ذلك هو فساد نظام الحكم الذي آلت إليه البلاد الاسلامية، وبّين خير الدين أن خير وسيلة لمقاومة أوربا هو النهوض بالبلاد واصلاح أنظمة الدولة العتيقة وتوجيه البلاد نحو الرقي، وتجلى هذا الاهتمام وما أفضى إليه من الدعوة إلى الاصلاح في كتاب "خير الدين" "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"[2].

ولم تتأخر تونس عن التأثيرات الأوربية الحديثة والتي انطلقت منذ عهد" الباي أحمد "(1837-1855)وتواصلت في عهد "محمد باي"(1855-1859)وسار على خطى هذا الأخير" محمد الصادق باي" (1859-1882)[3]؛ ومن مظاهر هذه النهضة تأسيس المدرسة الحربية بباردو سنة 1840 م على يد " الباي أحمد " وهي مدرسة للتكوين العسكري تهدف إلى تحديث ادارة الجيش على النمط

[1]- يحي أبو زكرياء، **الحركة الاسلامية من الثعالبي إلى الغنوشي**، النشر الالكتروني، تونس، 2013، ص 15.

[2]- أحمد عبد السلام، **موافق اصلاحية في تونس قبل الحماية**، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986،ص ص20-22.

[3]- أحمد طويلي، **دراسات ووثائق عن الحركة الاصلاحية بتونس**، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس، 1992، ص11.

الأوربي، ولإدارة شؤون الحكم فقد أصدر "محمد باي" ميثاق عهد الأمان عام1857م[1] الذي ينص على11مادة ويضمن فيه الباي حقوق الرعية وأعانهم على أحوالهم وكرامتهم وأعراضهم كما أنه يضمن تحقيق العدالة والمساواة بين الأفراد، إلا أنه فتح باب تونس على مصرعيه للأجانب وكان هذا بداية التوغل الفرنسي في شؤون تونس[2].

وقام " الوزير الأول خير الدين" في الميدان التعليم بإصلاح مناهج التعليم بجامع الزيتونة ووضع نظام امتحانات للتلاميذ سنة1876م وزود الجامع بمكتبة، واهتم بالمدرسين وخصص لهم مرتبات[3]، كما قام بإنشاء المدرسة الصادقية سنة1875م التي كانت تدرس إلى جانب اللغة العربية وآدابها والعلوم الشرعية واللغات الأجنبية كالعثمانية والفرنسية والايطالية والعلوم التجريبية كالرياضيات والفيزياء وغيرها[4].

وقد استند "خير الدين" في مهامه إلى مجموعة من رواد الفكر مثل "محمود قبادو"[5] وتلاميذه منهم "ابن أبي الضياف" "وبيرم الخامس[6]" "وسالم بوحاجب"[7].وعلى يد هؤلاء تكون جيل من خرجي الزيتونة والصادقية والذين عملوا على مواصلة الاصلاح ومقاومة الاستعمار منهم "محمد السنوسي" والذي سبق وإن ذكرنا أنه قدم عريضة إلى "الباي علي"(1882-1902)سنة1885م تدافع عن أحكام الشريعة الاسلامية إضافة إلى جهود "المكي ابن عزوز" الاصلاحية[8]. في ظل هذه الظروف ظهرت شخصية جديدة متأثرة بهذه الأوضاع وهو "عبد العزيز الثعالبي"، فمن هــو؟

---

[1]-خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون**...،المرجع السابق، ص682.

[2]- اسماعيل ياغي ومحمود شاكر، **تاريخ العالم الاسلامي**، المرجع السابق، ص95.

[3]- خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون**...، المرجع السابق، ص735.

[4]- رابح فلالي، **جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر 1908-1954**، مذكرة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسنطينة، 2007، ص39.

[5]-(1812-1871م) تونسي الأصل ،درس بالزيتونة، انتقل إلى استانبول كما درس في مدرسة باردو. للمزيد أنظر الصادق الزملي ، المرجع السابق، ص ص63-71

[6]-صاحب كتاب صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، فكان رئيس جمعية الأوقاف والمشرف على الرائد التونسي والمنظم للمستشفى الصادقي وعضو في اللجان التي انبثق عنها اصلاح التعليم الزيتوني وانشاء المدرسة الصادقية. أنظر أحمد عبد السلام ، المرجع السابق، ص7.

[7]-(1827-1924م) أحد الرجال الذين اعتمد عليهم خير الدين في مشروعه الاصلاحي كما ساعده في تحرير كتابه قوم المسالك في معرفة أحوال الممالك. للمزيد أنظر الصادق الزملي، المرجع السابق، ص ص172-175.

[8]-علال الفاسي، المصدر السابق، ص48.

هو" محمد بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي"، ويتصل نسبه بالعالم الشهير "عبد الرحمان الثعالبي"[1] المعروف بكتابه في تفسير القرآن الكريم "بعنوان الجواهر الحسان"وجده عبد الرحمان الثعالبي[2]كان ممن شهدوا الحملة الفرنسية على الجزائر وساهموا في صدها، وكان قد أصيب برصاص الفرنسيين في صدره أثناء هذه الحملة وكان يخبر "عبد العزيز الثعالبي"(أنظر الملحق رقم02) بذلك وهو صغير ويذكر له الجزائر والاستلاء عليها وهجرته هو وغيره من الجزائريين بعد ذلك الاستلاء[3].

ولد بمدينة تونس في15شعبان1293هـ/1875م وتربى في كنف والده على الدين والأخلاق الحميدة ونشأ تحت رعايته التربوية والفكرية وأخذ عليه مبادئ التسامح والكرامة والكرم. وبعد حفظه القرآن الكريم والفتوى والقراءة والكتابة تابع دروسه بمدرسة باب سويقة الابتدائية ثم أدخله أبوه إلى جامع الزيتونة وعمره لا يتجاوز14سنة لتعلم العلوم الدينية واللغوية كالفقه والحديث النبوي الشريف والأخلاق وعلم الكلام والفلك والمنطق والرياضيات والنحو والصرف و الأدب العربي.

كان الثعالبي مهتما بالمطالعة وامتاز بنباهته على أقرانه ولكنه فارق الزيتونة قبل اتمام الدراسة والحصول على شهادة التطويع وهي الشهادة المتوجة للدراسة بالجامع وتردد على المدرسة الخلدونية[4]، وقد جاء في مجلة الشهاب ما يلي:" نشأ الثعالبي تونسيا ودرج للعلم زيتونيا وتعدت به عبقريته دائرة الكتب الزيتونية للدراسة الضيقة فأخذ يتناول كل ما تصل إليه يده من خزانة الجامع ومكتبة العبدلية وكان ذهنه الحار وحافظته القوية ورغبته الملحة مواهب اكتسبت مما درس وقرأ نبوغا في الفهم والتفكير والخطابة والكتابة"[5].

وقد انقسمت حياة الثعالبي إلى جزئين: حياة عامة اهتم فيها بالكفاح السياسي واستقلال تونس من وطأة الاستعمار الفرنسي وحياة فكرية عمل فيها على نهضة العالم العربي الاسلامي علميا وحضاريا[6] ،ولهذا فإنه انشغل منذ صباه بالتفكير والبحث عن أمراض العالم الاسلامي التي فككت أواصره وأذهبت

---

[1]–توفيق جابر، **في احتفائية الشيخ عبد العزيز الثعالبي**، في مجلة الثقافة ،العدد، اليمن، 24جوان2010،ص7.

[2]–ولد عام786هـ وتوفي 875هـ عالم زاهد ومن أولياء الله له العديد من التصانيف منها تفسير الجواهر الحسان. للمزيد أنظر محمد الحنفاوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيرفونتانة الشرقية، الجزائر، (دت)،ص ص63-64.

[3]–عبد الحميد بن باديس، في مجلة الشهاب، المج13، ج7 (1936-1937)، دار الغرب الاسلامي، لبنان،2011، ص317.

[4]–يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق،ص ص121-122.

[5]– عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق، ص316.

[6]–يوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية** ،دار هومة، الجزائر،2013، ص98.

قوته وجده، ولهذا فإنه أسس سنة1895م جريدة سماها "سبيل الرشاد" وقد عملت على نشر الأفكار الحرة و الجادة.

وقد عانى الثعالبي من الضغط الاستعماري وتوجهت له أنظار الحاقدين وتأثر تأثرا شديدا بعد أن منعت السلطة الاستعمارية جريدته "سبيل الرشاد" من الصدور وصادرت أوراقها بتهمة التطرف ومهاجمة ادارة الحماية صراحة وسجنته لمدة شهرين سنة1895م[1].لذلك غادر تونس راحلا إلى الجزائر في نفس السنة غير أن السياسة الاستعمارية التعسفية بالجزائر جعلته يغادر إلى طرابلس الغرب[2].

- **رحلات الثعالبي**

كان الثعالبي يحب التجول والارتحال من بلد إلى آخر شغفا بالاطلاع والمزيد من توسيع معارفه حول الأقطار الاسلامية وغيرها وخاصة الاتصال المباشر بالمسلمين شعوبا وقادة وعلماء ومفكرين وصحفيين.

غادر الثعالبي نحو ليبيا سنة1896م وأقام في طرابلس مدة شهرين ثم سافر إلى بنغازي وأقام بها شهرا، وبعدها قصد الأستانة في نفس السنة وبقي بها سنة وهناك تعرف على أوضاع الخلافة الاسلامية والتقى بعلمائها وعلماء مصر والهند وناقش معهم قضايا الشرق المختلفة وهناك تعرف على"أبي الهدى أفندي الصيادي "الذي عرض عليه منصبا عاليا في دائرة الوظيف العمومي لكنه رفض. لقد تأثر الثعالبي بتركيا كقطب روحي معنويا وسياسيا وكانت الأستانة بالنسبة له منبع المعرفة ومستقر رجال العلم[3].

وبعدها انتقل إلى مصر سنة1897م ولازم دروس الأزهر كما وطد علاقته بعدد من العلماء والأدباء مثل "أحمد زكي باشا" و"أحمد تيمور" و"محمد فريد" والسوريين مثل "محمد رشيد رضا" صاحب المنار وتتلمذ على يد"جمال الدين الأفغاني"و"محمد عبده"[4]، وكتب في العديد من الصحف والمجلات المصرية كالمؤيد والموسوعات تحت اسم "السائح المغربي"، وكان خير محامي لتونس حيث كشف عن الأوضاع السياسية والاجتماعية ودعا إلى الاهتمام بقضيتها[5].

---

[1]–صالح خرفي ، **عبد العزيز الثعالبي وأخباره في المشرق والمغرب**، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1995،ص57.

[2]– يوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث**...، المرجع السابق، ص98.

[3]–أحمد الطويلي، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي مسيرة نضاله الفكري والسياسي**، المطبعة الرسمية التونسية،تونس،2012،ص 103.

[4]–أحمد طرفاوي، **عبد العزيز الثعالبي وبعض قضايا فكره من خلال مؤلفاته** ، ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر ،2011 ، ص19.

[5]– توفيق جابر، المرجع السابق، ص7.

تمكن الثعالبي ما بين1898-1902م من زيارة أناضوليا ومقدونيا والعراق وسوريا والسودان، كما زار بلدانا أوربية كالنمسا وإيطاليا[1]، وبعد هذه الجولة عاد إلى تونس سنة1903م ليستأنف مسيرته إلى كل من الجزائر والمغرب واسبانيا ثم عاد إلى تونس سنة1904م واستأنف نشاطه بحملة واسعة ضد مساوئ الأخلاق ورجال الزوايا ودعاة الجمود الأمر الذي جعل هؤلاء يكيدون له فنسجت ضده قضية عدلية بتهمة التهجم على الاسلام ورجاله وحكم عليه بالسجن لمدة شهرين[2]؛وعلى الرغم من أن "الثعالبي" كان يعلم أن مصدر الحركة المضادة لآرائه هي سلطة الحماية الواقعة تحت تأثير المعمرين وليس فقط ما يقوم به المحافظون والطرقيون التونسيون من أعمال فإن الظاهر أن أيام السجن قد أثرت على فكره ووجهت اصلاحاته فبينما نادى بين سنوات1902-1904م بالإصلاح الاجتماعي والديني فإننا نجده سنة1904م يركز على الاصلاح السياسي فلم يكد يغادر السجن حتى تصدى بعزيمة قوية لحركة الاستعماريين المضادة للإصلاح السياسي[3].

وقام بنشاط سياسي في اطار حركة الشبان التونسيين إلى غاية سنة1912م حيث نفي من طرف السلطات الفرنسية نحو فرنسا[4]ومنها سافر إلى الأستانة وعرضت عليه عدة وظائف فقبل مهمة المفتش العام للمكتبات التابعة للأوقاف مما جعله يستفيد من مطالعة كتبها النادرة غير أنه لم يبق بها طويلا حيث تنازل عنها بعد شهرين واتجه إلى مصر، ثم غادرها إلى اليمن وزار العديد من مدنها ثم رحل إلى بلاد الهند والصين ثم رجع إلى اليمن ومصر ثم قصد إيطاليا ثم مدينتي طولون ومارسيليا بجنوب فرنسا وكانت الحكومة الفرنسية قد رفعت عنه قرار النفي سنة1913م فعاد إلى تونس1914م واستقر بها واقتصر عمله بها على اللقاءات السرية، إذ كان العمل السياسي ممنوعا والصحافة معطلة من طرف سلطة الاحتلال الفرنسي نظرا لظروف الحرب العالمية الأولى[5].

لقد كانت حياة الثعالبي على امتدادها وتشعبها وتباين مواقفها وتعدد جبهاتها معركة حاسمة من اجل الكلمة الحاسمة كلمة الحق على منبر الحق وصحافة حرة ومنبر حر وأمة حرة ،عانى من تصلب الاستعمار الذي ضيق الخناق عليه وجند أتباعه لمطاردته وتلويث سمعته، حيث كانت معركة الثعالبي

[1]- أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص19.

[2]- توفيق جابر، المرجع السابق، ص7.

[3]- يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص136.

[4]- أبو عمران وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب ، الجزائر،2007،ص109.

[5]- أحمد طرفاوي، المرجع السابق،ص ص20-21.

مزدوجة معركة على المتسلط على الوطن ومعركة مع الضائعين في ركابه[1].

ومن خلال كفاحه مهد الطريق أمام التونسيين للثورة في وجه الاستعمار وكان سلاحه الخطب والأحاديث والكتابات الصحفية التي ألهب بها نفوس الشباب المتحمسين ودفعهم إلى النهوض بالأعباء والأثقال والنهوض لإنقاذ أمتهم ودينهم[2].

كتب محمد علي دبوز قائلا:" كان الثعالبي يجلجل كالرعد بخطبه العظيمة ومحاضراته الكبرى وكان من أفصح خطباء العرب ومن أعلم العلماء...يملأ سماء تونس بالسحاب الممرع بالصواعق التي تنفجر على الاستعمار وكان أكبر سبب لليقظة في المغرب والعالم الاسلامي، لا يمل من سمع خطبه أو قرأ مقالاته إلا أن يتحرك ويستيقظ ويهب للجهاد الوطني، إنه من أسود الله التي حركت المغرب ونفخت فيه جرأة الليوث الكاسرة فهب لينقض على الاستعمار كانت تونس به أكبر سوق للأدب والعلم وأعظم ميدان للجهاد الوطني"[3].وقال أيضا عنه عمر بن قفصة:" عبد العزيز الثعالبي زعيم تونس الأكبر الذي جاهد بانفراده حتى انضمت له جماعات ولا أعلم هل هو التضحية أم التضحية مجسمة فيه"[4].

وخلاصة القول أن الثعالبي ولد في أسرة عانت من السياسة الاستعمارية بالجزائر فكانت سببا في تهجيرها وتغريبها عن وطنها ورغم أنه نشأ في أحضان أسرة ميسورة الحال وبيت علم ودين وهو ما أتاح له فرصة التحصيل العلمي والتكوين الثقافي والفكري فإنه عانى منذ شبابه من سياسة الاستعمارية في تونس بسبب آرائه الصريحة في صحيفته سبيل الرشاد وهو ما أدى به إلى مغادرة بلاده لينتقل في رحلات طويلة من بلد إلى آخر في المغرب والمشرق و أوربا والشرق الأدنى وبعد عودته كانت السلطات الفرنسية له بالمرصاد بعد أن عرفت مقدار خطورته، حيث عمل على إصلاح مجتمعه وتوعيته فكان مصيره السجن وبالتالي تغير فكره من الإصلاح الاجتماعي إلى الإصلاح السياسي، حيث شرع في سياسة مناهضة لسلطات الحماية.

---

[1]-صالح خرفي، المرجع السابق، ص57.

[2]-يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص121.

[3]-نقلا عن محمد دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج2، عالم المعرفة، الجزائر ،2013، ص22-23.

[4]-نقلا عن أحمد طويلي ، المرجع السابق، ص175.

2. مصالي الحاج في الجزائر

- **نشأة مصالي الحاج**

ولد "مصالي الحاج"(أنظر الملحق رقم 03) في مدينة تلمسان التي تشغل الجهة الغربية من وهران والتي تتميز بمكانة استراتيجية خاصة تجعل منها قلعة تجمع بين الجبل والسهل والبحر. تقع على سفح جبل شوكة يقدر ارتفاع المدينة عند قلعة المشور بـ:806م وهو ارتفاع يجعلها تستقبل الرياح الغربية المحملة بالرطوبة من ناحية ويحميها من رياح الجنوب الحارة المحملة بالرمال من ناحية أخرى[1].

ويعد مناخ المنطقة من أكثر مناخات القطر اعتدالا وجمالا ويمثل النموذج لمناخ البحر الأبيض المتوسط ذي الشقين المتقابلين فصل الحرارة وفصل البرودة، ويكاد يعرف استقرارا تفرضه عوامل جغرافية ثابتة لقرب المدينة من البحر من جهة وموقعها من جبال الأطلس واطلالها على مناطق سهبية من جهة أخرى[2].

وقد كانت تلمسان منذ العصور القديمة أرض الاجتياحات، وفي الوقت نفسه فضاء سلسلة من العلاقات والتبادلات بينها وبين الشعوب الأخرى هذين العاملين حاسمين في تحديد أهمية تلمسان في الميادين الاقتصادية والسياسية والعلمية والدينية كما يكشفان لنا خصوصيات هذه المنطقة التي تمكن سكانها وسلطاتها من الاحتفاظ بها والتعبير عنها في كثير من المناسبات[3] وقد قال عنها يحي بوعزيز:" إن لمدينة تلمسان ماضيا تاريخيا هاما اكتسبته من موقعها الجغرافي الممتاز ومن كونها كانت عاصمة للمغرب الأوسط أكثر من3قرون ازدهر خلالها الفكر وأخصبت الحضارة وتطور العمران واستهوت العديد من رجال الفكر والسياسة والثقافة مما جعلها في الأخير مدينة الفن والثقافة والتاريخ"[4].

بعد سقوط مدينة الجزائر في أيدي القوات الفرنسية فإن السلطان المغربي" المولى عبد الرحمان بعث من يتولى حكمها فبايعه أهالي تلمسان لكن بعد مبايعة الأمير عبد القادر1832م اسقطوا بيعة سلطان المغربي لصالحه وفي سنة1836م دخل الجنرال "كلوزيل" تلمسان ونصب عليها حامية عسكرية وظلت

---

[1]- براهيمي نصر الدين ، **تلمسان الذاكرة**، ثالة، الجزائر ،2010،ص32.

[2]- محمد العربي حرزالله، **تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة**، دار السبيل، الجزائرن2011، ص29.

[3]-عبد الحميد بوسماية، **تلمسان تاريخ وثقافة**، منشورات الرياحين، الجزائر ،2011،ص10.

[4]-نقلا عن يحي بوعزيز، **تلمسان**، وزارة الثقافة، الجزائر، 1985،ص15.

كذلك حتى معاهدة التافنة1837م، حيث استعادها الأمير عبد القادر ثم أخذها الفرنسيون مرة أخرى سنة1842م ، وقد شكلت أيام مقاومة الأمير عبد القادر القاعدة الخلفية له[1].

إن الرصيد الكامن بالمدينة هو الذي سمح للحس الوطني بالنمو بسرعة مذهلة في صفوف شبابها ليجعل رواد الحركة الوطنية ومنهم "مصالي الحاج" الذي كان أول من نادى بفكرة الاستقلال[2].

ولد مصالي الحاج في2محرم1317هـ/16ماي1898م في حي رحيبة بمدينة تلمسان والده يدعى "الحاج أحمد مصالي" و"أمه فاطمة ساري علي حاج الدين" في بيئة أبوية قائمة على التقاليد الاسلامية[3].

كان والده فلاحا وأبا لستة أطفال يعتمد على الزراعة في عيشه، حيث كان يتشارك قطعة أرض مع عائلة "ممشاوي" ويتقاسمان محاصيل الأرض وكانت تقدر بـ4 هكتارات إلا أن مردود الأرض ضعيف لم يعد يلبي حاجيات العائلتين مما دفع بوالده إلى العمل في مؤسسة لنقل البضائع والأفراد[4] ثم أصبح مقدما لضريح الوالي الصالح "عبد القادر الجيلاني"، وهذا بمساعدة أفراد الحي الذين يحترمونه فكان والده يعتمد في عيشه على الصدقات والموارد الطبيعية والأموال التي يقدمها الناس التابعين للضريح، وكان "مصالي" وعائلته ينتمون إلى الطريقة الدرقاوية[5] كمدرسة تتولى تعليم القرآن الكريم والاسلام واللغة العربية للسكان وتجعلهم يتمسكون بالإرث الثقافي والحضاري[6].

ومن شيوخ الدرقاوية الشهيد "موسى الدرقاوي" الذي استشهد في واحة الزعاطشة بمنطقة الزاب سنة1849م وهو يواجه جيش الاحتلال الفرنسي مع الشيخ "محمد بن عبد الرحمان" المعروف "ببوزيان"؛ وكان الشيخ "موسى" قد استجاب مع فرقة كبيرة من مريدي الزاوية الدرقاوية لدعوة الجهاد في سبيل الله التي نادى بها "بوزيان". وكانت الدرقاوية زاوية ثورية سبق لها وإن اعترضت الأتراك وحاربتهم بسبب سياستهم اتجاه العلماء، كما كان لها شأن في محاربة الاستعمار الفرنسي[7].

---

[1]- محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص ص250-254.

[2]- براهيمي نصر الدين، المرجع السابق، ص104.

[3]-مصالي الحاج، **مذكرات مصالي الحاج**، تر: محمد معرجي، منشورات ANEP،الجزائر،2007،ص09.

[4]-نفسه، ص72.

[5]-هي طريقة دينية صوفية سنية تفرعت عن الطريقة الشاذلية، ظهرت في المغرب الأقصى أسسها الشيخ محمد العربي الدرقاوي. للمزيد أنظر: يحي بوعزيز، **ثورات الجزائر**...، المرجع السابق، ص59.

[6]- نفسه، ص ص20-23.

[7]-محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص ص320-321.

لقد كانت عائلة "مصالي" تسكن في بيت ملك لجدته السيدة "بن كلفات" في حي باب الجياد، وهناك تربى الطفل مع أطفال الحي إلى غاية أن جند في الجيش الفرنسي سنة 1918م وقد أقامت عائلته علاقات وثيقة وطيبة مع عائلة فرنسية تقطن بجوارها وهي عائلة "لي برات" وهي عائلة بسيطة ومتواضعة، فكانوا يتعايشون فيما بينهم رغم اختلافات الجنس والدين والتقاليد[1].

دخل مصالي الحاج المدرسة الفرنسية وهي مدرسة "ديسي" التي كانت مفتوحة لكل من العرب والفرنسيين وكانا والداه يشجعانه على الدراسة وكان يتألم كثيرا لمدى اهتمام المدرسة بتاريخ فرنسا وتلقينه للتلاميذ في الوقت الذي غيب تماما تاريخ وجغرافية وطنه ولاحظ الفرق الشاسع بين ما يتلقاه في المدرسة عن الحضارة وعدل الفرنسيين وما يشاهده في الواقع من إهانة واستغلال للجزائريين فأصبح تلميذا شديد الغضب يثور لكل صغيرة وكبيرة تمس زملاءه التلاميذ، فلقب بمحامي القسم مما دفع ادارة المدرسة إلى طرده سنة1916م[2]،كما تلقى تربية دينية في زاوية "الحاج محمد بن يلس" التابعة للطريقة الدرقاوية بتلمسان[3].

مارس إلى جانب دراسته عدة أعمال لمساعدة عائلته الفقيرة فاشتغل حلاقا فإسكافيا ثم بقالا وعمره لا يتجاوز10سنوات، كما اشتغل في مصنع للتبغ كملصق للطوابع على علب السجائر والأكياس، وبعد سنتين قضاها في العمل فإنه قرر العودة للدراسة حيث كان يطمح إلى التعليم وتثقيف نفسه للحصول على شهادة نهاية الدراسة إلا أنه تركها ثانية؛ كما قرأ الشعر الفرنسي "جون ايكار" كما كان يتردد على طبيب أسنان أوربي لم يكن له أبناء حيث كان يقدم له الكتب الثورية ليطالعها ويحدثه عن الحركات الثورية في العالم، وقد استدعي "مصالي الحاج" نهاية شتاء سنة1918م للخدمة العسكرية[4]، وقد حملته خدمته العسكرية إلى بوردو حيث انتهز الفرصة لمتابعة دراسته في الجامعة كمستمع حر وكان يطالع جريدة "الانسانية"[5] وبعد أن أنهى خدمته العسكرية عاد إلى تلمسان في28فيفري1921م[6]حيث عمل

---

[1]- مصالي الحاج، المصدر السابق، ص ص19-31.

[2]-آسيا تميم، **الشخصيات الجزائرية**، دار المسلك، الجزائر،2008، ص92.

[3]- حميد عبد القادر، **فرحات عباس رجل الجمهورية** ، دار المعرفة، الجزائر،2007،ص64.

[4]-عاشور شرفي، **معلمة الجزائر: القاموس الموسوعي**، تر: عبد الكريم أوزغلة وآخرون، دار القصبة، الجزائر، 2008،ص132.

[5]-محمد قنانش، **نجم شمال إفريقيا...**، المصدر السابق، ص70

[6]- عاشور شرفي ، المرجع السابق، ص1328.

مع خاله صاري علي الذي كان يملك متجرا في تلمسان، وبعد مدة قصيرة ضاق بالاستغلال الذي كان العامل الضعيف يئن تحت حمله، وكان في هذه الفترة عرضة لتأثيرين تأثير الثورة الكمالية في تركيا ونشاط" الأمير خالد" إضافة إلى التأثيرات التي تشرب منها في شبابه المتمثلة في الجو الديني العائلي وجو درقاوة وروح المتمرد التلمساني[1].

وكان في هذه الفترة معجبا بمقالات "الأمير خالد" لاسيما بالخطاب الذي ألقاه عند قدومه إلى تلمسان التي زارها نهاية سنة1922م ثم غادر مصالي الجزائر مرة أخرى سنة1923م إلى فرنسا وأقام في باريس وانظم إلى غيره من المهاجرين الجزائريين هناك[2]. وقد عمل في مصنع للنسيج إلى غاية أكتوبر1924م ثم عمل في مصنع لصهر المعادن وظل يتنقل من مصنع إلى آخر كما كان يتردد على اجتماعات النقابيين الفرنسيين، كما انظم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي ثم تركه لينظم إلى اتحاد ما بين المستعمرات[3].

لكنه في نفس الوقت أروى عطشه من العلم والثقافة وارتاد أوساط الطلبة والدوائر الأدبية وحضر العديد من المحاضرات في السوربون وفي اللغات الشرقية[4] محتفظا بمعارف كثيرة متداخلة في غالب الأحيان مستوعبا لكل ما قد يساعده من بعيد أو قريب في تكوين تصور واضح ودقيق للمستقبل الجزائري وقد سمح هذا التكوين العصامي لمصالي بإلقاء مداخلاته الأولى أمام جمهور من شمال إفريقيا في باريس واعطاء مقالاته العديدة صياغة فكرية وصورة نظرية تستوعبها جماهير المهاجرين التي وجدت فيها معبرا بوضوح وبصورة جيدة مما كانت تشعر به من ابهام وتداخل، وقد تأثر كثيرا بنجاحات الأمير خالد في باريس وكان مناضلا نشيطا لصالح قضية الريف.

كانت الحرية السياسية والاستقلال والنهضة الاسلامية كلها مواضيع تفرض نفسها على فكر "مصالي" فقد منحه التردد على الأوساط السياسية العمالية معنى التنظيم وجعله يدرك ضرورتها كوسيلة كفاح وتابع دروس مدرسة الاطارات في بوبيني. كان "مصالي الحاج" يتميز بفصاحة وحرارة مدخلاته ووضوح عروضه بالعربية كما بالفرنسية وبشجاعته وقوته[5]، إضافة إلى الدور الذي قام به مع العمال

[1]- محمد قنانش، **نجم شمال إفريقيا**...، المصدر السابق، ص70.

[2]-محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص262.

[3]- عاشور شرفي ، المرجع السابق، ص1328.

[4]- عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي**...، المرجع السابق، ص58.

[5]- محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص262.

الجزائريين لتأسيس نجم شمال إفريقيا سنة1926م وبعد أن تولى قيادته كان قد أعلن هدفه وهو الاستقلال والنهضة الاسلامية في منظمة مستقلة ذات خصوصية مغاربية حليفة وليست خاضعة للحركات الثورية الفرنسية[1].

لقد تشابهت نشاطات النجم ونشاطات "مصالي الحاج" إلى حد أصبح مستحيلا تمييزهما أو التفريق بينهما[2]، لكن ما كان "لمصالي" أن يؤدي عمله هذا الداعي للاستقلال لو لم يكن يساعده في مهامه مناضلون ذو شأن تغلبوا على ضعف تعليمهم وعدم خبرتهم في عالم معاد(في مقر محتلهم) أو على الأقل مختلف عن عالمهم بقوة إيمان لا حدود لها وبإرادة وشجاعة لا توجد إلا عند الثوار الكبار[3].

ومما سبق يمكن القول أن الثعالبي نشأ في أسرة علمية ميسورة الحال وهو ما مكنته من قضاء مرحلة طفولة وشبابه في طلب العلم بينما نشأ مصالي الحاج في أسرة فلاحية بسيطة عانت من السياسة الاستعمارية من حيث انتزاع الأراضي والضرائب المرهقة ،الأمر الذي جعل مصالي الحاج يبدأ للعمل منذ طفولته، إضافة إلى إن كلاهما نشأ في جو عائلي قائم على الحفاظ على الاحترام و التضامن العائلي، وترعرعا في بيئة محافظة.

[1]–محمد قنانش، **نجم شمال إفريقيا**...، المصدر السابق، ص71.

[2]–محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص263.

[3]–شارل أندري جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير**...، المصدر السابق، ص ص139-140.

المبحث الثاني: التوجه الفكري

تتضح ايديولوجية كل من "الثعالبي" و"مصالي الحاج" من خلال مواقفهما من القضايا والأحداث المطروحة على الساحة الوطنية والعالمية وهذا من خلال المقالات في الصحف والخطب والرسائل وغيرها من الوسائل المعتمدة في النضال ضد الاستعمار ويعالج هذا المبحث التوجه الفكري لكل منهما والمراحل التي مرّ بها والعوامل المؤثرة فيه.

1. التوجه الفكري للثعالبي:

قبل مناقشة فكر الثعالبي فإنه لابد من الاشارة إلى العوامل التي ساهمت في تكوين فكره.

أ. دعائم فكر الثعالبي: نحصرها في النقاط التالية

– تتلمذ الثعالبي على العديد من الشيوخ الذين لقنوه بأن يعيش ناقما على الاستعمار منددا بتجاوزاته منهم "المكي بن عزوز" و"محمد السنوسي" "السالم بوحاجب"[1].

–كما تأثر الثعالبي بمصلحي القرن19م خاصة "خير الدين" ولهذا فإنه كان يعمل للنهوض بالبلاد وتمكين التونسيين من أسباب الرقي خاصة وأن الاستعمار يحرص على جعلهم يتخبطون في أوضاع مزرية من أجل السيطرة عليهم وتهميشهم والقضاء على دورهم في تسيير شؤونهم[2].

– تأثره بالدستور التونسي كان نتيجة لعهد الأمان لهذا فإن "الثعالبي" عمل على اقناع الرأي العام الفرنسي في كتابه "تونس الشهيدة" على العودة إلى النظام الدستوري ما قبل الحماية، وهذا لإلغاء نظام الحماية الفرنسية والقضاء على نفوذ المقيم العام[3].

– تأثر بما تلقاه في جامع الزيتونة لهذا اعتبر أن أداة الكفاح تكمن في تقوية الرابطة الاسلامية وأحياء الهوية[4].

– التأثر بأفكار "جمال الدين الأفغاني" و"محمد عبده"، فالأفغاني يرفض أية هدنة مع القائمين على الحكم ما داموا قبلوا بوجود الاستعمار ويرى مصانعة الأجنبي ضلالا وكان يرى أن الجهاد هو الذي

---

[1]–محمد السعيد عقيب، **الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934–1956**، أطروحة دكتوراه، الجزائر، 2010، (غ.م)، ص45.

[2]–نفسه، ص33.

[3]–يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص167.

[4]–محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص31.

يوقظ الشعوب بينما كان "محمد عبده" كان يعتمد على التربية والتعليم كوسيلة أساسية لمكافحة الاستعمار وكان الثعالبي ممثلا للاتجاه الأول[1].

– تأثر "الثعالبي" بفكرة الجامعة الاسلامية حيث كان يراسل الجرائد المصرية وعمل على ابراز أمراض المجتمع الاسلامي وأسرار حياته العقلية والاجتماعية وتوضيحها للحكام المسلمين لإنقاذ الخلافة من التدهور الذي أحاط بها[2]، ونتيجة لتأثره بفكرة الجامعة الاسلامية ركز على بناء هياكل للبلد منفصلة عن الاستعمار الفرنسي[3].

–يضاف إلى تأثره بوسطه الأسري وجامع الزيتونة ورواد الاصلاح في تونس وخارجها فإن رحلاته الكثيرة ولمدة طويلة التي طاف خلالها بحواضر العالم الاسلامي وكثرة تردده على الأستانة والقاهرة وكلاهما كان مركزا سياسيا وثقافيا ومن خلالهما التقى بالعلماء ورجال السياسية، هذه الأمور ساهمت في تكوينه الفكري والسياسي، وقد عاد "الثعالبي" إلى تونس في صيف1902م[4] "غريب الشكل والنزعة والمنطق والقلم يتكلم بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده...يدعو إلى التطور والحرية وفهم أسرار الدين"، وقد تميز الثعالبي عن محمد عبده والأفغاني بزعامته السياسية ضد الاستعمار[5].

– ساهمت رحلته إلى أوربا في التعرف على ما يحدث في الغرب خاصة فرنسا التي كانت نموذجا للتطورات التي حصلت في الغرب ولا شك أن ذلك مكنه من فهم واقع عصره والمشاكل التي تحيط به وتأثر توجهه التحريري بأفكار الثورة الفرنسية ومبادئها[6].

– وقد أثرت أحداث طرابلس في فكر "الثعالبي" وجعلته أكثر تشددا وصار بذلك من أبرز القادة الوطنيين التونسيين في مهاجمة الاستعمار ومن أبرز دعاة الوحدة الاسلامية فلم تفته أي فرصة لإظهار عدائه صراحة للإدارة الفرنسية بتونس خصوصا والاستعماريين عموما وإعلان ولائه للخلافة الاسلامية[7].

– تأثره بتصريحات الأوربيين والأمريكيين كتصريح الرئيس "ولسون" التي فرضتها ظروف الحرب لهذا فإنه

---

[1]– عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص9.

[2]– يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص335.

[3]– يوسف مناصرية، **آراء وموافق في تاريخ الجزائر المعاصر**، دار هومة، الجزائر،2013، ص68.

[4]– أحمد طرفاوي ، المرجع السابق،ص22.

[5]– نقلا عن أحمد الطويلي، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي**... ،المرجع السابق ، ص105.

[6]– محمد السعيد عقيب ، المرجع السابق، ص ص45-46.

[7]– عبد العزيز الثعالبي ، المصدر السابق، ص12.

كان يهدف لطرد سلطات الحماية وتكوين حكومة دستورية قوية وقد عبر بصدق عن رغبته في الاستقلال وبناء دولة اسلامية حرة[1].

– كما تأثر "الثعالبي" بالأفكار الشيوعية الدولية حيث يظهر هذا في بعض المطالب التي تقدم بها التونسيين بعد الحI ع مثل حرية الفكر والتجمع والتعليم والصحافة كما أن الشيوعيون والاشتراكيون شجعوا الثعالبي على القاء الخطب والمحاضرات في نواديهم وفتحوا أمامه عضوية جمعياتهم واستند على رجال السياسة والفكر الأكثر تأثيرا في الرأي العام، وكان تعامل الثعالبي معهم استراتيجيا فقط؛ وقد قال سامي الجندي:" والغريب في أمره أنه لم يحقد على الشيوعيين...فقد وجد فيهم عنصرا يحفز نضال الأمة ولو أنه يختلف عنهم في كل أفكاره فقد بلغت المصانعة درجة عجيبة..." [2].

ب. عناصر فكر الثعالبي

– الوحدة الوطنية

ظهر توجه "الثعالبي" الوحدوي الوطني من خلال حرصه على العمل إلى جانب مختلف فعاليات الحركة الوطنية التونسية، وقد برزت ملامح التوجه الوحدوي عنده مع مطلع ق20م من خلال اعتماده مبدأ العمل الوطني المشترك في سبيل مقاومة الاستعمار الفرنسي بتونس وتجسيد العمل الاصلاحي النهضوي ،وبالتالي نراه يشارك في الحركة الاصلاحية والسياسية في تونس مع اختلاف توجهاتها الفكرية[3]؛فمثلا انضم سنة1909م إلى حركة الشبان التونسيين وتولى رئاسة تحرير النسخة العربية للتونسي لسان حال الحركة[4] بالرغم من أنها كانت تضم في صفوفها تياران؛ تيار وطني مفرنس الثقافة

يتطلع نحو الحرية مع الارتباط بفرنسا وتيار وطني عروبي اسلامي قومي يتطلع نحو الحرية مع الانفصال التام عن فرنسا وقد انتصر التيار الوطني العربي الاسلامي، وتم توحيد الحركة على صعيد وطني تونسي[5].

وبعد اخفاق المطالب التي قدمت إلى الرئيس "ويلسون" انقسمت النخبة التونسية بين من يطالب بالاستقلال ومن يطالب بالمشاركة في الحكم مع الفرنسيين وادخال اصلاحات وعلى الرغم من الانقسام فإن قدرة "الثعالبي" على الجمع بين مختلف الاتجاهات أدت إلى توحيد الصف ،وبينما كان الحزب

[1]– يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص165 .

[2]– نفسه، ص347 .

[3]– أحمد طرفاوي ، المرجع السابق، ص126.

[4]– عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص10.

[5]– الطاهر عبد الله ،**الحركة الوطنية التونسية: رؤية شعبية وقومية جديدة1830–1956**ار المعارف، تونس،(د ت)، ص 41.

استقلاليا أصبح اصلاحيا، حيث وقع "الثعالبي" بين تطرف "علي باش حانبة" والحاحه على مطالبة الاستقلال الكامل وبين اعتدال "حسن قلاتي" فتغيرت ايديولوجية "الثعالبي" من مطالبة بحق تقرير المصير وهو الاستقلال إلى الواقعية حيث وقف موقفا وسطا بين الاعتدال والتطرف فجمع بموقفه هذا بين الأطراف التونسية المتنازعة وبذلك تحول من المطالبة بالاستقلال إلى المطالبة بالدستور[1].

وبعد تأسيس الحزب الدستوري التونسي انتخب "الثعالبي" رئيسا له من طرف اعضاءه رغم وجوده في السجن كما انتخب رئيسا للجنة التشريعية للحزب، وهذا دليل على أن "الثعالبي" كان يمثل رجل الوفاق بين أعضاء الحزب الدستوري إلى غاية خروجه من تونس سنة 1923م[2].

ومن مظاهر التوجه الوحدوي الوطني عنده اعتبار الأسرة الحسينية سلطة شرعية في تونس تخدم مصلحة الشعب وتحافظ على وحدته بينما كان ينظر إلى سلطة الحماية نظرة عداء وسخط ومصدر لتمزيق وحدة الشعب، وبالتالي كان لابد من الغائها وقد ساهمت السياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا في تونس في اذكاء الشعور الوطني للتونسيين حيث عارض اصلاحات سنة 1922م واعتبرها وسيلة جديدة لإلحاق تونس بفرنسا.

وقد انعكست السياسة الاستعمارية على سياسة الحزب الدستوري الذي اصطبغت ايديولوجيته بروح "الثعالبي" العربية الاسلامية ولذلك هدفت في مجملها إلى العودة للعمل بالدستور والغاء نظام الحماية صراحة لهذا فإنه اتجه لإثارة الشعور الديني والوطني في نفوس الشعب وبعث فيه روح كراهية الاستعمار ودعاه إلى العمل داخل صفوفه للتخلص من نير المعمرين[3]، وقد كان "الثعالبي" يعمل في سبيل تحرير الوطن ولذلك ركز في نضاله على القيم والمبادئ التي تحفظ الشخصية القومية التونسية حتى يستطيع الصمود في وجه الاستعمار[4].ولما غادر "الثعالبي" تونس نحو المشرق الاسلامي ظلت علاقته قائمة مع وطنه في تونس،ومن مظاهر ذلك التواصل أن رفاقه في الحزب الدستوري فوضوه مندوبا عنهم في المؤتمر الاسلامي بالقدس سنة1931[5].

وبعد أن حدث الشقاق في صفوف الحزب الدستوري سنة1934م حيث انشق عنه "بورقيبة" ورفاقه

---

[1]- يوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث**...، المرجع السابق، ص147.

[2]- أحمد طرفاوي ، المرجع السابق، ص128 .

[3]-يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص345.

[4]- محمد السعيد عقيب ، المرجع السابق ، ص46.

[5]- أحمد طرفاوي ، المرجع السابق، ص128.

مشكلين الحزب الدستوري الجديد فإن "الثعالبي" تلقى الكثير من الرسائل التي تدعوه للعودة إلى تونس لتحقيق الوحدة في صفوف الحزب وهذا يدل على مدى الثقة التي كان يحظى بها "الثعالبي" لدى التونسيين واعترفا منه بمدى الدور الذي يمكن أن يقوم به في سبيل تحقيق الوحدة الوطنية، وقد عاد فعلا سنة1937م وبذل "الثعالبي" جهده لتحقيق الوحدة بين جناحي الحزب ولكنه فشل في ذلك نظرا للاختلاف الفكري بين الجيل القديم والجيل الجديد في الحزب[1].

- **الوحدة الاسلامية**

اهتم الثعالبي بفكرة الجامعة الاسلامية منذ بداية نشاطه سنة1895م عندما أسس جريدة "سبيل الرشاد"[2]وكذا من خلال المقالات التي كان يبعث بها إلى الصحافة المصرية الداعية إلى انقاذ الخلافة مما تعانيه من ضعف ثم رسخت فكرة الجامعة الاسلامية لديه في الفترة ما بين1895-1902م حين اختلط بعلماء مسلمين "كمحمد عبده ورشيد رضا والكواكبي" وقد دعا "الثعالبي "علماء المسلمين سنة 1897م إلى عقد مؤتمر اسلامي ليبحث مستقبل العالم الاسلامي ومعالجته مما يعانيه من مشاكل[3].

كما يظهر ذلك من خلال اسم جريدته التي سماها الاتحاد الاسلامي سنة1909م وهي تعني التمسك بالوحدة ونظام الخلافة الاسلامية[4]،وقد كانت له مواقف وجهود في سبيل هذه القضية فقد عبر عن امتعاضه من سياسة الأتراك الانفصالية وموقف العرب من الدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الأولى[5].

ولما سقطت الخلافة الاسلامية العثمانية سنة 1924م شكلت حدث بارزا شدّ إليه أنظار العالم الاسلامي فقد تأثر بذلك ،حيث كان يحمل في نفسه مبدأ وجوب نشر الدعوة الاسلامية في العالم الاسلامي، وقد سادت فكرة الجامعة الاسلامية فكر "الثعالبي" بربط فكرة بناء الوحدة العربية بالوحدة الاسلامية ارتباطا وثيقا[6] وذلك من خلال عقده إلى دعوة المؤتمر الاسلامي

[1]- صالح خرفي، المرجع السابق، ص264-274 .

[2]- أحمد طويلي، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي** ، المرجع السابق، ص128.

[3]- يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص336.

[4]-أحمد طويلي ،**الزعيم عبد العزيز الثعالبي**...، المرجع السابق، ص56.

[5]- أحمد طرفاوي ، المرجع السابق، ص107 .

[6]- يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص354 .

بالقدس1931م[1] وقد كانت له مساعي كبيرة لدى المسؤولين اليمنيين لإقناعهم بعقد مؤتمر قومي عام لتوحيد اليمن وتخليصه من الهيمنة الأجنبية[2].

- **الوحدة العربية**

لم يكن اهتمام "الثعالبي" بقضية الوحدة العربية تراجعا عن مبدأ الوحدة الاسلامية لأن مشروع الوحدة العربية ليس بديل قطعي عن الوحدة الاسلامية في فكره، حيث دعا إلى الترابط العربي القائم على القيم الاسلامية.

وقد انتقد الفكر القومي بمفهومه الغربي والذي يقوم على أساس اللغة والجنس، وكان قد عمل على الدعاية لمشروع الوحدة العربية، حيث دعا إلى اصدار مجلة الرابطة الاسلامية وطرح منذ أعدادها الأولى مشروع الدولة العربية الموحدة في مقال بعنوان"الإمبراطورية العربية التي نبشر بها".

وقد اعتبر أن المقومات المشتركة من دين ولغة وتاريخ كلها عناصر قوة للمنطقة العربية وأنها وسيلة هامة ليتمكن العرب من النهوض واستعادة قوتهم ومجدهم، وهذا يتطلب العلم والعمل ومن هذا المنطلق انتقد حال العرب الذي طبعه الهوان والاستسلام والقابلية للاستعمار وكان مشروعه يقوم على ربط بين الوحدة العربية والتحرر من الاستعمار وتحقيق النهضة[3].

- **الوحدة المغربية**

كان الثعالبي من دعاة الوحدة المغربية العربية الاسلامية، حيث كان يدين بشدة السياسة الاستعمارية في المغرب العربي ولم يكن يريد ازدهار تونس إلا في اطار توحيدها مع باقي أقطار المغرب العربي الأخرى وقد فتح "الثعالبي" أبواب الحزب الدستوري للمغاربة للدخول فيه فارتبط عدد من الجزائريين به لتحويله إلى حركة مغاربية يتاح من خلالها لأبناء المغرب العربي دفع جهودهم متضامنة لنصرة قضيتهم ورفع نير الاستعمار الفرنسي المسلط عليهم، وقد تبنى الجزائريون مثل "صالح بن يحي"، "أحمد توفيق المدني"، و"عبدالرحمان اليعلاوي" وغيرهم قضية الثعالبي كما أن هذا الأخير عرض على "الأمير خالد" توحيد نضالهم ضد الاستعمار الفرنسي بيدا أنه رفض ذلك[4].

---

[1]- أحمد طويلي، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي** ، المرجع السابق، ص121.

[2]- توفيق جابر، المرجع السابق، ص 07.

[3]- صالح خرفي، المرجع السابق،ص ص27-28.

[4]- يوسف مناصرية ، **آراء وموافق في تاريخ الجزائر المعاصر**....،المرجع السابق، ص 68،69 .

2. التوجه الفكري لمصالي الحاج

أ. دعائم فكر مصالي الحاج: هناك مجموعة من العوامل التي ساهمت في تكوين التوجه الفكري لمصالي الحاج وتتمثل في ما يلي:

-نشأة "مصالي الحاج" في أسرة فلاحية متواضعة متمسكة بالدين الاسلامي الحنيف أثرت في تكوين فكره، وقد ساهم والداه في المرحلة الأولى من حياته على تكييفه مع مجتمعه والارتباط بأجداده وهذا ما جعله يتأثر بالوسط وتغيراته حسب الظروف وظل"مصالي الحاج"يتذكر كلام قريبه "عبد القادر ممشاوي" الذي كان يحدثه عن الاسلام ومبادئه ومساوئ الاستعمار ويخبره بما يحدث في المغرب الأقصى والدولة العثمانية وما يحدث في بلاد العرب وهذا جعله يدرك أن البلاد الاسلامية في خطر.

-لقد تأثر بما تلاقاه من الشيخ "بن يلس" الذي لقنه مبادئ الزاوية الدرقاوية من رفض الظلم حتى وأن تطلب ذلك استخدام السلاح والكفاح ضد الكفار وتعلم منه الحفاظ على تعاليم الاسلام ونشر الحرية والعدالة في المجتمع الجزائري كما كان يشارك في المحاضرات ويناقش مع رفاقه الأحداث الحاصلة.

-إن عمل والده كحارس ليلي قد جعلته يدرك أن وطنه يخضع للسيطرة الجنبية ولابد من تخليصه من هذا الاحتلال حيث كان يذكر ما قاله والده في أحد الأيام الباردة:" عندما أفكر فإني أفكر في أولئك الذين سرقوا بلادنا" كما كان يخبره عن سلب أراضي الجزائريين ومنحها للمعمرين الأوربيين قائلا:" نحن مهددون باعتبار أننا محاصرون بالمعمرين تقريبا من كل جانب وأصبحوا غزاة أكثر فأكثر"[1] .لقد عاشت عائلته في ظروف تميزت بتجذر الاستيطان الفرنسي وتدمير البنى التقليدية الجزائرية وانتشار الفقر والأمية بسبب الضرائب المرتفعة على السكان.

-إن التجنيد والهجرة والحرب كانت تجارب أساسية في حياته حيث تعرف على جزائريين موجودين في فرنسا واحتك بآخرين من المجندين واكتشف فرنسيي فرنسا الذين كان يجهلهم وأدرك الفرق الشاسع بين الجزائري الأوربي وبين فرنسي فرنسا، كما أدرك بعد حصوله على رتبة رقيب في الجيش الفرق بين الجزائريين والفرنسيين حيث عانى من التمييز العنصري[2].

-خلال تجنيده انكب "مصالي" على قراءة الصحافة الفرنسية كجريدة جنيف التي اهتمت بأخبار الجزائر والكتب الفرنسية التي تمجد الحريات والحضارات الانسانية كما أنه درس بمدرسة الوطنية للغات الشرقية،

[1]-مصالي الحاج ، المصدر السابق، ص ص15، 22.

[2]-بن يامين سطورا، **مصالي الحاج**, تر: صادق عماري ،دار القصبة ،الجزائر ،2007،ص22.

حيث تلقى دروسا عن المغرب العربي والمشرق العربي كما كان يقرأ جريدة الحزب الشيوعي الفرنسي "الانسانية" التي كانت تهتم بمطالب العمال والشعب والفقراء وبحرب الريف وبمساندتها لها وقد أثرت فيه كل هذه الأفكار[1].

-وبعد انتقاله إلى باريس انظم إلى الحركات العمالية حيث تعلم معنى الحقوق ودور النقابة في الحفاظ عليها ودورها في الاضرابات لتحقيق مطالبها كما تأثر "بالحاج علي عبد القادر"[2]، كما تأثر بالدعاية الشيوعية[3] حيث أصدر الحزب الشيوعي الفرنسي سنة1925م منشورات باللغتين تندد بالنظام الاستعماري الفرنسي في إفريقيا وآسيا والوطن العربي وقبل هذا سنة1924م انعقد في باريس أول مؤتمر لعمال إفريقيا الشمالية الذي نظمه الحزب الشيوعي الفرنسي وشارك فيه عمال شمال إفريقيا[4].

-التأثر بالمناخ الثوري الذي اشتهرت به باريس رمز الثورات والقضايا الدولية العادلة وحماس المناضلين العاملين في طليعة الكفاح ضد كل أشكال الظلم والاستغلال وإضافة إلى أحداث ما بعد الحرب شعر العمال الجزائريون بالقوة وحق الشعوب في تقرير مصيرها، إضافة إلى الثورة الروسية سنة1917م ومساعي وفود البلدان المستعمرة لدى عصبة الأمم والمظاهرات الأولى للوطنيين المصريين والسوريين[5].

-التأثر بفكرة الجامعة الاسلامية التي بعثها"جمال الدين الأفغاني"من خلال"مجلة العروة الوثقى" وتصريحاته الجريئة، كما تأثر"بمصطفى كمال" مؤسس الحزب الوطني وانتصاراته[6].

-تأثر"مصالي الحاج" بنضال "الأمير خالد"في باريس من خلال مطالبته بالحقوق السياسية للجزائريين واستقلال شمال إفريقيا والحفاظ على الهوية العربية الاسلامية وقد اعتنق أفكاره من خلال محاضرته في

---

[1]-يوسف حميطوش، **منابع الثقافة السياسة والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس**، دكتوراه، كلية العلوم السياسية والاعلام، الجزائر،2006، (غ م)،ص49.

[2]-ولد في دوار سعادة قرب غليزان، كان عصاميا تعلم بنفسه، أنشأ متجرا للآت الحديدية بمعسكر ،هاجر إلى باريس1905 دخل في الحزب الشيوعي الفرنسي ،شارك في محاضرات الأمير خالد وفي الاجتماعات التأسيسية للنجم واختير أول رئيس له خرج من النجم سنة1929م .للمزيد أنظر محمد قنانش ومحفوظ قداش، **نجم الشمال الافريقي**، المرجع السابق، ص69.

[3]- بنيامين سطورا ، المرجع السابق، ص45-48 .

[4]-سعدي بزيان، **دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر1954: التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين في المهجر من نجم شمال إفريقيا إلى الاستقلال**، منشورات تالة، الجزائر، 2009،ص17.

[5]-محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص272.

[6]-محفوظ قداش، **الايديولوجية الثورية في الحركة الوطنية**، في مجلة الأصالة، المجلد 4، العدد11، وزارة الشؤون الدينية والوقاف، الجزائر،2011، ص26.

جوان1924م وفي هذه الفترة كان "الأمير خالد"في مصر وجاء إلى فرنسا بدعوى من الحزب الشيوعي لإلقاء محاضرتين في12و19جويلية"حول أوضاع المسلمين في الجزائر"[1].

-كما أن لقاء "مصالي"مع"شكيب أرسلان"قد ترك أثرا عميقا على توجهه العروبي وعلى تفكيره القومي، وقد ساعده للخروج من الفلك الشيوعي العالمي إلى الفلك العربي الاسلامي[2].

ب.عناصر فكر مصالي الحاج

يصعب تحديد فكر"مصالي الحاج"وهذا يرجع إلى طبيعة خطاباته وحواراته وكتاباته حيث يستند فيها إلى مرجعيات مختلفة والتي سبق ذكرها لكن مع غلبة توجه معين في فترة ما وتراجعه في أخرى حسب الظروف المكانية والزمانية فمثلا كان يغلب عليه التوجه الماركسي وهذا يرجع إلى تأثره بالحزب الشيوعي الفرنسي وتأثره بأفكار"حاج علي عبد القادر"ثم أصبح يغلب عليه التوجه الاسلامي.

ويمكن القول أن مصالي الحاج كان توفيقيا عرف كيف يجسد مرجعيات متعددة بشكل منسق وهذا عكس ما يحدث داخل تنظيماته لأن كل مناضلي هذه التنظيمات وبخاصة القيادة منها لم يكونوا على نفس درجة وقدرة "مصالي الحاج" في التوفيق المنسق بين مختلف تلك الأفكار بل نجد كل مناضل فيها له أفكار تميل إلى مرجعية معينة مع قليل من المرجعيات الأساسية المعروفة أي الاسلام والماركسية والليبرالية. وبالتالي كان كل واحد فيهم يجد نفسه في "مصالي" وأطروحاته رغم التناقضات السائدة بينهم فلو كان مثلا "حاج علي عبد القادر" هو الذي واصل قيادة النجم وحزب الشعب لا تم الانفجار الداخلي بها لأنه كان ماركسيا بحتا. ولعجز عن ضم أصحاب التوجهات الفكرية الأخرى إليه عكس ما قام به مصالي[3] .وفي هذا السياق يقول مصطفى الأشرف:" ولأول مرة وثبت جماهير المغتربين الجزائريين في فرنسا وثبة كبرى في مسيرة الحركة القومية وأعلنت عن تمسكها بمبادئ تلك الحركة وكان لاختيار منطقة باريس...أثر بالغ لأنه جعل من النجم حركة ضمت عدة اتجاهات وايديولوجيات أو مزيجا من اثنين أو ثلاثة من الايديولوجيات: قشور الماركسية والوطنية الجزائرية القائمة على العاطفة والحنين إلى البلاد والاتجاه الاسلامي..." [4].

---

[1]-جورج الراسي، **الدين والدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد العزيز بوتفليقة**، دار القصبة،الجزائر،2008، ص124.

[2]-أبو قاسم سعدالله، **أبحاث وآراء**..،ج1، المرجع السابق، ص ص125، 126.

[3]- رابح لونسي ، **التيارات الفكرية**، ص ص111-122.

[4]-نقلا عن مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص250.

وقد اعتنق الجزائريون المهاجرون لأول مرة فكرة الاستقلال تماما عن طريق الحركة الشيوعية وكانت هذه أول قوة أوربية تطرح فكرة التخلص من الاستعمار وقد اعتنق الجزائريون فكرة الوطنية من خلال جهود مقصودة بذلها الحزب الشيوعي الفرنسي ولم يكن "مصالي الحاج" شيوعيا واضحا ،ورغم ذلك فإنه تعاطف مع الحزب الشيوعي، ويظهر ذلك في خطابه في مؤتمر بروكسل سنة1927م[1] الذي أنهاه بعبارة"تحيا اشتراكية الشعوب المضطهدة يحيا الاتحاد السوفياتي محورة العالم" ويظهر ذلك أيضا سنة1933م عندما انفصل عنه حيث عبر عن خيبة أمله فيه وعن تفكك نظريته الماركسية وتعدى التأثير ذلك ليصل إلى برنامج1933م الذي طالب فيه باستعادة ممتلكات الجزائريين المصادرة واحترام الملكية الوسطى والصغرى. وربما هذا يرجع إلى أن أغلب زملاء مصالي في هذه الفترة كانوا شيوعيين إضافة إلى تأثره الشديد بأطروحات "حاج علي عبد القادر"[2]،وشيئا فشيئا ابتعد مصالي الحاج عن أطروحاتهم[3]وقام بتنظيم حزبه بمفرده ثم وجد الدعم الكافي من خلال مساعدة "عيماش عمار[4]" و"راجف بلقاسم[5]" ويظهر ذلك من خلال تصريحاته حيث صرح سنة1929م بما يلي:" الاستقلال وحده هو الذي يقنع الشعوب المضطهدة"[6] كما قال سنة1934م:" أن الجزائريين يرغبون في حصول بلادهم على الاستقلال وليس على وصاية شيوعية تضر بقضية الأهالي أكثر ما تنفعها". وكان يقول للمناضلين:" لقد تخلينا عن شيوعية الموت في سبيل وطنية الحياة"[7].

إن الطرح السياسي الذي تبناه مصالي الحاج هو الطرح شعبي ثوري وكان مطلب الاستقلال يتطلب ايديولوجية ثورية، وقد وجدها في العمال الذين يشكلون القوة الراديكالية بسبب اغترابهم الناتج عن السياسية الفرنسية الاستيطانية في الجزائر وقد استطاع "مصالي الحاج" التأثير على جماهير المهاجرين لأنه كان يتبنى الفكر الوطني والشعبوي والثوري، وقد عبر عن الوطنية الجزائرية وتحررها وهذا كرد فعل على

---

[1]- أبو قاسم سعدالله، **أبحاث وآراء**..،ج1، المرجع السابق، ص 27 .

[2]- أنظر يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري**...، المرجع السابق،ص ص 89-92.

[3]- أبو قاسم سعدالله، **أبحاث وآراء**..،ج1، المرجع السابق،ص42.

[4]-ولد في1865، انخرط في حركة النجم سنة 1931م وبعد فترة قصيرة أصبح رئيس تحرير صحيفة الأمة ، بعد تأسيس حزب الشعب 1937م رفض أن يكون ضمن القيادة الجديدة،.للمزيد أنظر محمد عباس، **رواد الوطنية**،دار هومة،الجزائر،2004، ص40.

[5]-ولد سنة1909م ،انخرط في حركة نجم شمال افريقيا سنة1930م،.للمزيد أنظر محمد عباس ، المصدر السابق،ص19.

[6]-بنيامين سطورا ، المرجع السابق، ص74 .

[7]-نقلا عن شارل روبير آجرون، المصدر السابق، ص541 .

أضاليل الاحتلال الفرنسي وكتأكيد على وجود القيم الوطنية الجزائرية ذات البعد العربي الاسلامي إضافة إلى الشخصية المعنوية الايجابية للشعب الجزائري مقارنة بالشخصية المادية السلبية للمستعمر[1].

فالوطنية عنده تبرز حسب رأيه في السماح للجزائريين بالتحدث والتعلم بلغتهم العربية وفي ممارسة عقيدتهم الاسلامية وقد هاجم مصالي في خطبة له أمام الجمعية العامة الامبريالية الفرنسية لمحاولتها إغراق المسلمين الجزائريين في الجهل بدينهم وقال عن تلك الامبريالية "أنها قد أرسلت إلى شمال إفريقيا آلاف المبشرين الذين عملوا على تنصير سكانه" ثم أضاف "ومن حسن الحظ أن الشعب العربي الملهم بإيمان صلب يمتلك قوة معنوية غير قابلة لتحطيم ولا يمكن أبدا أن تنحني أمام القوة المادية" [2].

كما صور الصراع الجزائري الفرنسي على أنه جزء لا يتجزء من الكفاح الاسلامي ضد المسحية وبالتالي جزء من الكفاح العربي ضد الغرب .وهكذا انتهى عهد النظرة إلى الثورة العالمية ضد الاستعمار وأصبح الاتجاه العربي الاسلامي أقوى وهذا يرجع إلى خيبة أمله في الحزب الشيوعي الفرنسي وفي البروليتارية العالمية ونتيجة لاحتكاك مصالي بالشباب التونسي والمغربي في الأوساط الطلابية المغاربية في باريس[3] إضافة إلى تأثير زملائه عليه مثل"مفدي زكريا" و"محمد قنانش"وتأثير "شكيب أرسلان"بعد مشاركته في المؤتمر مسلمي أوربا[4].إضافة إلى أن مصالي كان قد تأثر بما تعلمه في الزاوية الدرقاوية وقد برزت المرجعية الاسلامية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالهدف السياسي لقد برزت على نحو واضح في مسعاه السياسي خلال السنوات1930-1935م، حيث كان مصالي يخاطب المناضلين بالعربية والفرنسية كما قرر تنظيم دروس في اللغة عربية ومحاضرات لشرح عظمة الاسلام وكان يردد على مسامع المناضلين أن الشيوعية تتناقض والمبادئ الثابتة في الاسلام، وكان يعتبر أن التفوق الفرنسي لم يكن إلا ماديا، إن المعركة من أجل المحافظة على الهوية الروحية التي كانت تمثل وسيلة فوز قوية في مسيرة الاستقلال[5].

كما كانت جريدة الأمة مفعمة بالروح الاسلامية وبالدعوة للقومية العربية وبإحياء أفكار الوطنية الجزائرية[6]، وفي هذا الصدد يذكر مصطفى الأشرف:" أن الحركة القومية في بدايتها أخذت تبحث بطريقة

---

[1]- يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص ص104-109.

[2]- بنيامين سطورا ، المرجع السابق، ص105.

[3]-أبو قاسم سعدالله، **أبحاث وآراء**..،ج4، المرجع السابق، ص 44.

[4]-رابح لونسي، **التيارات الفكرية**..، المرجع السابق،ص 112.

[5]-بنيامين سطورا ،المرجع السابق ،ص104.

[6]-جورجي الراسي، المرجع السابق، ص130.

مستعجلة مجموعة عن طريقها فلا تدري ماذا نختار من المذاهب المنتشرة آنذاك والحقيقة أن القادة عملوا على تحريك المناضلين ودفعهم للعمل بإثارة الوطنية وهي وطنية صادقة ميالة إلى اصلاح الأوضاع ومتجهة في أكثر الأحيان وبكل تصميم وحماس نحو العالم الاسلامي المضطهدة ونحو البلاد العربية المتعرضة للغزو الامبريالي الانجليزي الفرنسي"[1].

وقد كان مصالي يدعو إلى العودة إلى الحضارة العربية الاسلامية وإلى وحدة جميع الشعوب العربية الاسلامية حيث يقول:" إن المسافة التي تفصل بين المسلمين واختلاف مصالحهم لا يجب أن تكون عائق أمام الوحدة الاسلامية ولم يطمح الأوربيين في الإمبراطورية الاسلامية ويقدموا على غزوها إلا بعد تجزئة قوتها"[2].

وقد حمل مصالي فكرة وحدة النضال المغاربي لاستقلال بلدان المغرب العربي الثلاثة(الجزائر، تونس ،المغرب الأقصى)، وقد تأثر في ذلك "بالأمير خالد" الذي كان يعمل على النضال في سبيل الكفاح من أجل استقلال الجزائر وكل المغرب العربي[3]، وقد اتصل "مصالي الحاج" مع "حاج علي عبد القادر" بالوفد الثالث للحزب الدستوري التونسي في3ديسمبر1925م من أجل توحيد طرق النضال ،ولكنهم رفضوا ذلك ظنا منهم أن "مصالي" ورفاقه شيوعيين[4].

وقد كتب مصالي في الأمة عدد ديسمبر1931م:" إن وحدة العناصر الوطنية الثورية الثلاثة المراكشيون والتونسيون والجزائريون ستؤدي لا محالة بالمغرب الأقصى وتونس والجزائر إلى الاستقلال". من الواضح أن مصالي كان يحمل فكرة وحدة العمل المغاربي المشترك لكنه لم يجد من يجاريه في ذلك من المغاربة والتونسيين، وفي16أوت1936م صرح مصالي:" إننا نريد إقامة الوحدة الاسلامية في شمال إفريقيا بإبعادنا للمستعمرين[5].

يمكنا القول أن نظرة الحركة الشيوعية للمسألة الوطنية كانت قاصرة وكانت الحركات البرجوازية تنظر بحساسية مفرطة إلى الوضعية الكولونيالية التي لم تقتصر على المغرب العربي بل امتدت إلى المشرق

---

[1]-نقلا عن مصطفى الأشرف ،المرجع السابق، ص251.

[2]-نقلا عن بنيامين سطورا ، المرجع السابق ، ص104.

[3]-محمد بلقاسم، **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا: الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي**،البصائر الجديدة،الجزائر،2013،ص ص113-117.

[4]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح** ،ج2،دار البصائر، الجزائر،2009، ص132-135.

[5]- نقلا عن محمد بالقاسم ، المرجع السابق، ص334-346.

وخاصة بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية وهكذا أصبح الوطنيون الراديكاليون يملكون قابلية لتبني الأطروحات التي تدعو إلى الوحدة الاسلامية والوحدة العربية التي روج لها رجال النهضة وتعمق لديهم هذا التوجه في العشرينات والثلاثينات، لما احتكوا بتيارات وشخصيات تتوجه الاتجاه نفسه، وبالتالي تحولت القاعدة الاجتماعية التابعة للوطنية الراديكالية جماعيا نحو الاصلاح الديني وهي أصلا قاعدة اجتماعية ذات أصول ريفية في أغلبها متأثرة بزاوية درقاوة[1]. فالزعيم "مصالي" مثل من قاوموا الاحتلال الفرنسي استندوا إلى الفكرة الدينية وهذا لارتباطهم بالإسلام والقرآن الكريم، كما يقول ابن العقون:" كان جنسيته الرسمية والتاريخية وهو وجوده الشخصي والوطني والقومي وهو عقيدته الروحية الدينية"[2].

نستنتج أن التوجه الفكري للزعيمين قد تكون انطلاقا من الظروف التي نشأ فيها كل منهما، إضافة إلى تجاربهما في اطار النضال من أجل تحرير بلدهما، كما أن فكر الزعيمين قد تطورت حسب الظروف والمعطيات الداخلية والخارجية ،وبالتالي عرفت تغيرا مستمرا، إلا أن مبادئهما ظلت قائمة والتي تمثلت في طرد المستعمر الفرنسي والتمسك بالهوية الوطنية من خلال الحفاظ على المقومات الشخصية وما يميز كل منهما هو أن ايديولوجيتهما كانت توافقية، وبالتالي كان بإمكانهما استيعاب توجهات رفاقهما في النضال وهذا يرجع إلى تعدد المرجعيات الفكرية لكل منهما.

[1]–حسن رمعون، الاستعمار:**الحركة الوطنية والاستقلال في الجزائر**،في مجلة انسانيات،عدد31 جانفي–مارس2006،ص23.

[2]– نقلا عن بن العقون بن عبد الرحمان، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**،ج1،منشورات السائحي، الجزائر، (د ت)، ص152.

المبحث الثالث: الآثار الفكرية والسياسية للزعيمين

توضح الكتابات التي تركها كل من "عبد العزيز الثعالبي" و"مصالي الحاج" اتجاهاتهما الفكرية وذلك من خلال موقفهما من القضايا المطروحة من خلال المقالات والخطب والكتب.

1.آثار الفكرية والسياسية لعبد العزيز الثعالبي

لقد كان الثعالبي غزير الانتاج العلمي والفكري والتاريخي والأدبي وقد انقسمت مؤلفاته إلى كتب ومقالات ودراسات مطولة تناولت موضوعات مختلفة[1] وإذا كانت حياة الثعالبي قد انقسمت إلى جزئين حياة عامة اهتم فيها بالكفاح السياسي واستقلال تونس من وطأة الاستعمار وحياة فكرية عمل فيها على نهضة العالم الاسلامي علميا وحضاريا[2]. فيمكننا القول أن مؤلفاته اتخذت نفس التقسيم ولهذا سنركز على أعماله السياسية والوطنية.

اعتمد "عبد العزيز الثعالبي" في نضاله الفكري والحزبي على الصحافة نذكر منها:

-**جريدة المبشر**: في سنة1892م كون الثعالبي فريقا لتحرير جريدة المبشر بالعربية وحاولت هذه الجريدة فضح سياسة الفرنسيين الجائرة اتجاه الأهالي والعداء المستمر عليهم[3].

-**جريدة سبيل الرشاد**: جريدة علمية أدبية سياسية تاريخية وهي أول عمل صحفي قام به الثعالبي في ميدان اصدار الصحف وقد أقامت ضجة في البلاد وحملة ضده منذ صدور العدد الأول منها وقد أصدر منها11عددا[4].

صدر العدد الأول في16ديسمبر1895م وآخر عدد في26نوفمبر1896م وهي دورية أسبوعية وأول جريدة تعبر عن اتجاه سياسي يناهض مباشرة الحكومة، وتوقفت عن الصدور بأمر من الاقامة العامة الفرنسية وهو ما جعل الثعالبي يغادر تونس كما سبق وذكرنا وفي مصر كتب في العديد من الصحف والمجلات" كالمؤيد" "والموسوعات "تحت اسم "السائح المغربي" حيث واصل عمله الصحفي المناهض للاستعمار وعرف بالقضية التونسية وما تعانيه تونس تحت نير الاحتلال[5] وقد جاء في الشهاب :"

[1]-يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص143.

[2]-يوسف مناصرية، **دراسات وأبحاث**...، المرجع السابق، ص98.

[3]-أحمد طويلي ، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي** ، المرجع السابق، ص63.

[4]-صالح خرفي ، المرجع السابق،ص ص57-59.

[5]-أحمد طويلي ، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي**...، المرجع السابق، ص64.

وكان في الشرق برهانا ساطعا ودليلا منتقلا على ظلم الاستعمار والاستبداد وما يلاقيه الأفارقة من كيده وبلاءه ويكذب كل ما يتظاهر به الاستعمار"[1].

-**جريدة التونسي**: مديرها "علي باش حانبة" ورئيس تحريرها "عبد العزيز الثعالبي" وهي جريدة سياسية تصدر أسبوعيا صدر أول منها في8نوفمبر1909م وآخر عدد في11مارس1912م عطلت عند أحداث مقاطعة الترامواي1912م، حيث تم ابعاد "عبد العزيز الثعالبي"وعلي باش حانبة"وغيرهما بدعوى أنهم وراء هذه الحوادث يحثون على الثورة[2].

كانت هذه الجريدة تتحدث باسم الشباب التونسيين وأصبحت مقر القيادة الوطنية في الميدان الصحفي وكانت تتوزع خارج تونس خاصة في الجزائر وكان لها تأثير كبير في الأوساط الطالبية بالزيتونة والصادقية تبث الشعور بالوطنية والحماس للثورة ضد المستعمر وكان "الثعالبي" و"علي بش حانبة" ممثلين للشعب التونسي في المنفى كان صوتهما يدوي في الأوساط العلمية والثقافية والسياسية يعرفان بقضية تونس ويدافعان عنها[3].

-**مجلة الفجر**: صدر العدد الأول في أوت1920م وآخر عدد في ديسمبر1921م كان ظاهرها مجلة علمية أدبية وفكرية أما باطنها فهي سياسية تكافح ضد الاستعمار ونهب خيرات البلاد والاستبداد ضد الشعب كانت وسيلة لجمع المال للحزب الحر الدستوري[4].

-**مجلة الرابطة العربية**: تصدر في القاهرة في أوساط الثلاثينات من وحي الثعالبي وهي مجلة رسالة قومية وداعية للوحدة العربية حيث طرحت فكرة الامبراطورية العربية، ودأبت الرابطة من السنة الأولى لصدورها على تتبع الأحداث البارزة في أقطار المغرب العربي فنشرت عن المؤتمر الاسلامي في الجزائر1936م وعن محنة حزب الشعب الجزائري والزج بزعمائه في السجن في نفس الفترة[5].

وإن لم يظهر للثعالبي في حياته غير مقالاته ودراساته وخطبه وكتبه وهي الروح التحريرية في القرآن وتونس الشهيدة ومعجزة محمد رسول الله وغير ذلك مما نشره من البحوث التاريخية في المجلات فقد طبع له بعد وفاته كتاب "الروح التحريرية في القرآن" "وخلفيات مؤتمر الاسلامي بالقدس" ومحاضرات في تاريخ

---

[1]-عبد الحميد بن باديس، المصدر السابق ص317.

[2]-أحمد توفيق المدني ،**حياة كفاح** ،ج1،المصدر السابق، ص ص80-82.

[3]-أحمد الطويلي، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي**...، المرجع السابق، ص63.

[4]- أحمد توفيق المدني ،**حياة كفاح** ،ج1،المصدر السابق، ص248.

[5]-صالح خرفي ، المرجع السابق،ص ص29-33.

المذاهب والأديان" و"مقالات في التاريخ القديم وتاريخ شمال إفريقيا" و"مسألة المنبوذين في الهند" و"الكلمة الحاسمة والرحلة اليمنية"[1].وقد ضمن الثعالبي فكرة السياسي الوطني في كتابه تونس الشهيدة.

-**تونس الشهيدة:** صدر سنة1920م باللغة الفرنسية ترجمه أحمد السقا فضح فيه الثعالبي دسائس الاحتلال واجرامه في حق الشعب التونسي[2] وانتهاكه لجميع حقوق الشعب القومية والسياسية والفردية وخاصة منها ما يتعلق باغتصاب الأراضي ومقاومة التعليم وكبت الحريات العامة والخاصة وفتح باب الهجرة للإيطاليين والفرنسيين واجراء كل الوسائل التي ترمي لفرنسة الشعب التونسي[3].

ووضع هذا الكتاب بأسلوب نقدي هاجم فيه إدارة الحماية بصراحة حتى وصفه الفرنسيون بأنه هجاء سام قد يكون خميرة ثورة عارمة على فرنسا وقال فيه بعضهم أنه نقد لاذع شديد التطرف والعنف تضمن إلى جانب المعطيات الحقيقية كثيرا من تظلمات والتهم المهينة لفرنسا ودور حكومتها بتونس[4].

خاطب الثعالبي فرنسا باسم الحرية والعدالة التي طالما تغنت بها وعملت على تجسيدها على أرض الواقع وطالب بالحصول على ضمانات دستورية يعترف بها الحق الدولي لشعب له حضارته وتاريخه وأرضه وشخصيته هذا الشعب الذي حكم عليه الاستعماريون بالموت الاقتصادي والاجتماعي والفكري وحطموا طاقاته الاجتماعية كلها وحولوها إلى قبضتهم.

وقدم مقارنة للنظام التونسي قبل الحماية الفرنسية وكيف نظمت السلطات الثلاثة التشريعية والتنفيذية والقضائية. كما ذكر بأن تونس كانت تسير ضمن قوانين دستورية التي ضمنت الحريات العامة وحقوق التونسيين وواجباتهم[5].

كما بين ما يعانيه الشعب التونسي صاحب الأرض والمال والحق والوطن المحروم من جميع الحقوق وبين ما يتمتع به الأوربيين الأجانب المستعمرين المستغل للخيرات والمستبد بالأرض الخصبة والمتمتع بكل الحريات والحقوق لأن الادارة كانت بعيدة عن خدمة الشعب التونسي لأن المسؤولين عنها من أعوان الاستعمار لهذا فهم حرصين على خدمة مصالحهم فقط[6].

---

[1]-توفيق جابر، المرجع السابق، ص07.

[2]-الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 53.

[3]-علال الفاسي، المصدر السابق، ص58.

[4]-يوسف مناصرية، **دور النخبة**...،ص150.

[5]-عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق ،ص ص25-26.

[6]- نفسه ،ص ص40-43.

كما تضمن الكتاب دراسة وافية عن الوضعية الثقافية والاجتماعية في تونس في عهد الحماية وما يعانيه الشعب من محاولات المسح الثقافي والتمييز العنصري والآفات الاجتماعية الفتاكة التي كانت تنخر المجتمع التونسي[1]. وكذا قدم دراسة شاملة للاقتصاد التونسي قبل الحماية وبعدها من استغلال واستنزاف للثروات والقضاء على الصناعات المحلية وفتح تونس للمنتوجات الأوربية والسيطرة على أراضي السكان وما نتج عن ذلك من فقر وبؤس وبطالة.

ثم ذكر بتضحيات الشعب التونسي في الحرب العالمية الأولى وبالتالي فهو يستحق معاملة أفضل من التي تمارسها سلطات الحماية ضده" خلال الح عI التي أرهقت العالم المتمدن ضحى شعبنا وهو الذي لا يكاد يعد مليوني نسمة تضحية تفوق طاقته وكانت لنا ثقة لا تتزعزع بأن مصيرا جميلا سوف يفتح بابه ...وذلك بتحقيق مبدأ تقرير المصير الشعوب..." ثم قدم مطالب التونسيين في آخر كتابه[2].

-**خلفيات المؤتمر الاسلامي بالقدس**: انعقد المؤتمر الاسلامي بالقدس أيام7-17ديسمبر1931م وغاية الأساسية البحث في وسائل المحافظة على البقاع المقدسة الاسلامية ضد الحركة الصهيونية العالمية وتأسيس جامعة اسلامية ترأس المؤتمر وكان صاحب الدعوة "محمد أمين الحسيني" مفتي فلسطين، وكان الثعالبي هو المحرك والمنظم لأعمال هذا المؤتمر[3] ولتوثيق هذا أعد الثعالبي كتابا عنوانه" خلفيات المؤتمر الاسلامي" وتضمن ما يلي:

- تقرير الثعالبي بعنوان" الغاية الباعثة على عقد المؤتمر الاسلامي والمحاولات الفاشلة لإحباطه.
- مجموعة الرسائل المتبادلة بين الثعالبي وشخصيات اسلامية أخرى.

-مجموعة من الوثائق المتعلقة بنشاط اللجنة التحضيرية للمؤتمر والتي كان الثعالبي عضوا رئيسا فيها[4].

- **الكلمة الحاسمة** : ألفه بعد رجوعه إلى تونس وهو في الأصل بيان سياسي وجهه للشعب التونسي في صيف1937م وضح فيه موقفه من الحزب الدستوري الجديد[5] وبين الصراع بين اللجنة التنفيذية

---

[1]- عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق ، ص69-111.

[2]-نفسه ،ص 199.

[3]-نفسه، ص207.

[4]-أحمد طرفاوي ، المرجع السابق، ص121.

[5]-إن الخلافات داخل الحزب جعل الثعالبي يعمد إلى دراسة مواقف كل طرف حتى يأخذ فكرة صحيحة بعيدة عن زيف الدعايات لإنصاف الجميع وجمع الكلمة للسير في خطة واحدة ومنهج واحد على اختلاف الايديولوجيات لخدمة القضية التونسية. للمزيد أنظر صالح خرفي، المرجع السابق، ص ص273،294.

والديوان السياسي ودور الثعالبي ومحاولته للتوفيق وتوحيد شقي الحزب الدستوري[1] وما تعرض له من مؤامرة من قبل جماعة الديوان السياسي في الحزب الدستوري الجديد وقد لحقه الاضطهاد وأشار إلى ما كان يتردد عنه من اشاعات مغرضة وعانى من الحملات الصحفية الجارحة[2] وأحس بالخطر يهدد حياته من ذلك محاولة اغتياله يوم25سبتمبر1937م في ماطر[3].

وكتب قائلا:" كنت أولا أهزأ من هذه المهازل ولا أعيرها أقل التفاتة لوثوقي بالشعب التونسي ويقينه بما لي من الايادي البيضاء على قضيته وما أسلفت في جانبه من التضحيات المتكررة الكثيرة بذاتي ومالي وولدي وكنت أعتقد أن حياتي اللامعة في المشرق مدة بعدي عن تونس التي كانت دفاعا متواصلا عن حقوق الشعب التونسي في مصر وفلسطين والعراق والهند وغيرها يكذبها وأني أقول أني ما جئت لهذه البلاد إلا لكي أدافع عن استقلالها وهو عهد صريح مني للشعب كما عاهدته أيضا على أن أمد يدي لكل عامل مخلص لبلاده بلا استثناء ويقتضي هذا العهد ألا أكون لأحد دون آخر بل أكون لكل تونسي يحب بلاده"[4].

وقال في نفس السياق:" أظنكم تعلمون أني كنت صادقا مخلصا ما تطرق الهوى قط لفكري أو عملي فأنا أنا منذ نشأت إلى اليوم ما وضعت يدي أبدا في يد الحكومة ولا وليت ظالما ولا أيدت حاكما مستبدا بل نشأت وعشت شابا وكهلا وها أنا على أبواب الشيخوخة قريح الاستعمار وعدوه المبين"[5].

نتيجة لآرائه وأفكاره ومواقفه التي عبر عنها من خلال كتاباته وخطبه ورسائله فإنه عرف السجون والمعتقلات والتشريد والمنافي، وكان يرى أن الكوارث التي تصيب الرجال في طريقهم نحو غايتهم إنما هي عوارض طبيعية وحواجز يجب قطعها للوصول نحو الغاية فلم يبالي بسجنه ومنفاه، خرج منها موطد العزيمة على مواصلة الكفاح فكان رمز للتضحية والوطنية، دافع عن عروبة تونس منذ فجر القرن 20م وناضل ضد الفساد والطغيان بروح ثورية عجيبة وعرفه أبناء الأمة العربية يخطب ويحاضر ويوقظ الهمم وسياسي ذا ضمير نابض وحنكة بارعة مكنه من كل ذلك شخصيته الجذابة والمؤثرة فضلا عن ثقافته

[1]- صالح خرفي ، المرجع السابق، ص ص320-340.

[2]- يحي أبو زكرياء، المرجع السابق ،ص ص284-285.

[3]- خير الدين شترة، **اسهامات النخبة** ...،المرجع السابق، ص304.

[4]- نقلا عن أحمد الطويلي ، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي**...، المرجع السابق، ص95-96.

[5]-نقلا عن صالح خرفي ، المرجع السابق، ص20.

العالية وعقله المتفتح الواسع الأفق وفصاحته التي تكاد لا تترك زيادة لمستزيد هذا وكان يعتبر نفسه أبا لجميع التونسيين[1].

2.الآثار الفكرية والسياسية لمصالي الحاج

لم يكن انتاج "مصالي الحاج" الفكري غزيرا كما الثعالبي إذ لم يترك كتب أو مؤلفات ولكن اعتمد في توضيح أفكاره وموافقه من الأحداث على المقالات الصحفية والمنشورات وكذا الرسائل والخطب التي كان يلقيها في مختلف المناسبات وسبق وإن ذكرنا أنه عصامي الثقافة.

- **الصحافة**

تعتبر الصحافة وسيلة للدعاية والتعريف والتوجيه والتنوير كما أنها أداة لتوصيل الأفكار والتصورات لعامة الشعب[2]ومن الجرائد التي اعتمد عليها مصالي الحاج في نشر أفكاره ومواقفه نذكر:

–الاقدام الباريسي: وهي أول جريدة أصدرها نجم شمال إفريقيا شهرية باللغتين الفرنسية والعربية وحملت اسم جريدة الاقدام التي كان "الأمير خالد" قد أصدرها بالجزائر وصدرت منها ثلاثة أعداد فيما بين أكتوبر1926م وفيفري1927م وكانت عبارة عن دعوة للثورة ضد فرنسا إذ عنونت أحد أعمدة عددها الثاني المؤرخ في ديسمبر1926م– جانفي1927م :" ضد الامبريالية الفرنسية ومن أجل استقلال شمال إفريقيا" وكانت تدعوا إلى استقلال منطقة شمال إفريقيا وازالة الجيوش الفرنسية منها وتكوين حكومة ثورية كما أنها أصدرت نداءات تدعو إلى التمرد[3]. وقد منعت الجريدة على الفور بسبب لهجتها الشديدة بتاريخ أول فيفري1927م وتم تعويضها بجريدة جديدة.

الاقدام الشمال الافريقي: ظهرت في الأشهر الأولى من سنة1927م أشد وأعنف من سابقتها حيث خصص عددها الصادر في شهر ماي1927م لفضح مساوئ الاستعمار الفرنسي كما نشرت بنفس العدد المطالب التي تقدم بها "الشاذلي خير الله"[4] إلى مؤتمر بروكسل باسم تونس.

---

[1]– توفيق جابر، المرجع السابق، ص7.

[2]–بكار العايش،**حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1937–1939**، دار شطابي، الجزائري،2013، ص481.

[3]–محمد بلقاسم ، المرجع السابق،ص ص 340–341.

[4]–ولد بتونس مارس1898م تعلم بالصادقية وبثانوية كرنو استهوته السياسة مبكرا اشتغل بالصحافة، شارك في جريدة الدستور والمحرر، شارك في نجم شمال إفريقيا حضر مؤتمر بروكسل ،شارك في جريدة الاقدام نفي في27ديسمبر1927م من فرنسا، وفي سنة1929م أسس جريدة أسبوعية وهي العلم التونسي، توفي عام 1972م. للمزيد أنظر محمد قنانش ومحفوظ قداش، **نجم الشمال الافريقي**، المرجع السابق،ص71.

أما عدد جوان–جويلية1927م فقد تضمن بيانا باسم النجم إلى الأفارقة الشماليين وإلى المجندين منهم خاصة يدعوهم إلى الوقوف ضد الحرب الدائرة في المغرب آنذاك[1] وكانت تصرح دون مواربة برفضها للإمبريالية الفرنسية وفي عدد جوان1928م طالبت بالانسحاب الكامل لقوات الاحتلال وتأسيس جيش وطني، وكانت تحمل شعار مقتضب "**يحيا استقلال الجزائر**"[2].

كانت توزع على المغاربة في فرنسا وبلدان المغرب العربي وتوقف نجاح توزيعها على لجان أحباب الاقدام التي تكونت في المناطق المذكورة سابقا إضافة إلى القاهرة. جاء في منشور دعائي للجريدة وزعه تونسيون من أنصارها أن جميع المغاربة يمكنهم من غير تحفظ الدفاع عن مصالح بلادهم المبنية على الوطنية الصادقة من خلال جريدة الاقدام ويبدو أن انتشار الأفكار الاستقلالية عن طريق الاقدام في تونس هو الذي دفع الاقامة العامة بتونس إلى منعها من دخول تونس بقرار صدر بتاريخ28ماي 1927م[3].وقد تبنت الاقدام مبادئ"الأمير خالد"في التحرر الوطني واسترجاع الهوية والمساواة مع الفرنسيين[4].

–الأمة:1930–1939: وهي جريدة وطنية وسياسية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقيا الشمالية وكانت تصدر بباريس باللغتين العربية والفرنسية وكان مديرها السياسي "الحاج أحمد مصالي" وكانت تحمل الآية الكريمة[5]:﴿واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[6].

بدأت بالصدور سنة1930م واستمرت بأشكال مختلفة حتى سنة1939م وكانت ضحية الاجراءات القمعية في الكثير من الأحيان إذ كثيرا ما صُودرت منها أعداد ويفتش مقرها فتتعطل أحيانا عن الصدور إضافة إلى المشاكل المالية[7].

امتازت بأسلوبها الحماسي ولهجتها العنيفة في تناولها للحوادث وكانت تهدف من وراء ذلك إلى الهاب الحماس الوطني لدى الجزائريين واعدادهم للتضحية وتبني فكرة الاستقلال وكانت تهدف إلى

---

[1]–عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي**..، المرجع السابق، ص103.

[2]–شارل روبير آجرون، إفريقيا الشمالية تسير ، المصدر السابق، ص 568–569.

[3]–محمد بالقاسم ،مرجع السابق، ص 349.

[4]–أبو قاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج5، المرجع السابق، ص267.

[5]–عبد المالك مرتاض، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر1830–1902**،ج2،دار هومة ، الجزائر ،2009، ص145.

[6]–سورة آل عمران، الآية103، رواية ورش عن نافع

[7]–بكار العايش ،المرجع السابق ،ص 482.

اطلاع الرأي العام الفرنسي على ما يتعرض له الجزائريون من سوء المعاملة ومن عنصرية وقمع وكسب عطف الفرنسيين وتأييدهم[1].

وقد عمل مصالي نتيجة للنجاح الذي لقيته الأمة أن يوصلها إلى الجزائر لنشر فكرة الاستقلال فيها إذ أن نشاطه في هذه الفترة كان في فرنسا وأصبحت توزع في الجزائر وكان لها دور في الحفاظ على شعلة الوطنية ملتهبة[2].

كانت الأمة تؤكد رغبة الجزائريين في استرجاع سيادة بلدهم، وكانت شديدة الانتباه إلى التحاليل المناهضة للإمبريالية من قبل الأحزاب العمالية فكانت الجريدة تندد رفقة هذه الأحزاب بالعالم الامبريالي[3].

- **الرسائل والمذكرات:**

عمل مصالي الحاج على نقل أفكاره الاستقلالية إلى كل المغاربة حيث أرسل رسالة في ديسمبر1927م إلى "السعيد عبدالله كنون" بطنجة ومما جاء في هذه الرسالة:" أنه من الواجب اظهار جهاد في سبيل الحرية وأن كل وطني مغربي مراكشي كان أو تونسيا أو جزائريا يشعر بميل إلى من يشاركه الألم وهو في حاجة إلى انضمام أخيه في الدين والوطن والجنس واللغة والقيم الذي يؤثر في النفوس والنجم أسس لهذه الغاية أي تمتين الروابط بين المغاربة في سبيل الاستقلال سياسيا واقتصاديا...واختتمت الرسالة بدعوة كل الوطنين في المغرب العربي إلى التعاضد لتأسيس حزب وطني قوي يعزز قوة اخوانهم في النجم وحثت الرسالة "عبد الله كنون"على تأسيس حزب مع الوطنين في المغرب الأقصى وربط العلائق والتنسيق مع النجم"[4].

وتدل هذه الرسالة على أن مصالي الحاج كان يعمل على نشر فكرة الاستقلال في شمال إفريقيا كلها دون استثناء كما أنه كان يهدف إلى تحقيق وحدة النضال ضد الاحتلال في الأقطار المغاربية.

- **مذكرة 1930م إلى عصبة الأمم المتحدة:**

سنة1930م أرسل مصالي مذكرة إلى عصبة الأمم ليوضح وضعية الشعب الجزائري المزرية ويندد

---

[1]-عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي**، المرجع السابق ،ص ص 108-109.

[2]-بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص79.

[3]-محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص368.

[4]-نقلا عن محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص353-354.

بالاضطهاد والاستغلال وطرح فيها فكرة الاستقلال[1]. وكان ذلك بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر ولتأديته على أحسن وجه شرع في قراءة مؤلفات ذلك العصر التي تمجد فضائل الاستعمار وسجل بعناية الأرقام والاحصائيات للوصول إلى نتيجة مخالفة لتلك التي قدمتها المؤلفات. هذه المذكرة التي شجبت الوضعية التي كانت تعيشها الجزائر سنة1830م والمعرفة لمطالب النجم أرادها مصالي أن تكون حقيقة تحدث الاضطراب في احتفالات المئوية وأثناء هذه الاحتفالات اعتبر مصالي أن الحرية لا تعطى بل تؤخذ بالقوة لذا عمل على ايقاظ شعور الشعب وخلق الحماس الجماهيري لدى الجزائريين[2].

- **الخطب:**

كان مصالي الحاج عندما يقف على منصة الخطابة لا يتزعزع عن مكانه وكان يتمتع بالفصاحة والوضوح وقوة الذاكرة ولم يكن مكبر الصوت معروفا ولكن صوته يسمع من بعيد[3] وفي مؤتمر بروكسل ألقى أول خطاب مدوي وكان خطيبا مفوها ومجادلا حادا ومن هنا بدأ علاقته تتوتر بالحزب الشيوعي الفرنسي لأنه كان يعمل بمفرده فقد كان يبدو وكرجل في حالة تمرد دائم ضد العبودية ووضع النجم على أرضيته الوطنية الثورية على نحو مستقل عن الحزب الشيوعي وتحت تأثير لقاءات بروكسل وتجاربه بدأ يفرض نفسه كقائد سياسي يبرهن على الجرأة واتخاذ المبادرات[4].

ومما جاء في هذا الخطاب ما يلي:" تمركز الامبريالية الفرنسية على أرض الجزائر بقوة السلاح والتهديد والوعود الخلابة واستولت على الثورات الطبيعية وعلى الأرض وذلك بواسطة اغتصاب عشرات الآلاف من العائلات الذين كانوا يعيشون من انتاج أعمالهم وأراضيهم المغتصبة قد سلمت إلى المعمرين الأوربيين وعوض أن تقدم العون لهذا البلد ليتمكن من التطور فالإمبريالية الفرنسية زادت على اغتصاب وعلى استغلال التسلط السياسي الأكثر رجعية وذلك بحرمان الأهالي من كل حرية... فالجماهير الجزائرية المستغلة والمضغوط عليها هي في كفاح مستمر ضد الامبريالية الفرنسية لتحريرها من ربقته وللتوصل إلى الاستقلال"[5].

---

[1]-مصالي الحاج ، المصدر السابق، ص149.

[2]-بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص77.

[3]-قنانش محمد، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبة،الجزائر،2004، ص21-25.

[4]-بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص60-68.

[5]-نقلا عن محمد قنانش، **نجم الشمال الافريقي**...، المرجع السابق، ص47-48.

-نداء مصالي الحاج إلى الأمة الجزائرية: صدر في الجزائر في نوفمبر1936م بعد رجوع مصالي إلى فرنسا في صفحة كبيرة ووزع بالجزائر كلها ومما جاء فيه:

أيّها الشعب الجزائري:

سلام عليك من ابن أقسم بالله أن يضحي في سبيل حريتك وسعادتك حتى آخر قطرة من دمه...سلام عليك يا شعب يوم ولدت حرا عزيزا، ويوم نشأت حرا شريفا، ويوم تصبح بإذن الله حرا طليقا، ترفرف على هضاب المجد أعلامك...وينتصر لك في العالمين ايمانك واسلامك"[1].

لقد كان هدف مصالي هو جعل فكرة الاستقلال هي أساس نضاله خاصة وأنه ربط الحرية بالعقيدة الاسلامية التي جعلت الانسان حرا وكرامته وقد تجسدت وطنيته في العمل على تحقيق سيادة الشعب الجزائري على نفسه. لقد كرس نضاله في المطالبة بالاستقلال الجزائر وفي سبيل بعث ونشر الروح الوطنية في نفوس السكان الجزائريين ودفعهم لنيل الحرية والتمسك بها بعيدا عن الاستغلال والاضطهاد والاستبداد فاتخذ مواقف جريئة ومعارضة لفرنسا[2]..

ومن خلال خطاباته يظهر أنه عاد إلى منابع الاسلام ومبادئه لكي يوظفها كأفكار حية في طلب الحرية ليؤثر في نفوس الأفراد ويوقظ شعورهم وإحساسهم السياسي والوطني لذا فقد أعطى الحرية كحق مقدس لدى الانسان وأنه يولد بالفطرة حرا. وبالتالي فهو خطاب ديني استنجد فيه بالماضي وبالإرث الحضاري[3].

- مذكرات مصالي 1898-1938م: اعتمنا على طبعة 2007 التي تحتوي هذه المذكرة على تصدير لعبد العزيز بوتفليقة وأربعة فصول تناولت حياة مصالي من المولد سنة1898م وحتى سنة1938م.في التصدير أشاد صاحبه بدور مصالي الحاج النضالي حيث ارتفع صوته الجريء والراديكالي في وسط الخوف الذي كان يشوب حركة الجزائر. وكان ذلك بداية لظهور فكرة الاستقلال حيث أصبح هدفا لكل الجزائريين وهذا بفضل عناد مصالي الحاج ومساعدة رفاقه له[4].

---

[1]-محمد قنانش، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**...، المصدر السابق، ص37.

[2]-يوسف حميطوش، المرجع السابق ، ص335-337.

[3]-نفسه، ص339. للمزيد أنظر أيضا محمد قنانش، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، المصدر السابق، ص18.

[4]- مصالي الحاج، المصدر السابق ،ص ص 9-13.

أبرزت المذكرات مرحلة طفولة مصالي الحاج والوسط الذي نشأ فيه ودور والديه والمحيطين به في نشأته والوسط الفلاحي الذي تميزت بالسيطرة الفرنسية على أراضي الجزائريين والفقر الذي كانت تعيش فيه عائلته مما جعله يباشر العمل في مرحلة متقدمة من سنه وكذا نشأته الدينية المتأثرة بالطريقة الدرقاوية وما لها تأثير على فكره وسلوكياته، وقد احتك مصالي ببعض العائلات الفرنسية المقيمة بالقرب من منزل جدته الذي كان يعيش فيه حيث تعلم شيئا من اللغة الفرنسية ثم انتقل إلى فرنسا لأداء الخدمة العسكرية وبعد عودته مارس بعض الأعمال إلا أنه عاد ثانية إلى باريس[1].

كما جاء فصله الثاني ليبين المرحلة التي هاجر فيها مصالي إلى فرنسا بحثا عن ظروف عمل أفضل وكذا سعيا للحصول على جو من الحرية يمكنه من التعبير عن أفكاره وهنا حصل على عمل واحتك بالفرنسيين والمنظمات العمالية والنقابية والشيوعية كما التقى "بالحاج علي عبد القادر" الذي لازمه فترة من الزمن[2].

أما الفصل الآخر فقد تناول مرحلة تكوين نجم شمال إفريقيا ودور مصالي في الدعاية لهذه الجمعية والعمل على تنظيمها تحديد هدفها المتمثل في الاستقلال انطلاقا من خطابه في مؤتمر بروكسل1927م كما وضع فيها علاقته بالحزب الشيوعي ومبين أهم المراحل التي مر بها النجم وأهم الأحداث التي شهدها[3].

أما الفصل الأخير فقد بين فيه الموقف من انعقاد المؤتمر الاسلامي ومطالبه وكذا لجوءه إلى جنيف ولقاءه بالأمير "شكيب أرسلان" وبين انتشار نشاطه في الجزائر بعد1936م وكذا موقفه من مشروع بلوم فيوليت وعدد أهم الأحداث التي عرفها النجم في هذه الفترة حتى سجنه مع بقية المناضلين سنة 1938م[4].

لقد كان مصالي الحاج ورفاقه كثيري الايمان والحماس وقد تحملوا في سبيل مبدئهم الوطني السجن والتغريم والمضايقات والابعاد والايقاف عن العمل وتزعم مصالي الحركة بلا منازع وأثبت أنه كان مؤمنا بهدف واضح وهو الاستقلال الكامل للجزائر لم يخضع لقسوة الظروف أحيانا ولا للضغوط الشديدة

[1]-مصالي الحاج، المصدر السابق ،ص 74.

[2]-نفسه، ص ص102-121.

[3]-نفسه، ص ص127-135.

[4]-نفسه، ص ص178-218.

التي كانت عليه سواء على المستوى الاداري أو الايديولوجي وكان بذكائه ودهائه وشخصيته القوية قد استطاع أن يسيطر على زمام الحركة حتى أصبح هو في حد ذاته معلم مدرسة في الوطنية والتضحية والمناورات السياسية والصبر على المكاره والثبات على المبدأ ولعل ثقافة البسيطة هي ما جعلته مباشر في أحكامه يسلك سلوك الأبوة مع رفاقه لا سلوك الأخوة[1]. فكان بذلك أحد عمالقة رجال السياسة العالمين الذين عرفهم ق20م وسجل أسمائهم في سجله[2].

خلال نضالهما ضد الاحتلال اعتمدا عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج على الكتابة من خلال الصحف والرسائل والمذكرات الموجهة إلى المنظمات أو الشخصيات كما اعتمدا على الخطب خاصة وأنهما عرفا بخاطبهما المؤثرة على الجماهير التي كان الهدف منها هو بث الروح الوطنية.

وإذا كان الثعالبي عرف بإنتاجه الفكري الغزير فإن مصالي الحاج لم يترك مؤلفات باستثناء مذكراته أو ما كتبه من مقالات أو في الخطب والرسائل وهذا يرجع إلى طبيعة تكوينه الثقافي حيث كان يميل إلى الخطابات المباشرة.

[1]- أبو قاسم سعدالله ، **الحركة الوطنية**...،ج3،المرجع السابق، ص120.

[2]- محمد العربي حرز الله ، المرجع السابق، ص318.

من خلال ما سبق يمكننا استنتاج ما يلي:

-لقد كان الوسط العائلي الذي نشأ في الزعيمين له تأثير واضح في تكوينهما الثقافي حيث درس الثعالبي في الزيتونة والمدرسة الصادقية وكذا الخلدونية إضافة إلى الأزهر وهذا يرجع إلى وضعية أسرته الاجتماعية بينما تلقى مصالي الحاج تعليمه الأول في المدرسة الفرنسية والزاوية الدرقاوية ثم اكتسب ثقافة من خلال قراءة الصحف والكتب، وبالتالي كان تكوينه عصاميا ولعل الشيء الذي يشتركان فيه هو حبهما لطلب العلم حتى في الأوقات الصعبة من حياتهما.

-كلاهما عانى من السياسة الاستعمارية فكان الثعالبي ضحية التهجير من الجزائر ثم ضحية النفي والتشريد من تونس ثانية وعانى من الغربة والبعد عن أهله ووطنه كما عانى مصالي الحاج من السياسة الكولونيالية ومن فقر والحرمان والظلم وهذا كان سببا في هجرته إلى فرنسا بحثا عن العمل والحرية فعانى من الغربة الاجتماعية والثقافية والدينية.

-تميز الرجلان بشخصيتهما الكارزمية التي جعلت الناس يلتفون حولهما وهذا يرجع إلى ما يتميزان به من قوة وشجاعة وجرأة في خطاباتهما البليغة المؤثرة على من يسمعها.

-كانت الصحف والرسائل والمناشير وسيلة أساسية لتوصيل الأفكار ونشرها بين الجماهير الشعبية لهذا فقد اعتمد كل منهما على الكتابة في الصحف وتحرير الرسائل إلى الشخصيات والهيئات الدولية لنقل حقيقة الاستعمار ومعاناة الشعب من جهة وتوعية وتعبئة الجماهير الشعبية من جهة أخرى وقد تميز الثعالبي بكثرة انتاجه الفكري بينما اعتمد مصالي الحاج على الخطابات المباشرة ولم يترك انتاج فكري سوى ما كتبه من مقالات أو رسائل أو مذكراته الشخصية.

-ساهمت الأوضاع التي نشأ فيها الزعيمين في صياغة فكرهما التي عرفت تطورا مستمرا حسب الظروف الداخلية والخارجية وقد مر فكر الثعالبي بالمراحل التالية: كان يتبنى التوجه الاصلاحي ويدعوا إلى الاصلاح الاجتماعي والديني ،تأثرا بفكرة الجامعة الاسلامية لكن وجوده في السجن أثر على فكره ووجه نحو الاصلاح السياسي،وبالتالي بدأ بشن حملة ضد سياسة سلطة الحماية بتونس وهو ما سبب نفيه ونتيجة لتأثره بالأوضاع العالمية ما بعد الح ع I فإنه طالب بالاستقلال تونس لكن اخفاق مبادئ ولسن وهزيمة الحزب الاشتراكي في انتخابات1919م جعلت النخبة التونسية تنقسم إلى اتجاهات مختلفة وهو ما جعل الثعالبي يغير فكره حفاظا على وحدة النخبة من المطالبة بالاستقلال إلى الواقعية.

وقد مر فكر مصالي الحاج بالمراحل التالية:

-كان توجهه اشتراكيا في بداية نضاله نتيجة لتأثره بالأوساط العمالية والنقابية وكذا احتكاكه بالحزب الشيوعي الفرنسي ولأنه محاط بزملائه كلهم شيوعيون في البداية كالحاج علي عبد القادر ثم أصبح توجهه ثوري وطني، وهذا يرجع إلى أن الحزب الشيوعي خيب ظنه حيث كان ينظر إلى المشكلة الجزائرية بناءا على مبادئه وطالب مصالي الحاج باستقلال الجزائر ثم تبنى التوجه العربي الاسلامي، وهذا يرجع إلى مرجعيته الدينية وتأثره بالزاوية الدرقاوية إضافة إلى احتكاكه بشخصيات ذات توجه عربي اسلامي كشكيب أرسلان ،وعموما استطاع مصالي الحاج استيعاب مجموعة من مرجعيات المختلفة التي مكنته من توحيد أفكار زملائه في النضال ثم حاول اخفاء فكره عندما انتشرت أفكاره في الجزائر وهذا يرجع إلى الجو السياسي في الجزائر المغاير لجو فرنسا ونشاط التشكيلات الوطنية الأخرى وتحولت الراديكالية الوطنية نحو الاصلاح الديني وعموما تميز فكرهما كل منهما بالتمسك بالإسلام وبالتاريخ العربي الاسلامي.

الفصل الثالث

تجسيد فكرة الاستقلال في البلدين

1. بروز فكرة الاستقلال
2. تبلور فكرة الاستقلال
3. تجذر فكرة الاستقلال
4. الموقف من فكرة الاستقلال

في حقيقة الأمر أن فكرة الاستقلال لم تكن جديدة عند الجزائريين وإخوانهم التونسيين وذلك يمتد إلى حقب موغلة في القدم فطالما رفض الشعبان الخضوع للأجنبي وعملا على استعادة استقلالهما، وهذا ما حدث عندما حاول الأمازيغ التخلص من الاحتلال الروماني لبلاد المغرب معتمدين في ذلك على الثورات والانتفاضات مبررين ذلك بانتمائهم العرقي والقبلي، وبعد الفتح الاسلامي فانهم ثاروا على الولاة معتمدين على الاختلاف المذهبي، كما رفضوا الخضوع للدولة الفاطمية الشيعية وهكذا كان هو الهدف دوما الاستقلال عن الأجنبي أما الوسيلة فتتغير حسب الظروف والمعطيات وبسبب غزوات الاسبان لبلاد المغرب فقد وجدوا في الخلافة العثمانية السبيل الوحيد في تخليصهم من الهجمات الاسبانية وانظموا إليها وذلك بحكم الانتساب إلى الأمة الاسلامية، وبعد ذلك استقلت الجزائر وتونس عنها ولم يعد لهما سوى ارتباط روحي بها.

وهكذا فإن فكرة الاستقلال كانت راسخة لدى الشعبين إذ بعد أن تعرضا للسيطرة الفرنسية قامت مقاومة شعبية مسلحة تعمل على التخلص من الأجنبي وطرده، ولكنها لم تنجح في ذلك؛ لهذا ظهرت وسائل أخرى لنيل الاستقلال في البلدين بحيث تبنت بعض الشخصيات فكرة الاستقلال وعملت على تحقيقها من خلال النضال السياسي.

المبحث الأول: بروز فكرة الاستقلال في البلدين

حاول رواد الحركة الوطنية في البلدين من الاستفادة من نتائج الحرب الح عI عندما ظهرت مبادئ الرئيس الأمريكي"ويلسن"التي تمنح حق الشعوب في تقرير مصيرها؛ وكذا ظهور مؤتمر الصلح سنة1919م، حيث اعتبر الزعماء السياسيون في البلدين أن الفرصة مواتية للمطالبة باستقلالهم وهذا ما فعله "الأمير خالد" الجزائري وكذا "عبد العزيز الثعالبي".

1. في الجزائر

برزت فكرة الاستقلال بقوة لدى مجتمعات العالم الثالث خلال القرن20م في كل من آسيا وإفريقيا بفضل عدة عوامل داخلية وخارجية اختلفت تأثيراتها وتفاوتت من دولة إلى أخرى حسب موقعها الجغرافي ووضعها الاجتماعي والاقتصادي ورصيدها التاريخي[1]، وقد ساهمت الح ع I في أوساط المشاركين فيها وفتحت أعينهم على مختلف التطورات والآفاق العالمية وعلى حقيقة الحرب التي خاضها بدون هوادة من يدعون حمايتهم للمبادئ الانسانية، ومنحهم الفرصة للمناداة بالمساواة والديمقراطية وحرية الشعوب

[1]–عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار والتحرر**..، المرجع السابق، ص11.

في تقرير مصيرها، ومن العوامل الهامة الأخرى ظهور مبادئ "ويلسن" سنة1918م ومنها حق الشعوب في تقرير مصيرها وكذلك موافقة المعارضة للاستعمار والمناهضة لحب التسلط[1]وقد تسلم عرائض ومذكرات عديدة جاءته من قبل الأحزاب العاملة في سبيل تحرير الشعوب كحزب تونس فتاة وحزب "الأمير خالد"[2] وكذلك تعتبر ثورة البلشفية في أكتوبر سنة1917م عاملا من العوامل المشجعة للحركات الاستقلالية والمناهضة للاستعمار إضافة إلى نشاط الحركة العمالية العالمية في العالم قد جعل الشعب الجزائري والتونسي يطمح إلى تغيير الواقع المرْ وهذا من خلال المطالبة في حقهما في تقرير مصيرهما سنة1919م[3].

وفي هذه الظروف كان "الأمير خالد"[4] يتزعم الحياة السياسية في الجزائر ويعتبر نشاطه كبداية التعبير عن مطلب السياسي للقومية الجزائرية، والتف حوله الجماهير ورأت فيه خير خلف لخير سلف[5]؛ وكان نشاط"الأمير خالد"يتركز على مبدأ مستقر وهو الاعتصام بالإسلام، وكان لهذا المبدأ أثر عميق في السياسية الجزائرية غير أن الدين وقضية الدفاع عن الشخصية الاسلامية كانا يفتحان مجالا رحبا لإفراغ ما في جعبته وكان أحد رواد النهضة الاسلامية ركز في مقالاته عن الحضارة العربية الاسلامية فكانت وثبة وطنية ورغبة شديدة في ثورة كبرى وأخذ الزعماء يحلمون وقتئذ بإنشاء دولة اسلامية عظمى وأحياء مجد الأجداد وحضارتهم الزاهرة؛ وقد أجاب "الأمير خالد" الجريدة الايطالية "لانازيون"10جوان1922م بأنه لم يكن زعيما دينيا حيث قال:" إن حركتنا ليست دينية ولكنها بالقوة حركة سياسية لأن القضية هي قضية استقلال جميع الأقطار الاسلامية"[6]؛ وكان "الأمير خالد" بنشاطه الشجاع والعنيد ضد القمع الاستعماري يكتسي مغزى وطنيا حقيقيا حيث ندد باللامساواة في مختلف مظاهرها وحث الجزائريين على التمسك بالإسلام وكان شديد الانتقاد للمتجنسين الفرنسيين[7].

---

[1]-يسلي مقران، **الحركة الدينية و الاصلاحية في منطقة القبائل:1920-1954**، دار الأمل، الجزائر،2005،ص18،17.

[2]-عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار والتحرر**، المرجع السابق ، ص14،13.

[3]-محمد قنانش، **المواقف السياسية بين الاصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (دت)، ص103.

[4]- ولد في دمشق20فيفري1875م وكان أبوه الهاشمي بن الأمير عبد القادر نشأ في بيت تقوى وتردد على معاهد دمشق الدينية، أرسله أبوه إلى باريس للدراسة ثم التحق بالكلية العسكرية الفرنسية سنة1893م، تخرج منها برتبة ملازم. للمزيد أنظر بسام العسلي، **الأمير خالد الهاشمي الجزائري والدفاع عن الجزائر الاسلام**، دار النفائس، لبنان،1984،ص97.

[5]-أنيسة بركات، **محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر،1995،ص172.

[6]-محفوظ قداش،**الأمير خالد:وثائق وشاهدات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2007، ص34.

[7]-أحمد مهساس ، المصدر السابق، ص50.

أثناء انعقاد مؤتمر فارساي سنة1919م قدم عريضة مطالب "ويلسن" طالب من خلالها بحق الجزائر في تقرير مصيرها ،وقد كانت عبارة حق تقرير المصير منذ نهاية الحI عخاصة بعد ظهور مبادئ ويلسن مرادفة لعبارة نيل الاستقلال[1]وقد بين في هذه العريضة حالة الجزائر في ذلك الوقت كما ذكرت من إخلال الفرنسيين بوعودهم. ورغم المعاهدات والاتفاقيات وفي مقدمتها معاهدة5جويلية1830م،وغيرها من القوانين التي تعهدت فيها فرنسا باحترام حريات وممتلكات وعقيدة الجزائريين[2]واعتبرت العريضة إن كل هذا كان حبرا على ورق، حيث أن الضرائب أرهقت الأهالي وارهاقه في العمل وفي المزارع والسكك الحديدية مقابل أجر ضئيل وتعرضت العريضة إلى شدة القوانين التعسفية[3].

اعتمدت العريضة على قول ويلسن حيث ذكر بأنه لا يجبر شعب من الشعوب على العيش تحت سيادة لا يرضى بها[4]وبالتالي كان الوفد الجزائري يأمل في أن تنال الجزائر حريتها إذا ما نجحت حركة تحرير الشعوب[5]وطالبوا بإدخال القطر الجزائري تحت رقابة جمعية الأمم وتحت اشراف وعناية دولة تختارها تلك الجمعية[6].

ولعل ما يبرز ثورية "الأمير خالد" هو جرأته وشجاعته في الكشف على شخصه دون خوف من العواقب فبالإضافة إلى تذكيره بمقاومة الجزائريين للعدوان الفرنسي للعيش في ظل الاستقلال والحرية فقد طالب الأمير باستقلال الجزائر عن طريق اختيار ممثلين جزائريين يحددون مستقبل بلدهم بأنفسهم وبين أن الشعب الجزائري غير راضي على العيش تحت السيادة الفرنسية ولهذا لا بد من أن ينال حريته واستقلاله[7](أنظر الملحق رقم04). وهكذا فقد كان الأمير خالد أول من طالب بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم[8]ولما اخفق ويلسون في تحقيق المبادئ التي نادى بها أثناء الحرب وانتصرت عليها الأفكار

---

[1]–محفوظ قداش ومحمد قنانش، **نجم الشمال الافريقي1925–1937**،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2009،ص118.

[2]– يوسف مناصرية ،**الاتجاه الثوري**...، المرجع السابق،ص54.

[3]–محمد الطيب العلوي ، المرجع السابق ،ص108.

[4]-Charles Roert Agerron،**de l'Algérie Française a l'Algérie algérienne**،Ebif 2000 ،Alger، 2010، p 224.

[5]–محفوظ قداش ومحمد قنانش ، المرجع السابق ،ص118.

[6]–أنيسة بركات ،المرجع السابق ،ص 173.

[7]– يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري** ....، المرجع السابق،ص56، 57.

[8]–زبيخة زيدان المحامي، المرجع السابق، ص52.

الاستعمارية رسم الأمير خالد خطة جديدة تتلخص في مفاوضة الدولة المحتلة لبلاده[1]. وإن ما قام به هذا الأخير جعل المسؤولين الأوربيين في الجزائر يشعرون بالخوف منه لأنه حاول أن يبعث روح الوطنية بذهابه إلى باريس ليطالب باستقلال الجزائر[2] واتهمته الادارة الفرنسية بأنه يريد تقليد الوطنيين الهنود وأنه يعمل على تحقيق استقلال الجزائر من خلال مؤتمر السلم[3].

وتم نفيه من الجزائر سنة1923م بدعوى التآمر على أمن فرنسا، وقد ارتسمت معالم العمل الوطني في فرنسا بهجرة الأمير خالد إليها في هذه السنة و كانت التجمعات التي اتصل فيها بعمال شمال إفريقيا خلال سنتي1923-1924اللبنة الأولى لهذا العمل الوطني، حيث أشرف على تأسيس لجنة من أبناء شمال إفريقيا ممن كانوا يستمعون إلى محاضراته "كالحاج علي عبد القادر ومصالي الحاج" وغيرهما، وقد ظهرت هيئة إغاثة المغاربة[4]، وبالتالي فإن نشاط وأفكار "الأمير خالد" تعد أرضية حقيقية لإيديولوجية نجم شمال إفريقيا، وما يهمنا هو التأكيد بأن جذور فكرة الاستقلال تأصلت منذ "الأمير خالد" لترتقي أكثر في عهد نجم شمال إفريقيا وحزب الشعب[5].

وبعد نفي "الأمير خالد" تميزت الساحة السياسية بظهور مجموعة من الاتجاهات السياسية والفكرية وما يهمنا هنا هو نظرتها لفكرة استقلال الجزائر عن فرنسا وسنركز على الاتجاه الليبيرالي والعربي الاسلامي والاتجاه العالمي هنا لأن الاتجاه الاستقلالي أفردنا له عنصرا خاصا[6].

ضمت حركة الشبان الجزائريين جماعة ذات تكوين فرنسي وأخرى ذات تكوين معرب أو مزدوج وبسبب اصلاحات4فيفري1919م انقسمت الجماعة إلى قسمين: اتجاه عارض التجنس بزعامة" الأمير خالد" وآخر ضم أنصار التجنس بالجنسية الفرنسية يرأسه ابن التهامي[7]،الذي أسس فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين في11سبتمبر1927م في الجزائر العاصمة[8] وكانت تضم قسما من الشباب الجزائري

---

[1]-أنيسة بركات ،المرجع السابق، ص173.

[2]-عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائريين من البداية و لغاية 1962**، دار البصائر، الجزائر،2008،ص220.

[3]-بسام العسلي، المرجع السابق،ص114.

[4]-عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي للهجرة** ....، المرجع السابق، ص ص53، 54.

[5]-زبيخة زيدان ،المرجع السابق ،ص57.

[6]-جمال قنان، **قضايا ودراسات** ...، المرجع السابق،ص182.

[7]- Charles Roert Agerron،OP،cit،p250.

[8]-أبو قاسم سعد الله ،**الحركة الوطنية**...،ج3، المرجع السابق، ص371.

المثقف بالثقافة الفرنسية مثل "فرحات عباس" و"محمد الصالح ابن جلول"[1]الذي تولى رئاسة الاتحادية منذ 1930م[2].

وكان نشاطهم السياسي يتمثل في محاربة الجهل والفقر وانقاذ الشعب الجزائري بكل الوسائل من الاضمحلال المادي والانحطاط المعنوي وتوفير العمل والتعليم لكل الجزائريين ومحاربة القوانين الاستثنائية ونظام الاستعمار وتحسين العلاقات الانسانية وكانوا يعتقدون أن المساواة بين الجزائريين والفرنسيين ستؤدي إلى استلام الجزائريين زمام الحكم في بلادهم وأن سياسة المساواة في الحقوق السياسية والاقتصادية والثقافية وتقدم الجماهير الشعبية في الميدان الاجتماعي لابد أن يفتحا الطريق نحو استقلال الجزائر[3].

وبالنظر إلى مطالب النخبة من1927-1937م فإنه يمكن القول أنها كانت لا ترى في استقلال الجزائر مطمعا إلا في اطار تكوين كونفدرالية جزائرية لها خصائصها وميزاتها الخاصة داخل الجمهورية الفرنسية الواسعة الأطراف وذلك من خلال المساواة بين الجزائريين والفرنسيين[4]،أما بالنسبة للحزب الشيوعي الجزائري فإنه ظهر سنة1935م بعد أن استقل عن الحزب الشيوعي الفرنسي وأصبح في يد مسلمين مثل "عمار أوزقان" و"ابن علي بوخرط"[5] إلا أن هذا الحزب ظل تابعا للحزب الشيوعي الفرنسي[6]، حيث كان يفتخر بولائه لفرنسا ويعتبر أن الجزائر أمة في طور التطور، وكان هذا الحزب يرى استحالة حل المسألة الجزائرية قبل وصول البروليتاريا[7]إلى الحكم في باريس ثم تحل المسألة في اطار فرنسي وتصبح الجزائر شبيهة بالجمهوريات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي[8].

وكان يهدف إلى تحرير العامل والفلاح الفرنسي والجزائري من استبداد البورجوازية والاقطاعية في الجزائر

---

[1]-أحمد مهساس ، المصدر السابق،ص50.

[2]-محمد جندلي، **عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافية: مبعث الحركة الوطنية وامتدادها بعنابة:1919-1954**،ج3،بونة للبحوث والدراسات، الجزائر ،2008،ص4.

[3]-فرحات عباس ، المصدر السابق، ص154-157.

[4]-يوسف مناصرية ،**الاتجاه الثوري**...،المرجع السابق،ص22.

[5]- أحمد أبو جزرة، **العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي مواقف وسرار**، دار هومة، الجزائر،2014،ص124.

[6]- يحي بوعزيز، **مع تاريخ الجزائر**.....،المرجع السابق، ص490.

[7]- البروليتاريا: هو مصطلح ظهر في القرن19م ضمن كتاب بيان الحزب الشيوعي لكارل ماركس وفريدريك أنجلز، ويقصد ماركس بالبروليتاريا الطبقة التي لا تملك أي وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلي أو الفكري:أنظر محمد برهام المشاعلي ،**الموسوعة السياسية والاقتصادية** ،ط1،دار الأحمدي للنشر ،القاهرة ،2007،ص 38.

[8]-أحمد أبو جزرة ، المرجع السابق ،ص125.

وفي فرنسا، ولا يهدف أبدا إلى الاستقلال التام[1].أما بالنسبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فإنها تأسست سنة1931م و هي حركة عربية اسلامية واصلاحية[2] أشرف عليها مجموعة من العلماء ذوي ثقافة عربية متينة مثل"ابن باديس والابراهيمي والعقبي..."[3]،وقد حملت عبء نهضة الاسلام ومحاربة الطرقية والخرافات[4] ،كما قامت بنشر التعليم العربي الحر وتوجيه السياسة الجزائرية توجيها عربيا اسلاميا[5] وتحديث الثقافة الوطنية انطلاقا من قاعدتها الأساسية وهي التربية والتعليم وتوطين العلم الحديث من خلال المدارس التي أسستها في كامل أرجاء البلاد وتكوين نخبة وطنية متأصلة في تراثها ومتعطشة للمعرفة الحديثة وقابلة للتجنيد في معرفة المستقبل[6].

إن اتجاه العلماء وإن غلب عليه الطابع الثقافي والاجتماعي والديني فإنه كان معاديا للاستعمار من خلال رفضه للإدماج والتجنيس، كما كان يهدف إلى اعادة الدولة الجزائرية العربية الاسلامية تكون منتسبة إلى العالم الاسلامي حضاريا وثقافيا ولغويا[7]حتى أن ابن باديس كان يخطط لاستقلال الجزائر وكان سيعلن الثورة على فرنسا لو لم توافه المنية سنة1940م[8].

تميزت الساحة السياسية الجزائرية بالتنوع في اتجاهاتها، وبالتالي اختلاف مواقفها ووسائل نضالها، وهذا لاختلاف مشارب قادتها ،وبالتالي اختلفت نظرتها لفكرة الاستقلال وإن كان "الأمير خالد" قد طالب بحق الجزائر في تقرير مصيرها فإن هذا الاتجاه سيجد امتداده في نجم شمال إفريقيا، بحيث تصبح فكرة الاستقلال أكثر وضوحا عند مصالي الحاج.

2. في تونس

إن الظروف الداخلية والخارجية لتونس ساهمت في بروز فكرة الاستقلال مبكرا ومنها قيام سلطة الحماية بقمع حركة الشباب التونسي إثر حوادث الجلاز في نوفمبر1911م ومقاطعة الترامواي في فيفري1912م

---

[1]-يوسف مناصرية ، **الاتجاه الثوري** ...، المرجع السابق، ص30.

[2]-يسلي مقران، المرجع السابق،ص30.

[3]-أحمد مهساس ، المصدر السابق،87.

[4]-فرحات عباس، المصدر السابق، ص 150.

[5]-عبد الكريم بو صفصاف ،**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931-193**،ط1، دار البعث ،الجزائر ،2009 ،ص301.

[6]-محمد العربي ولد خليفة، المرجع السابق،ص46،47.

[7]-يوسف مناصرية ، **الاتجاه الثوري**...، المرجع السابق، ص39.

[8]-أبو قاسم سعدالله ،**الحركة الوطنية**.،ج3، المرجع السابق، ص88.أنظر أيضا عبد النور خيثر وآخرون ، المرجع السابق، ص355.

،إضافة إلى المد التضامني التونسي المؤيد لحركة الجهاد الليبي منذ الغزو الايطالي لطرابلس سنة1911م ومساهمتها في الحI ع وما تبعها من انعكاسات في نشر الوعي الوطني إضافة إلى الدعاية التركية الألمانية، إذ استقر "علي باش حانبة" بإسطنبول حيث كون لجنة تحرير المغرب العربي[1].

وفي نفس الاتجاه انشئت لجنة استقلال الجزائر وتونس التي ضمت العديد من الوطنين التونسيين والجزائريين وأصدرت "مجلة المغرب"[2] التي أسسها " محمد باش حانبة"، وكانت تصدر اسبوعيا ناطقة باللغة الفرنسية[3]، وقد ترأس هذه اللجنة "صالح الشريف ومحمد مزيان التلمساني" إضافة إلى "اسماعيل الصفايحي". وقد تفرعت عن لجنة تحمل نفس الاسم أسسها في نفس السنة "علي باش حانبة" في اسطانبول ثم ظهرت لجنة فرعية أخرى بجنيف برئاسة "محمد باش حانبة[4].

أما عن مطالب جماعة "مجلة المغرب" فإن وفدا باسم لجنة استقلال تونس والجزائر شارك في أشغال المؤتمر الثالث للقوميات المنعقد بلوزان بتاريخ27جوان1916م وقدم مطالب تترجم مطامح الشعب التونسي والجزائري[5].وقد ندد هذا المؤتمر بشدة بسياسة فرنسا في شمال إفريقيا وأصدر تصريحا أكد فيه على ضرورة احترام ارادة الشعوب في حق تقرير مصيرها[6].

والملاحظ على هذه اللجنة أنها كانت معتدلة في مطالبها في1916م إذ طالبت بإصلاحات لتونس والجزائر تحت نظام الدولة المستعمرة لكن مع1917م اختلف الأمر بعد تصريح السلام الذي نادى به ويلسن. وظهور مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها ووصول "كليمانصو" إلى رئاسة الوزارة الفرنسية استعادت الجماعة المغربية بعض الآمال وطالبت للشعب الجزائري والتونسي من خلال"مجلة المغرب"بنظام ملائم لآماله فطالبت بإعلان دستور للبلدين[7].ولما كان للجماعة المغاربية بعض الشكوك في تحقيق هذه الآمال فإن الشيخ "صالح الشريف" الذي كان يرأس لجنة برلين طلب المساعدة الألمانية للحصول على الاستقلال المستقبلي، ولما لم تجد آذان صاغية غيرت اللجنة من لهجتها وطالبت بالاستقلال في اطار الخلافة الاسلامية العثمانية وأصدرت نشرية بعنوان شكاوى الشعوب المضطهدة وطالبت بالاستقــلال

---

[1]-خليفة شاطر، المرجع السابق، ص84.

[2]-مومن العمري، **شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني**، دار العلوم، قسنطينة، 2010،ص104.

[3]-علالف الفاسي، المصدر السابق، ص52.

[4]-خير الدين شترة ، **اسهامات النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق،155.

[5]-محمد بلقاسم، **المرجع السابق**،ص85.

[6]-جمال قنان، **دراسات في المقاومة و الاستعمار**...، المرجع السابق، ص109.

[7]-محمد بلقاسم ،المرجع السابق، ص88.

الكامل و الفوري[1].

كما حضر وفد مغربي جزائري تونسي برئاسة الشيخ"محمد العتابي"و"صالح الشريف" و"اسماعيل الصفايحي"إلى جانب ممثلي الدول الاسلامية الأخرى، أمام مؤتمر اللجنة الهولندية الإسكندنافية في نوفمبر 1917م[2] بستوكهولم وطالبوا فيه باستقلال بلدانهم الكامل دون قيد أو شرط بل أنهم هددوا فرنسا بتنظيم ثورة مسلحة ضدها بعد أن ذكروها بوعودها خاصة منها تصريحات السيد "ريبو" الناطق باسم الجمهورية الفرنسية بأن فرنسا تقاتل فقط من أجل حقوق الشعوب[3].

وقبيل افتتاح مؤتمر الصلح بباريس قامت لجنة تونس برفع مذكرة للمؤتمرين طالبت فيها بتمكين الشعبين الجزائري والتونسي من حق تقرير مصيرهما، كما قام"الحاج عبد الله"واسمه الحقيقي"برابح بوكابوية"وهو ضابط سابق في الجيش الفرنسي استقر بمدينة زيوريخ بسويسرا بإرسال برقية للرئيس الأمريكي ويلسن بعد أيام قليلة من صدور تصريحه طالب فيها بالاستقلال التام للجزائر وتونس، وفي هذا الاطار تندرج أيضا وعريضة "الأمير خالد" التي سبق ذكرها إضافة إلى الوفد التونسي الذي قاده الثعالبي[4].

جمعت حركة الشبان التونسيين التي تأسست سنة1907م بزعامة علي باش حانبة[5]بين عناصر زيتونية تؤمن بأن الاسلام عامل نهضة وتقدم ولم يكن أبدا حضارة جمود وتخلف وبين نخبة متعلمة في المدارس الفرنسية التي أصبحت تؤمن بأنها استفادت بما فيه الكفاية من الحضارة الأوربية لتسيير شؤون بلادها بنفسها[6] وبانضمام الثعالبي للحركة أشرف على تحرير النشرة العربية لجريدة التونسي سنة1909م التي تحمل عنوان الاتحاد الاسلامي[7]والذي كان له تأثير في أوساط الشباب التونسي[8].

وبانضمام الثعالبي إلى الحركة انفصلت الحركة الوطنية نهائيا بتأثير الثعالبي عن التأثير الثقافي الغربي، ومما سبق فقد وجد تياران: تيار وطني متفرنس الثقافة يتطلع نحو الحرية والاستقلال مع الارتباط بالغرب بوجه عام وفرنسا بوجه خاص، وتيار وطني عروبي اسلامي قومي يتطلع نحو الحرية مع الانفصال التام عن الغرب

---

[1]–خير الدين شترة، **اسهامات النخبة**...، المرجع السابق ، ص160.

[2]–محمد بلقاسم ، المرجع السابق، ص91.

[3]–يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**..، المرجع السابق، ص61.

[4]–جمال قنان، **دراسات في المقاومة و الاستعمار**...، المرجع السابق ، ص116.

[5]–عبد الحميد زوزو، **تاريخ الاستعمار**...، المرجع السابق، ص79.

[6]–يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**..، المرجع السابق، ص337.

[7]– أحمد طرفاوي، المرجع السابق،ص107.

[8]–شارل أندري جوليان ، **إفريقيا الشمالية تسير**...، المصدر السابق، ص88.

بوجه عام ومقاتلة فرنسا بوجه خاص، وقد كان التياران متصادمان ثم انتصر التيار الوطني العربي القومي وتلاقى التياران على صعيد وطني تونسي لخدمة البلاد[1].

وكما استفادت حركة الشبان الجزائريين من افرازات الحرب فقد استغلت أيضا العناصر التونسية انتشار المبادئ والأفكار التحررية[2]وكما علق "الأمير خالد" آماله على مبادئ ويلسن؛ فإن الوطنيون التونسيون علقوا أيضا آمالهم عليه إضافة إلى عوامل أخرى ساعدت في انتشار الوعي الوطني[3]كمطالبة "سعد زغلول" باستقلال مصر وهو ما أثر على الزعيم "الثعالبي"، إضافة إلى دعم روسيا كفاح جميع الشعوب المضطهدة، ولهذا قرر زعماء هذه الحركة الشبان التونسيين في مارس1919م ارسال مذكرة إلى الرئيس الأمريكي "ويلسن" يلتمسون فيها تطبيق مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها على تونس، كما رفعت مطالبها في عريضة إلى مؤتمر فرساي حملها أحمد السقا والثعالبي[4].

ذّكر التونسيون الفرنسيين في مقدمة هذه العريضة بنص معاهدتي الحماية اللتين كان هدفهما الوحيد هو ترقية التونسيين إلى مستوى الشعوب القادرة على حكم نفسها بنفسها، ولهذا طالبوا بتعديل نظام الحماية تعديلا حاسما وذكرت أن الشعب التونسي يطالب الشعب الفرنسي أن يكشف عنه مظالم الحكم المتسلط وأن ترد إليه حرياته ونظامه الدستوري القائم على المسؤولية والفصل بين السلطات وكما ذكر "الأمير خالد" فرنسا في عريضته بمجهودات الجزائريين في الح ع I كذلك فعل التونسيون ثم بينوا كيف أن وعود فرنسا بمنح الحرية للشعوب الواقعة تحت سلطتها بقيت حبرا على ورق[5].

ولكن سرعان ما اضطر الحزب إلى تغيير أساليب عمله ذلك أن المذكرة المرفوعة إلى الرئيس ويلسن بقيت حبرا على ورق، إذ لم تكن فرنسا مستعدة لتطبيق هذه المبادئ على مستعمراتها ولهذا فإنهم عملوا على استمالة الجناح اليساري من البرلمان الفرنسي لقضيتهم كما انتقل الثعالبي إلى فرنسا لمساعدة "أحمد السقا"[6].ولم يكد الثعالبي يصل إلى باريس حتى ضم جهوده إلى السقا وبدأ بتعريف الفرنسيين بالقضية التونسية وبشرحها لهم بوضوح ولعل هذه هي أول مرة تطرح فيها القضية سياسيا على مسرح

---

[1]-الطاهر عبد الله، المرجع السابق،ص41.

[2]-مقلاتي عبد الله، **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،2014، ص154.

[3]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص84.

[4]-مقلاتي عبد الله ، المرجع السابق، ص154.

[5]-يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص66.

[6]-أحمد قصاب، المرجع السابق،ص499.

الأحداث الدولية على هذا الشكل وبهذا المفهوم الذي حدده الثعالبي في سجله وهو تغيير نظام الحماية نهائيا ومنح التونسيين حريتهم وحقهم في الانتخابات والمراقبة والمشاركة في إدارة البلاد[1].كما اتصل بالجناح اليساري لشرح مساوئ نظام الحماية في بلاده بعد أن كانت تونس قد أخذت في السير على طريق التقدم في الفترة السابقة لهذه الحماية[2]

وفي1920م أصدر كتاب تونس الشهيدة بمساعدة "أحمد السقا" باللغة الفرنسية قد بين فيه ما يلي:

– وضح فيه أعمال الاستعمار بتونس التي انتهكت جميع حقوق الشعب التونسي القومية والسياسية والفردية وخاصة منها ما يتعلق باغتصاب الأراضي ومقاومة التعليم وكبت الحريات العامة والخاصة وفتح باب الهجرة للإيطاليين والفرنسيين واجراء كل الوسائل التي ترمي لفرنسة الشعب التونسي مثل السياسة المتبعة في الجزائر.

– وضح نتائج السياسة الفرنسية من انتشار الفقر المدقع بين الأهالي وسوء حالهم الأمر الذي يبين بوضوح فشل الحماية التي تجاوزت كل حدود الرقابة إلى الحكم المباشر والسيطرة الاستبدادية[3].

– وكما ندد بجرائم ومظالم النظام الاستعماري كما يحتوي هذا الكتاب على التأكيد القاطع على الوجود التاريخي لأمة ودولة تونس[4].

– حاول المقارنة بين النظام التحرري الذي كان قائما بتونس قبل انتصاب الحماية ولا سيما نظام أمراء الاصلاح المنبثق عن عهد الأمان الصادر1857م ودستور1861م وبين النظام القهري والرجعي الذي أقامته الحماية بالبلاد التونسية.

– وعرض مطالبه في آخر الكتاب[5].

ويرى الثعالبي أن العلاج الوحيد للداء، هو منح دستور للبلاد كما طالب بإحداث مجلس منتخب يتركب من60عضو ويتمسك بالسلطة التشريعية وتكون الحكومة مسؤولة لديه واقترح انشاء مجالس محلية بالمدن والأرياف تتولى النظر في الشؤون المحلية واقامة سلطة قضائية مستقلة عن السلطة التنفيذية والتشريعية ومنح الجنسية الفرنسية لكل أجنبي ولد بتونس وأقام بها لمدة10سنوات ونشر التعليم على مختلف الدرجات

[1]– يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص69.

[2]–يحي جلال ، المرجع السابق، ص201.

[3]–علال الفاسي، **الحركات الاستقلالية**..، المصدر السابق، ص58.

[4]–محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص116.

[5]– للمزيد أنظر عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص31.

والاعتراف لجميع المواطنين بحق تكوين جمعيات مهنية وسن قوانين اجتماعية[1]؛ونتيجة لنشاط الثعالبي الواسع فقد اتهم بالتآمر على أمن الدولة واثارة الشغب في البلاد وتم القاء القبض عليه يوم28 جويلية 1920م بأمر من رئيس المجلس الحربي بتونس بتهمة المس بأمن الدولة ونقل إلى تونس في22 أوت من نفس السنة وزج به في السجن[2].

بعد الحI أدى تطور الأوضاع الدولية إلى ظهور مجموعة من القادة في تونس تربى عدد منهم في المدارس الفرنسية، وكانت لا تصر كثيرا على فكرة الاستقلال، بل كانت تقدم إليها فكرة الدستور ومعظمهم من الطبقة الوسطى[3]وفي هذه الظروف ظهرت طبقة أبناء دافعي الضرائب، وكانت هذه الجماعة بحكم ثقافتها الحديثة كانت ترى أن الطريقة المناسبة لحل قضية البلاد هو مواصلة الكفاح بالطرق السلمية المشروعة[4]، بينما كان علي باش حانبة والثعالبي يمثلون الاتجاه الثوري الداعي إلى الاستقلال الكامل لتونس[5]. فكيف سيكون موقف الثعالبي من هذه الاتجاهات المختلفة الثقافة، وكذا في أساليب كفاح الاحتلال الفرنسي؟

بالرغم من وجود تيارين مختلفين داخل حركة الشبان التونسيين، فإن الاتجاه الذي يمثله الثعالبي أصبح هو الغالب مما أدى إلى وحدة الصف وبالتالي ظهرت فكرة الاستقلال لدى علي باش حانبة والثعالبي في مذكرة الشبان التونسيين إلى الرئيس الأمريكي ويلسن؛ عموما فإنه بعد فشل المقاومات المسلحة في البلدين كوسيلة أساسية لتحقيق الاستقلال والتخلص من الأجنبي، فإن فكرة الاستقلال لم تختفي لدى زعماء وقادة الحركات السياسية التي ظهرت في البلدين وعملت على نيل الاستقلال بطريقة جديدة اعتمادا على النضال السياسي واستغلال الظروف الدولية يحركها في ذلك الانتماء إلى العالم العربي والدين الاسلامي، الذي كان محور كل نشاط يقوم به المغاربة عموما.

[1]-أحمد قصاب ، المرجع السابق ، ص500.

[2]-أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص27.

[3]-يحي جلال ، المرجع السابق، ص702.

[4]- صالح خرفي، المرجع السابق، ص170.

[5]- يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص78.

المبحث الثاني: تبلور فكرة الاستقلال

1. في الجزائر

كان ميلاد نجم شمال إفريقيا سنة1926م بين أوساط العمال، وقد ظهر في بدايته على شكل هيئة تدافع عن مصالح بلدان شمال إفريقيا الثلاث ورغم أن النجم لم يكن في بدايته جزائريا فإن وجود مصالي الحاج على رأسه جعله يهتم أكثر بمصالح الجزائريين وبالتالي فإن فكرة الاستقلال وجدت امتدادا لها في مصالي، حيث أصبحت أكثر وضوحا[1]، أعلن هذا الأخير عن كلمة الاستقلال لأول مرة في مؤتمر بروكسل10-15فيفري1927م عندما ألقى خطابه المعنون بـ" ضد الاستعمار ولاستقلال الجزائر"، حيث ندد فيه باحتلال الفرنسي للجزائر وسياسته الزجرية ضد الجزائريين ثم طالب لأول وبكل جرأة باستقلال الجزائر[2]. وقد كتب الشـاذلي خير الله مقالا في جريـدة "الاقدام" تحت عنـوان حق الشعـوب في تقرير مصيرها: " وهكذا حقا أن الشعوب التي تتألم هي نفسها التي تكافح وجماهير الشمال الإفريقي التي اجتازت مرحلة تحمل الألم قد دخلت ابتداء من مؤتمر بروكسل في طور دقيق من كفاحها في ميدان الايديولوجية الثورية.."[3]

طالب السيد "مصالي الحاج" في خطابه المذكور باستقلال الجزائر صراحة وسحب قوات الاحتلال الفرنسية وتكوين جيش وطني، كما طالب بمصادرة الملكية الفلاحية الكبير من أيدي المعمرين وتوزيعها على الفلاحين والغاء قانون الأهالي إضافة إلى المطالبة بحرية الصحافة والتجمع وطالب ببرلمان جزائري وبالتعليم العربي للجزائريين[4].ومما يمكن ملاحظته على هذه المطالب هو تأثرها ببرنامج "الأمير خالد" فيما يتعلق بالمسائل الثقافية والسياسية بينما يظهر تأثرها بالحركة الشيوعية في مطالب الاقتصادية أما عن غياب المسائل الدينية فهذا يرجع إلى كونهم بعيدين عن معاناة المسلمين من الناحية الروحية[5].

وكان هناك خلاف بين مناضلي النجم منذ البداية وأصبح أكثر وضوحا بعد مؤتمر بروكسل1927م، حيث انسحب منه "الحاج علي عبد القادر" ثم تبعه كل من كان متأثرا بالأفكار الشيوعية منذ مؤتمر فيفري1928م حتى تركوه عن آخرهم سنة1932م ولم يبق إلا العناصر الوطنية على رأسهم "مصالي الحاج".

---

[1]-يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري**..، المرجع السابق،ص84،85.

[2]-عمار بحار، **مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه**، درا الحكمة، الجزائر،2009، ص ص53-55.

[3]-محفوظ قداش ومحمد قنانش، **نجم الشمال الإفريقي**...، المرجع السابق، ص46.

[4]-محمد قنانش، **الحركة الاستقلالية في الجزائر**..، المصدر السابق، ص45.

[5]-يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري**..، المرجع السابق،ص88.

يشترك المنضوون في التيارات والتنظيمات الوطنية والقومية في الإيمان بهدف أعلى يتمثل في تحقيق الاستقلال أو تحقيق وحدة الأمة، ولكن يختلف المنخرطون في هذه التنظيمات من ناحية الأفكار والرؤى والطروحات كما أنها تسعى لتحقيق أكبر اجماع حولها،[1]وبالتالي فهي تعمل على ارضاء كل الطبقات والتوجهات الفكرية، وبالتالي يؤدي هذا إلى حدوث اختلافات وصدامات حادة[2]وهذا ما حدث داخل النجم وأصبحت فكرة الاستقلال عنصر تنافر وانقسام بين المناضلين مهما كانت اتجاهاتهم ومواقفهم وانتهى الأمر بانقسام المواقف إلى مؤيدين لبرنامج معتدل وإلى مؤيد لاتخاذ موقف أكثر تطرفا كما يلي:

-يرى "معروف محمد" و"حسن إيسعاد" أن التصريح بالاستقلال في برنامج النجم في الوقت الحالي سابق لأوانه

-"حاج علي عبد القادر" بعد توبيخه من طرف الاممية الشيوعية والحزب الشيوعي خفف من مواقفه واتخذ سلوكا أقل حسما.

-بينما تمسك معارضي البرنامج المعتدل أنه لابد من وضع المسألة في إطارها الحقيقي[3]، وبالتالي استقلت العناصر الوطنية نهائيا عن الحزب الشيوعي بعد أن أدركوا أن أهدافهم متباعدة[4]،حيث كان الشيوعيون يعارضون فكرة الاستقلال عكس فكرة "مصالي الحاج"[5] الذي استقل بأفكاره عن الشيوعيون حيث قطع عنه الحزب الشيوعي كل المساعدة، فأعلن النجم القطيعة معه ولم يمضي وقت طويل حتى صدر أمر بحله مما يدل على مدى التنسيق بين السلطة الفرنسية وهذا الحزب[6]؛ومنذ 1929م لم يبق سوى أفراد قلائل منهم "بانون آكلي"[7]و "سي الجيلالي"[8]و"محمد السعيد"، وكان على هؤلاء أن يعملوا على الحفاظ على النجم بتنظيم جديد وتطهيره من العناصر الشيوعية وتطعيمه بعناصر جديدة، وبالتالي ظهر النجم تحت اسم جديد وهو النجم المجيد، وانضمت إليه عناصر جديدة مثل " عيماش عمار" و" راحف بلقاسم" و"أرزقي

---

[1]- عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص288.

[2]-رابح لونسي، **التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة** ، المرجع السابق ،ص ص111،110.

[3]- كمال بوقصة، **مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعوبية**،دار القصبة، الجزائر،2005 ، ص349.

[4]-أحمد مهساس، المصدر السابق ، 67.

[5]-زبيخة زيدان المحامي، المرجع السابق، ص66.

[6]-مصطفى همشاوي، المرجع السابق، ص38.

[7]-عضو مؤسس للحزب أصبح أمين المال في 1935م.للمزيد أنظر محفوظ قداش ،**تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص264.

[8]-ولد في افني بورا 1880 تعلم العربية وهاجر إلى فرنسا نواحي الح ع I شارك في النقابة و اختلط بالصحافة الغربية الفرنسية ،من مؤسسي النجم و صاحب وامتياز الأمة توفي في باريس 1955م .للمزيد أنظر نفسه، ص72.

كحال"[1] وغيرهم ممن حملوا فكرة الاستقلال وذلك نتيجة للوعي بسياسة الاستعمار التي تعبر عن نفسها بالدم والنار والتجهيل وسلب الممتلكات والقوانين الاستثنائية[2].

وقد نشر النجم في جوان وجويلية1928م بيانا في جريدة "الاقدام الناطقة "باسمه بعنوان" من أجل استقلال إفريقيا الشمالية" جاء فيه: "أيّها الجزائريون أعلنوا حقوقكم أعدوا أنفسكم للاحتفال باحتلال بلادكم بطريقتكم الخاصة بتنظيم حركة واسعة ضد الامبريالية"[3]، لهذا كان ظهور الشعور الوطني يندرج في إطار جملة من الوقائع السياسية والاجتماعية والثقافية وفي مقدمتها الاحتفالات بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر1930م التي أيقظت الشعب الجزائري وجعلته يعمل على تحرير وطنه من براثن الاحتلال الفرنسي[4]حيث ندد النجم بالاحتلال الجزائر وقام مصالي الحاج بتوجيه مذكرة إلى عصبة الأمم لفضح ممارسات الاحتلال وتم توزيعها بفضل صحيفة "الأمة" التي أصبحت همزة وصل ليس بين المهجر والجزائر فحسب بل بين مختلف أنحاء البلاد، وقد ساهمت في نشر فكرة الاستقلال في أوساط الشعب[5].

وقد اعتبر مناضلو النجم أن حوادث قسنطينة1934م جزءا من المقاومة التي يخوضها الشعب الجزائري ونددوا في لائحة أصدروها بالاستفزازات الامبريالية الفرنسية التي أحدثت بقسنطينة مأساة دموية واحتجوا بشدة على إيقاف المواطنين و طالبوا بالإطلاق سراحهم وانتهت اللائحة بعبارة" ويحيا الكفاح لمسلمي شمال إفريقيا، يحيا استقلال إفريقيا الشمالية، يحيا الاسلام[6].

وإذا كانت سنة1927م قد أقرت مبدأ الاستقلال الوطني عمليا وأقرت مبدأ الثورة فكريا ومبدأ وحدة الشمال الإفريقي استراتيجيا، فإن سنة1928م عرفت تصحيح القوانين الأساسية والتضامن مع القضايا المغرب العربي، فإن مؤتمر الحزب المنعقد في شهر ماي1933م حدد الخطوط العريضة للبرنامج السياسي والثقافي والاقتصادي والاجتماعي وحدد وسائل العمل كما حدد القوانين الداخلية باعتبار حركة النجم حزبا سياسيا وطنيا له ايديولوجية النابعة من أصالته والمتفتحة على عصره وله أيضا استراتيجيته الخاصة التي

---

[1]–من فنزات ،انخرط بالنجم منذ1932م عمل كعضو بالمكتب السياسي ثم رئيسا للجنة المركزية وأمينا عاما فسكرتيرا لمصالي. للمزيد أنظر عبد الحميدزوزو، **الدور السياسي**..، المرجع السابق،ص65.

[2]–أحمد مهساس، المصدر السابق،ص85.

[3]–أبو قاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية**...،ج1،المرجع السابق،ص351.

[4]–أحمد توفيق المدني، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة العربية، مصر، 1956،ص166.

[5]–أحمد مهساس ، المصدر السابق، ص116.

[6]–محمد الطيب العلوي ،المرجع السابق،ص152.

تتماشى ومبادئه الثورية[1].وقد اشتمل هذا البرنامج على جزئين:

حيث يعالج في الجزء الأول المسائل السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، أما الجزء الثاني فهو ثوري ويختلف تماما عن الأول حيث يشمل على الاستقلال التام للجزائر وانسحاب جميع قوات الاحتلال وانشاء جيش وطني وانشاء جمعية تأسيسية وغيرها من المطالب تشهر القطيعة مع فرنسا وهي بمثابة اعلان حرب عليها[2].

ومما يلاحظ على هذا البرنامج هو تأثره بالإصلاحات الأوربية في فرنسا وغيرها وخاصة في البلدان الاشتراكية، وتظهر أصالته في بعض مطالبه مثل انشاء المدارس العربية واحترام كتاب الله الذي هو روح الشعب التي لا تفنى، كما أنه رغم أن بعض بنوده توحي بقيام نظام اجتماعي تسوده العدالة الاجتماعية ورغم اقتباس بعض نقاط النظام الاشتراكي الاقتصادية فإن النجم لم يشر إلى قيام نظام اشتراكي في الجزائر المستقلة. وما يلاحظ على هذا البرنامج أيضا هو غياب الجانب الديني[3]، إلا عند ذكر قضية التجنيد الاجباري وكذا الوحدة الاسلامية[4].

ومما يلاحظ على هذه المرحلة[5] أن الحزب كان موجها كل عنايته للتنظيم وتوسيع قاعدته كما أنه كان يضع أمامه هدفا أساسيا هو إقامة قاعدة قوية له في الجزائر[6]. ومنذ1934م بدأ نشاط الحزب يتسرب إلى الجزائر وأخذت أفكاره تنتشر تدريجيا بين السكان الوطنيين حيث قام "مسطول"[7] بجمع فريق من الشبان لمساعدة جريدة الأمة وبنجاح هذه العملية و ارتفاع المناضلين تم انشاء الخلايا الأولى[8].

تبنى حزب نجم شمال لإفريقيا ايديولوجية متطرفة بالنسبة للتيارات السياسية الأخرى من البداية ولكنها

---

[1]-محمد قنانش، **الحركة الاستقلالية**...، المصدر السابق،ص48.

[2]-Jean-Louis Planche،**Aux Origines de l'étoile Nord-Africaine à Alger- le parti National Révolutionnaire L'Etoile Nord- Africaine**، Editions،ANEP،Alger،2000،p p، 164-165.

[3]-يوسف مناصرية ، **الاتجاه الثوري**...، المرجع السابق،ص91.

[4]-أبو قاسم سعدالله، **الحركة الوطنية**...،ج3،المرجع السابق،ص126.

[5]-حقيقة أن الوضع سنة1933م كان مناسبا لقيام النجم بالهجوم فمن جهة هناك الغليان الوطني في كل بلاد المغرب و صداماته العنيفة مع الحكومة الفرنسية مما هز العمال المهاجرين إضافة إلى زيادة البطالة بين المهاجرين مما جعالهم مستعدين للكفاح. للمزيد أنظر أبو قاسم سعد الله، **أبحاث وآراء**...،ج3 ، المرجع السابق،ص45،46.

[6]-مصطفى همشاوي ، المرجع السابق، ص 40.

[7]-ولد في1907 من عائلة متواضعة عمل منذ صغره في أعمال زهيدة، وفي ماي1930سافر إلى فرنسا ،أسس أول نواة لنجم شمال إفريقيا. للمزيد أنظر محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية**..، المرجع السابق،ص388.

[8]-عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق،ص292.

واضحة وعميقة، فهي ايديولوجية متطرفة لانطلاقا من مفهوم الاستقلال؛ وتأكيده عليه كان متناسبا مع شدة طبيعة النظام السياسي في الجزائر ومع عنف القوانين المكبلة للشعب الجزائري، فالجزائر كانت قد جردت من شخصيتها السياسية وأعلنت بقانون الحاقي اعتباطي جزءا من فرنسا كما جرد الجزائري من حقه في الحياة بخضوعه لقوانين استثنائية جائرة. وأهم ما تميز به هذا الحزب هو التكوين الثوري ما دام الاستقلال ثوريا وايديولوجته تهدف إلى تغيير الأوضاع السائدة وما دام أيضا مطلبا ثمينا ينتزع بالقوة ولا يوهب فإنه على الرجال الذين يعتنقون هذا المبدأ أن يكونوا في مستوى الطموح الثوري، وفي مستوى عملية التغيير الجذري[1].

كانت مطالب النجم الثورية سببا في تعطيله في كثير من الحالات خوفا من أن تؤثر أفكاره التحررية في الجزائر إلى ضغوط كبيرة من السلطات الاستعمارية بغرض القضاء على ما يمس بسيادتها في الجزائر كما ظهرت قوة المستوطنين في مواجهة كل اصلاح من شأنه تحسين وضعية الجزائريين، وهذا ما شجع على ظهور أفكار أكثر راديكالية من قبل كثير من الشخصيات الجزائرية تدعو إلى الانفصال عن فرنسا[2].

ففي سنة1935م وبسبب تضييق الخناق على"مصالي"ورفاقه غادر فرنسا إلى سويسرا، وهناك أطلق حملة لصالح اثيوبيا التي هاجمتها إيطاليا وطرح قضية الهيمنة الفرنسية في الجزائر، وقد اتخذ"شكيب أرسلان"مبادرة تنظيم مؤتمر اسلامي أوربي في جنيف لتوحيد مسلمي أوربا مع مسلمي الشرق، وقد شارك النجم في هذا المؤتمر من خلال"مصالي "وبعض زملائه وندد فيه بالسياسة الاستعمارية الفرنسية بالمغرب[3].

وبإيجاز فإن فكرة الاستقلال قد تبلورت لدى مصالي الحاج ورفاقه انطلاقا من تأثرهم بنشاط الأمير خالد واحتكاكهم بالمنظمات العمالية والنقابية وكذا انخراط بعضهم في الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان ينادي في البداية باستقلال المستعمرات كل هذه العوامل ساهمت في بلورة الاستقلال لدى المهاجرين الجزائريين.

2. في تونس

في الوقت الذي كان" الثعالبي"يقوم بنشاط واسع في باريس للتعريف بالقضية التونسية ومطالب الشعب التونسي حيث اتصل بممثلي الشعب الفرنسي وعلى رأسهم الحزب الاشتراكي، ونتيجة لفشل هذا الأخير

[1]-عبد الحميد زوزو، **دور المهاجرون...**، المرجع السابق، ص ص 182،183.

[2]- قريري سليمان، **تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954**، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الإنسانية والاجتماعية ،جامعة العقيد الحاج بخضر ،باتنة ،2010،(غ م)،ص60.

[3]-محفوظ قداش ، **تاريخ الحركة الوطنية** ..،المرجع السابق، ص507.

في انتخابات سنة1919[1] فثارت قيادة الحزب التونسي ضده متذرعين أنه أساء بهذه الصلة لتونس ولقد كانت هذه الهزيمة بمثابة ضربة قاصمة لآمال النخبة التونسية وبينت الاختلاف بين رافض ومؤيد للحماية[2] وظهر هذا من خلال المراسلات التي لم تنقطع بين الثعالبي والنخبة التونسية كما يلي:

-أبدى "الصادق الزملي" مع زملائه تخوفهم من انعكاس هزيمة الحزب الاشتراكي الفرنسي الذي ربط قضيتهم به على حركتهم وصارحوه بميولهم إلى الاعتدال واتباع سياسة التعاون مع فرنسا.

-"علي باش حانبة "كان يمثل الاتجاه المتطرف وكان يلح على الثعالبي في اتباعه ويحرضه على المطالبة بالاستقلال الكامل وحث التونسيين على الاعلان عن رفضهم للحماية والتصريح بالانفصال عن فرنسا[3].

-بينما كان "فرحات بن عياد"[4] يحرر العرائض ويرسلها إلى الثعالبي لتصحيحها ويطلب منه أن يراعي شعور التونسيين المتخوفين من اضطهاد سلطة الحماية وأن لا يضيف عليها شيئا من الشدة والتطرف.

-حسن قلاتي وجماعته يريدون التجاوب مع سلطة الحماية[5] وتنادي بمشاركة التونسيين في ادارتها وأوهمت الشعب بأن العاقبة ستعود عليه بالاضطهاد ونكال وبالتالي تأثر الشعب بخط المسالمة وساهم في تحطيم الحركة وارغامها على الميل إلى الاعتدال[6].

لقد كان الشيخ "الثعالبي" يمثل في النخبة التونسية الاتجاه الثوري الداعي إلى الاستقلال الكامل لتونس ولكنه أصبح يقود الاتجاه الواقعي العربي الاسلامي بعد خضوعه إلى التيارين الاصلاحي والمعتدل اللذين سيطرا على اتجاه الحزب[7]؛وقد تقدمت النخبة التونسية إلى الباي "محمد الناصر" والمقيم العام بعريضة طالبوا فيها بالدستور فأظهر الباي عطفه عليهم ووعدهم بإرضائهم في مطالبهم ولهذا فقد ظهر حزب جديد في فيفري1920م طالبوا فيه بالدستور وأطلقوا عليه اسم حزب الدستور[8].وأهم ما جسد الفكر الوحدوي

---

[1]-الحبيب تامر، المرجع السابق،ص98.

[2]-خير الدين شترة، **الطلبة الجزائريون**..، المرجع السابق،ص353.

[3]-يوسف مناصرية ،**دور النخبة الجزائرية**..، المرجع السابق، ص77.

[4]-كان عضوا في الحزب الدستوري التونسي. للمزيد انظر يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق،237.

[5]-بعد صدور كتاب تونس الشهيدة حاول حسن قلاتي ومن يميلون إلى سياسة المراحل تكوين حزب خاص بهم ولما علم الثعالبي بالأمر وكان في السجن قال للمدني: إن مسعى الأقلية الخائنة لا يجب أن يؤبه له ولا أن يقرأ أي حساب لأنهم يعلمون خارج دائرة الشعب وأخبره أن فرنسا عندما سجنته كانت تهدف لإبعاده عن تحقيق هدفه. للمزيد أنظر أحمد توفيق المدني،**حياة كفاحي**، المصدر السابق، ص235.

[6]-عبد العزيز الثعالبي ، المصدر السابق، ص18.

[7]-محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص217.

[8]-علال الفاسي، المصدر السابق، 59.

الوطني عند الثعالبي في هذه الفترة يتمثل في لمه لشمل تيارات الحركة الوطنية التونسية بمختلف اتجاهاتها عند تأسيس الحزب الدستوري[1]، يقول عبد العزيز الثعالبي: "وحرصت في هذه المطالب على أن أضمنها جميع رغبات التونسيين المعتدلين منهم والمتطرفين فصادفت هوى في نفسي مختلف الطبقات فانضم إلى الحزب التونسي جميع أصناف الناس..."[2]

وفي سياق تأسيس الحزب انتخب "عبد العزيز الثعالبي" رئيسا له رغم وجوده في السجن، كما انتخب رئيسا للجنة التشريعية للحزب وهذا دليل على أنه يمثل رجل الوفاق بين أعضاء النخبة التونسية[3]؛وقد أعربت النخبة أن غايتها من تأسيس الحزب هي تبليغ الوطن رشده وتحريره من الاستعباد و الاستعمار كي يصبح الشعب التونسي حرا متمتعا بكامل الحقوق التي تتمتع بها الشعوب الحرة وهو يريد أن يصل لهذه الغاية عن طريق التحقيق العاجل لنظام دستوري يسمح لهذا الشعب أن يحكم نفسه بنفسه[4]، لكن "عبد العزيز الثعالبي" لم يوافق أساسا على الخطوط العامة لهذه الحركة وظلت الخلافات واضحة بين أهدافه التي ترنوا إلى الاستقلال[5]وبين أهداف القائمين على الحركة التي تهدف إلى الوصول إلى الدستور ولكنه وجد أن الواجب عليه كقائد سياسي عدم التخلي عن هذه المجموعة في نفس الوقت الذي حاول فيه دائما توجيههم نحو الهدف الأساسي الذي يتمثل في الاستقلال[6]حيث قال لمحي الدين القليبي:" أن هذه الخطة ارتضاها اخواننا تحايلا في السياسة أما أنا فكنت أفضل الصرامة التي قلت عنها"[7].وقد تم صياغة لائحة مطلبية تتكون من تسعة نقاط كالتالي:

انشاء جمعية تشريعية تتكون من تونسيين وفرنسيين منتخبة بالاقتراع العام؛ انشاء حكومة مسؤولة أمام الجمعية؛ الفصل بين السلطات الثلاث؛ فتح مجال التوظيف للتونسيين؛ انشاء مجالس بلدية منتخبة؛ التساوي في الأجور بحسب التساوي في العمل؛ حرية الصحافة والتجمع، وحرية توسيع التعليم وحق

---

[1]-أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص226.

[2]-نقلا عن صالح خرفي، المرجع السابق، ص172.

[3]-نقلا عن أحمد طرفاوي، المرجع السابق،127.

[4]-مجموعة من المؤلفين ، المرجع السابق، ص35.

[5]-في29ماي1921م اجتمع مناضلو الدستور وافتتح الثعالبي الجلسة بخطاب جاء فيه:"...إن غايتنا وهدفنا إنما هو الاستقلال التام المطلق التونسي...وإن طريق الكفاح طويل يمر بمراحل عدة ولا يجني ثمرات النصر إلا الوطن ومن صبر من رجال الكفاح وإن أعمالنا إنما ثمرات محك للرجال وتمحيص لمدى ثباتهم وصدق أناتهم. للمزيد أنظر أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح** ،ج1،المصدر السابق،ص266.

[6]-يحي جلال، المرجع السابق، ص704.

[7]-علال الفاسي، المصدر السابق، 60.

التونسيين في امتلاك أراضي التعمير[1].أما الأهداف البعيدة فتتمثل في تكوين حكومة ومجلس الأمة التونسي وكان هو الوجه الحقيق للحزب الدستوري يهدف أساسا إلى الاستقلال التام وتكوين نظام تونسي حر[2].

أما بالنسبة للنقاط التسعة فإن الحزب أراد بالنقطة الأولى إلغاء سلطة المقيم العام الفرنسي وإبعاد نفوذ الفرنسيين التشريعي والتنفيذي والمالي؛ أما عن النقطة الرابعة فهي رغم أنها تفتح باب التوظيف للتونسيين فإن شرط الكفاءة الثقافية والأخلاقية نظرا لقلة المثقفين التونسيين فإنها تحصر الوظائف في يد عدد قليل من المثقفين وهم الفرنسيون وعدد قليل من التونسيين. وهذا يرجع إلى أن النخبة المثقفة ثقافة أوربية ويستبعد أن تكون من أفكار ذوي الثقافة الاسلامية[3]،وكانت النقاط الأخرى كلها لصالح التونسيين، ويمكن القول أن المطالب التسعة كانت واقعية تهدف إلى الرجوع بالحماية إلى الالتزام بمعاهدة باردو[4]،ورغم اتزانها إلا أنها أثارت استنكار بالغا بالرأي العام الفرنسي بتونس[5].

لكم تباين المآل بين ما خلصت إليه اللائحة المطلبية للحزب في تصورها وبين تصلب تونس الشهيدة في تمجيدها لتونس ما قبل الحماية، التصلب الرافض ضمنيا لفكرة الحماية من أصلها فلم يعد الحال قائما على الرجوع بتونس لعصرها الذهبي بل القبول الضمني لفكرة المواطنة و السيادة المشتركة[6].

وفي هذه الفترة ولامتصاص غضب التونسيين أصدرت سلطات الحماية في جويلية1922م مرسوم الاصلاحات المتضمن تأسيس المجلس الكبير[7] ولأن هذه الاصلاحات كانت شكلية ولا تستجيب لكامل المطالب الوطنية فقد رفضها الحزب[8] وتعرض بسبب ذلك لاضطهاد السلطة الفرنسية كما حاولت السلطة اثارة الانقسام في صفوفه عن طريق سياستها المخادعة فانفصل "حسن قلاتي "[9]

---

[1]-أحمد عبيد، **التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية(الجزائر تونس المغرب)**،ابن النديم للنشر،الجزائر،2010،ص 184.

[2]-يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص83.

[3]-قدادرة شايب، **الحزب الدستوري التونسي الجديد وحزب الشعب الجزائري-دراسة مقارنة 1934-1954-**،أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري- قسنطينة، 2007، (غ.م)، ص113.

[4]-يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص87.

[5]-شارل أندري جوليان، **افريقيا الشمالية تسير**...، المصدر السابق،ص91.

[6]-أحمد عبيد، المرجع السابق، ص185.

[7]-مقلاتي عبد الله، المرجع السابق،ص155.

[8]-مجموعة من المؤلفين، المرجع السابق، ص39.

[9]-(1880-1956م)جزائري الأصل تخرج من كلية الحقوق1902م ألقي القبض عليه بعد حوادث الزلاج ومقاطعة الترامواي كان يميل إلى سياسة المراحل فأسس الحزب الاصلاحي1921م وأصدر جريدة البرهان. أنظر صالح خرفي، المرجع السابق، ص 172.

و"فرحات بن عياد" عن الحزب[1] وأمام اشتداد المضايقات اضطر الثعالبي للجوء إلى خارج الوطن وفتر بذلك بنشاط الحزب وازدادت وطأة السياسة الفرنسية شدة واضطهادا[2]حيث فرضت في1932م قانون التجنيس الذي لقي معارضة الدستوريين وضايقت النشاط النقابي للعمال التونسيين واتبعت الأساليب القمعية في التصدي للدستوريين[3].

ولما غادر الثعالبي تونس نحو المشرق الاسلامي ظلت علاقته قائمة بين بني وطنه في تونس ومن مظاهر ذلك التواصل، إن رجال النخبة التونسية في الحركة الوطنية قد فوضوه مندوبا عنهم في المؤتمر الاسلامي بالقدس الذي انعقد سنة1934م[4]؛ وابتداء من سنة1926م إلى حدود1931م عدل الحزب الدستوري عن العمل السياسي المباشر وبدأ بالبحث عن طريقة تكتسي أكثر نجاعة ومن عوامل هذا الفتور نذكر:

-الازدهار الاقتصادي سنوات1926-1929م إضافة إلى الامتيازات التي منحها المقيم العام لبعض القادة الدستوريين كانت سببا في تخفيف من حدة المطالب[5].

-سياسة المقيم العام "سان لوسيان"[6] التي صادرت الحريات العامة وكانت قائمة على الرعب و الارهاب، وبعد موت الباي "محمد الناصر" فإن الحركة الوطنية التونسية فقدت سندا قويا لها.

-ضعفت الحركة الوطنية بسبب غياب زعيمها " الثعالبي" الذي كان ينتقل في المشرق وظل من أكبر دعاة الحرية والوحدة في الوطن العربي. إضافة إلى الاختلاف في الطرق النضالية الكفيلة بتحقيق الاستقلال[7].

-كان هذا الحزب يشكو من بعض العلل التي هي في صميم تكوينه وخاصة المنبت الاجتماعي لمسيريه من البرجوازية ويشكلون قيادة من السياسيين الذين يستنكرون بحكم المنشأ والمزاج والمصلحة من أعمال العنف ولا يعرفون أو لا يحبون قيادة حركات شعبية واسعة النطاق إلا نادرا[8].

قد تميزت فترة الثلاثينات بحادثين بارزين الأول يتمثل في احتفالات السلطات الاستعمارية بالمؤتمر الأفخارستي سنة1930م بقرطاج وخمسينية بسط حمايتها على تونس1931م على غرار الاحتفالات

---

[1]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص ص513-515.

[2]-خير الدين شترة، **المهاجرون الجزائريون**...، المرجع السابق،79.

[3]-محمد الهادي شريف، المصدر السابق،ص117.

[4]-أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص127.

[5]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص 530.

[6]-أخطر مقيم عام فرنسي عرفته تونس تسبب في تقسيم الحزب الدستوري. للمزيد أنظر صالح خرفي، المرجع السابق، ص175.

[7]-طاهر عبد الله، المرجع السابق، ص ص56-60.

[8]-محمد الهادي الشريق، المصدر السابق، ص117.

بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر وكذا اصدار الظهير البربري في المغرب الأقصى[1]؛أما الحدث الثاني فهو انعقاد مؤتمر نهج الجبل بين12و13ماي1933م[2] أين انضمت مجموعة العمل التونسي إلى الحزب الدستوري[3] وتم المصادقة على ميثاق وطني جاء في ديباجته:" إن سياسة التظاهر مع فرنسا قد فشلت فشلا ذريعا بعد تجربة دامت سنوات طويلة وأن الغاية التي يرمي إليها الحزب هي تحرير الشعب التونسي ومنح البلاد قانونا منيعا وقارا في شكل دستور يحمي الشخصية التونسية ويقر سيادة الشعب بواسطته" وكل ما من شأنه أن ينقذ البلاد من الانهيار المالي والمعنوي وضمان مكانتها بين الأمم المتحضرة واثر هذا المؤتمر ازداد نشاط الحركة الوطنية وساد التضامن بين قادة الشعب[4].ولهذا عمل "بروطون" بوسائل ملتوية على تقسيم الحزب بعد أن علم بوجود خلافات بين قادة الحزب فأراد توسيع الخلاف وانتهى الأمر بانسحاب الحبيب بورقيبة[5] ورفاقه من الحزب وأسسوا الحزب الدستوري الجديد في2مارس1934م على اثر مؤتمر قصر الهلال، وقد تبنى في البداية ميثاق المؤتمر نهج الجبل 1933م إلا أنه تخلى عنها[6].

كانت أفق أولئك المثقفين المستغربين تقف عند الحدود الضيقة للبلاد التونسية كما صاغتها سياسة الحماية والاقتصاد المعاصر والحركة الفكرية العامة فأقلموا المفهوم العصري لكلمة أمة وأخرجوا إلى صعيد الوعي ما فعله العالم المعاصر على صعيد الحياة العمومية أي المجموعة القومية التونسية بأنها قسم متميز تمام التميز عن الأمة الاسلامية والعربية أما في مستوى الجماهير الشعبية والمتعلمين ذوي التكوين التقليدي فإن فكرة الأمة العربية الاسلامية بقيت حية وكان الكفاح السياسي يصطبغ في الكثير من الأحيان بفكرة الجهاد الديني والذي كان يفرق بين الدستوريون الجدد والقدماء هو المنهج وأسلوب العمل أكثر منه الإتجاه الفكري[7].

---

[1]-ابراهيم عبدالله، **شروق وغروب أو نافذة على تاريخ النضال الوطني**، ج1، مؤسسة سعيدان، تونس،(د ت)،ص34،35.

[2]-أعاد دفع قضية الاستقلال والتحرر من الاستعمار للتداول على سطح الأحداث فالمطالبة بحكومة وبرلمان و عدالة كلها كفيلة بأن تصنع تونس في مصاف المستعمرات المتحررة من قبضة الاستعمار و الحماية. أنظر علال الفاسي، المصدر السابق، ص ص73-75.

[3]-الحبيب تامر، المرجع السابق، ص74.

[4]-علال الفاسي، المصدر السابق، ص74.

[5]-تذرعت جماعة العمل المكونة من الحبيب بورقيبة ومحمود المطاري والبحري قيقة والبشير صفر بالاجتماع الذي تم بين المقيم العام وأعضاء اللجنة التنفيذية للحوار معهم حول الاصلاحات وطلب منهم عدم افشاء السر لكن البحري قيقة أخبر زملاؤه بالأمر فوجهت اللجنة التنفيذية اللوم له وفصلته فاعتبر زملاؤه هذا القرار جائرا وتكتلوا مع بعضهم وانتهى الأمر بانفصالهم عن الحزب. للمزيد أنظر إبراهيم عبدالله، المصدر السابق،ص56.

[6]-بلقاسم بن محمد بن جراد، **قابس عبر التاريخ**، المدرسة المرادية، تونس، 1999، ص249.

[7]-محمد الهادي الشريق، المصدر السابق، ص120.

ومن خلال ما تم عرضه فقد اتضحت ايديولوجية الحزب بعد تأسيسه سنة1920م والتي كانت متأثرة بتصريحات الفرنسيين أثناء الح ع I ووعودهم واعلان الرئيس الأمريكي ويلسن عن مبادئه14وتيار العاطفة الاسلامية الذي كان يجتاح المسلمين بعد الحرب والدعاية الشيوعية في روسيا، ولقد ارتكزت فلسفة النخبة على العودة إلى العمل بالدستور وربط السلطة الفرنسية بنصوص المعاهدات الفرنسية التونسية. وقد اتجه "الثعالبي" و"محمد باش حانبة" إلى ربط القضية التونسية بالعالم العربي الاسلامي للتعريف بها، وبعد اخفاق مبادئ ويلسن ارتكزت ايديولوجية النخبة التونسية على المطالبة بالدستور والعدول عن فكرة الاستقلال وقد وقع الثعالبي هنا بين تطرف "محمد باش حانبة" وبين اعتدال "حسن القلاتي" وبناءا على هذه النزاعات ظهرت ايديولوجية الحزب الدستوري الحر والتي اصطبغت بروح الثعالبي العربية الاسلامية[1].

وهكذا كانت الأفكار الاصلاحية والدستورية حجر الزاوية في ايديولوجية الحزب وكان النهج الاصلاحي أساس الفكر بالنسبة للحزب، كما أن الحرص على الحصول على دستور كان ثابتا لم يحد عنه الحزب ولا عجب أن ينهل الجيل الأول للحزب من ذلك النبع الاصلاحي لأن أغلبهم كانوا من الزيتونيين ولذا كانت أداة الكفاح لديهم تقوية الرابطة الاسلامية واحياء الهوية ومن هنا ركزوا على الحفاظ على الشخصية الوطنية التونسية لكونها الباعث الأساسي لمقاومة المحتل، وكان عندهم مفهوم الأمة يرتبط بالخلافة الكبرى إلى جانب المفهوم الوطني و الاقليمي[2].

يمكنا القول أن فكرة الاستقلال عند مصالي الحاج أقوى وأكثر وضوحا حيث كان يصرح بها علانا في مختلف الخطابات والاجتماعات والمؤتمرات التي شارك فيها بينما كانت أقل وضوحا عند الثعالبي وهذا بسبب مسايرته لرأي الأغلبية من النخبة التونسية حفاظا على وحدة الحزب حيث تم تعويضها بكلمة الدستور التي في الحقيقة كانت تهدف إلى العودة بالبلاد إلى ما قبل الحماية، وعليه فماهي أهم التطورات التي شهدتها فكرة الاستقلال عند الرجلين.

[1]-يوسف مناصرية، **دور النخبة الجزائرية**...، المرجع السابق، ص ص342-344.

[2]-محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص34،33.

المبحث الثالث: تجذر فكرة الاستقلال في البلدين

عرفت فكرة الاستقلال تطورا منذ مؤتمر بروكسل1927م وأخذت في النمو حتى بلغت أوجها في المؤتمر الاسلامي في الجزائر1936م، حيث كانت الجماهير مستعدة لتبنيها في حين أن فكرة الاستقلال في تونس كانت في أوج قوتها لدى الثعالبي سنة1920م لكنه لم يجد من يسانده في حمل لواء هذه الفكرة وتجذيرها فكان مضطرا لمسايرة الأغلبية، ولعل هذا ما دفعه للرحيل إلى المشرق من أجل أن يعبر عن آرائه بكل حرية.

1.في الجزائر

على اثر نجاح الجبهة الشعبية في الانتخابات عام1936م وتسلمها مقاليد الأمور بزعامة الاشتراكي "ليون بلوم" حاولت أن ترضي دعاة الادماج بتحقيق بعض الاصلاحات فعهدت الحكومة الفرنسية إلى موريس فيوليت الوالي السابق على الجزائر وعدد من الخبراء بأمر مشروع اصلاحي مناسب لمطالب فيوليت وعندما عرضت الحكومة بلوم هذا المشروع على البرلمان الفرنسي أصبح يحمل اسم مشروع "بلوم فيوليت" 30ديسمبر1936[1].ولدراسة هذا الأخير فقد انعقد المؤتمر الاسلامي الجزائري الذي ضم المنتخبون والعلماء والشيوعيون والاشتراكيون في7جوان1936م[2]، وخرج المؤتمر بجملة من المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية[3]، وحيث نقلها وفد عنه إلى باريس[4]، وعليه فإن كل المطالب التي جاء بها المؤتمر الاسلامي كانت بعيدة عن فكرة الاستقلال فما هو موقف مصالي الحاج منها؟

بعثت ادارة نجم شمال إفريقيا برقية من باريس إلى المؤتمر جاء فيها:" تحية أخوية للمؤتمر الاسلامي ومصادقة على مطالب المفيدة لتحسين حالة الشعب رفض كل اقتراح لمطالب لا تفيد إلا الأقلية كذلك كل ما يمكنه أن يمس القوانين الاسلامية[5]؛ عارض مصالي الحاج المطلبين الهامين وهما الحاق الجزائر بفرنسا والتمثيل في البرلمان الفرنسي بكل شدة وصلابة لأنهما خطر على مستقبل الجزائر[6] وهذا يتناقض مع مطالبه حيث كان يهدف إلى تحقيق الاستقلال التام عن فرنسا والتي تتنافى تماما مع مشروع فيوليت الذي يدعو أساسا إلى تجسيم فكرة الادماج والتي سيسعى هذا المؤتمر للتصديق عليها وتأكيدها وليس مناقشتها[7].

---

[1]- يحي بوعزيز، **الاتجاه اليميني**...، المرجع السابق، ص50،51.

[2]-فرحات عباس، المصدر السابق، ص153.

[3]-عبد الرحمان بن العقون ، المصدر السابق، ص22.

[4]-محمد الميلي، **المؤتمر الإسلامي الجزائري**، دار هومة،الجزائر،2006.ص488.

[5]-محفوظ قداش ومحمد قنانش، **نجم الشمال الافريقي**..، المرجع السابق،ص110.

[6]-بكاش العايش، المرجع السابق، ص460.

[7]-يحي بوعزيز، **الاتجاه اليميني**...، المرجع السابق، ص52.

كان مصالي الحاج يرى أن مشروع بلوم فيوليت قد درس بحنكة وبعمق وبدقة من قبل المختصين في الشؤون الاسلامية، حيث أن منح حقوق المواطنة الفرنسية لعشرين ألف من الأهالي الجزائريين يعد مناورة خطيرة وماكرة فأغلبية من اختيروا لنيل هذه الحقوق هم من البرجوازية التجارية وكبار ملاك الأراضي والمثقفين والمرابطين وتكمن خطورة المشروع وخبثه في أن هؤلاء العشرين ألف المختارون لنيل حقوق المواطنية الفرنسية قد يحملهم ذلك على الوقوف في وجه6ملايين أهلي جزائري والذين هم رعايا فرنسيين وليسوا مواطنين فرنسيين[1].

وكان يرى أنه يهدف إلى تحويل الجزائر إلى أرض فرنسية بواسطة20ألف جزائري كان يرى فيه أداة جديدة للاستعمار استعانت به فرنسا لتقسيم الشعب الجزائري وذلك بفصل النخبة عن الجماهير وبين أن الشعب الجزائري لن يقبل بمحوه وافناءه بواسطة الادماج فهو موحد بلغة واحدة ودين واحد وبعادات وتقاليد اسلامية واحدة ولن يبدل وطنيته وجنسيته ببطاقة انتخاب ويبقى كتلة واحدة مناضلا لانتزاع حريته[2].

وفي باريس ذهب وفد من النجم بقيادة مصالي الحاج لمقابلة وفد المؤتمر الاسلامي حيث شرح مصالي لابن باديس أن المطالب الدينية في اطار الادماج لا قيمة لها فأجابه ابن باديس بأنكم تتكلمون هنا في فرنسا بلد الحرية أما في الجزائر فلا يمكنكم أن تقولوا مثل هذا الكلام فرد عليه مصالي بأني سأكون إلى جانبكم في الجزائر وسأقول مثل هذا الكلام[3].

بعد رجوع لجنة المؤتمر إلى الجزائر أقامت تجمع كبير في الملعب البلدي في العاصمة 2أوت1936م ليقدموا نتيجة مهمتهم وكان معهم مصالي الحاج[4] وهنا كانت له الفرصة ليلتقي بالجماهير حيث سجل مصالي موقف النجم من المؤتمر وسجل نصرا كبيرا دشن به مرحلة جديدة من مراحل العمل الوطني في الجزائر ومهد الطريق لحزب الشعب خاصة بعد الخطاب الذي ألقاه بالمناسبة ووجد قبولا كبيرا لدى الشعب[5]إذ نادى بمطلب غير مألوف في الجزائر وهو المطالبة بالاستقلال معارضا بذلك فكرة الحاق الجزائر بفرنسا، حيث كان يرى وجوب السير بالجزائر في طريق الاستقلال وتأسيس مجلس أمة جزائري يشمل جميع

---

[1]-مصالي الحاج، المصدر السابق،ص ص240،239.

[2]-محمد قنانش ، **الحركة الاستقلالية**...، المصدر السابق،ص71.

[3]-محفوظ قداش ومحمد قنانش، المرجع السابق، ص114.

[4]-بكاش العايش، المرجع السابق، ص460.

[5]-عبد الحميد زوزو، **المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة: مؤسسات ومواثيق**، دار هومة، الجزائر،2009، ص21.

طبقات المجتمع وعناصره[1]؛ وكان خطاب مصالي حماسيا تعرض فيه إلى ما يعانيه الحزب من اضطهاد ومطاردة وذكر بأن مناضلي الحزب عاقدو العزم على مواصلة الكفاح مهما كانت التكاليف ثم قال على الجماهير الانضمام إلى النجم من أجل استقلال الجزائر ونهضتها. (أنظر الملحق رقم05)

كما أنه عبر عن الأهالي الجزائريين بكلمة الشعب لأنه يريد أن يعبر على أمة لها مقوماتها وتاريخها وماضيها وعادتها وتقاليدها، كما دعا إلى اجلاء القوات الفرنسية وتكوين جيش وطني ليضع حدا للتواجد العسكري الفرنسي فهذا يشكل ركنا أساسيا للدولة المستقلة ويعبر عن الوطنية اللامتسامحة والعنيفة التي تعود أساسا للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي نشأ فيها الجزائريين.

وأكد على الحرية والاستقلال وقد ربط هذا التحرر بالبعد الحضاري العربي الاسلامي حيث اعتبر الاسلام هو دين الحرية والتحرر وحسب "مصالي" فإن الشعب الذي لا يملك الأرض لم تبق له أية حياة وأي تاريخ كما دعا إلى بعث واحياء ماضي الجزائر العربية الاسلامية لأن العروبة والاسلام هما العنصران الأساسيان اللذان يشكلان الشخصية الجزائرية وهما أساس اتحاد الجزائريين[2].

لقد حول مصالي الحاج أنظار الجزائريين من الاعتدال إلى التطرف ومن الرضا بالقليل إلى المطالبة بالكثير ومن الدعوة إلى المساواة عن طريق الاندماج إلى نقد الاحتلال والدعوة إلى التحرر هي التي جعلت الناس يستقبلونه بحفاوة ويتحمسون له حتى حملوه على الأكتاف وهم يرددون عبارات "يعيش مصالي"، "يعيش الاستقلال يعيش الاسلام"[3].وعليه يمكنا القول أن مصالي قطف ثمار جهود المؤتمر الاسلامي.

وقد واصل النجم نشاطه مستغلا ذلك النجاح في أوساط الجماهير وقام بجولات في شرق الجزائر وغربها ورسخ فكرة الاستقلال لدى الجماهير وتم تأسيس سبعين شعبة وخلية لنجم شمال إفريقيا في الجزائر الذي انتشرت أفكاره ومبادئه وايديولوجيته الاستقلالية بسرعة[4]، وكان النجم قد تقدم بعريضة مطالب عاجلة إلى وزير الداخلية الفرنسي في20جوان1936م اثر تكوين حكومة بلوم واهتمت العريضة بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية والمالية والاصلاح الاداري[5]ولم يكن في هذه المطالب النص على الاستقلال الجزائر ولا إنشاء

---

[1]-مصطفى همشاوي، المرجع السابق، ص48.

[2]-يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص ص250،270.

[3]-محمد الطيب العلوي، المرجع السابق، ص174.

[4]-يحي بوعزيز، **سياسة التسلط**...، المرجع السابق، ص14.

[5]- يوسف مناصرية ، **الاتجاه الثوري** ....، المرجع السابق، ص98.

جيش وطني ودولة ولا سحب القوات الأجنبية، ولعل ذلك هو أن النجم كان واقعيا هذه المرة يخاطب جبهة الشعبية اشترك هو في تحالفها ويعرف مدى قوتها وضعفها فلم يطلب منها المستحيل واكتفى بالممكن وكان متأكدا أن الجبهة إذا منحته تلك المطالب فقد سهلت عليه الطريق للنقاط الأخرى[1].

لكن الحكومة الشعبية في فرنسا لم تستجب لمطالبه بعدما عرفت أن هدفه هو تحقيق الاستقلال وعملت إلى الحد من نشاطه تجنبا للخطر الذي سينجم عن ذلك خاصة بعد تسرب نشاطه في الجزائر وأصدرت قرار بحله في26جانفي1937م، ووجهت له عدة تهم منها تعامله مع النازية والفاشية، وكذب مصالي هذه الادعاءات وأكد أن النجم يريد التعاون بين الشعبين الجزائري والفرنسي ولكن هذا التعاون يجب أن يقوم على استقلال الجزائر[2].

يمكن القول أن فكرة الاستقلال لم تدخل أرض الجزائر وتستقر بها إلا بعد المؤتمر الاسلامي، إذ تأسس حزب الشعب الجزائري في11مارس1937م الذي تأسس في نانتير بفرنسا ثم نقل مقره إلى الجزائر[3] أما عن العوامل التي حالت دون انشاؤه بالجزائر منذ البداية باعتباره أول تنظيم يطالب بالاستقلال الوطني يمكن تفسيره بقوة الحركة الاصلاحية من جهة وضعف صدى شعار الاستقلال لدى الشعب الجزائري، كما أن هذه الحركة قد واجهت مصاعب داخلية فضلا عما كان يتعرض له قادتها من قمع واعتقال[4].

ونظرا للأوضاع السياسية الجديدة سواء منها العالمية أو المغاربية أو الوطنية التي أصبحت تستدعي تقسيما جديدا وخطة تناسب الوضع الجديد وتفهما لمعطيات السياسة العالمية لأن نجاح الجبهة الشعبية قد غير مفهوم الكلمات والشعارات فأصبحت كلمة الوطنية معناها النازية وكلمة الاستقلال معناها الارتماء في أحضان الفاشية والانفصال عن فرنسا معناه الدخول مع الألمان والطليان[5] ولهذا فإن العبارة التي حددت برنامج النجم جاءت كما يلي: لا اندماج لا انفصال ولكن تحرر وأعلن الحزب انه يهدف إلى تحسين الحالة المعنوية والمالية للجزائريين ويعمل على تمكين جميع السكان دون تمييز عرقي أو ديني من الاستفادة بنفس الحقوق والواجبات، وهذا الموقف كان مجرد تكتيك تماشيا مع الظروف السائدة[6].

---

[1]-أبو قاسم سعدالله، **الحركة الوطنية**...،ج3، المرجع السابق، ص137.

[2]- عباس محمد، **نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية 1954-1962**، دار القصبة، الجزائر،2007، ص35.

[3]-عبد النور خيثر وآخرون، المرجع السابق، ص345.

[4]-أحمد مهساس، المصدر السابق، ص119.

[5]-محمد قنانش ، **الحركة الاستقلالية**...، المصدر السابق، ص86.

[6]-أحمد مهساس، المصدر السابق، ص132.

وفي17أوت1937م صرح "مصالي الحاج" لجريدة العدل بأن:" برنامجنا يحتوي على مطالب عاجلة وأخرى آجلة ثم استمر يقول أن الشعب الجزائري المسلم يمتاز بلغته الخاصة وبدينه وماضيه المجيد...وقال أن الاستقلال ليس هو أمر طبيعي فقط راسخ في قلب كل مسلم جزائري وإنما هو حق لنا...وهدفي هو أن يستمتع الشعب الجزائري بفضل علمه وثقافته بثروات أرضه وأن يستعيد حريته نهائيا..."[1].

وأثناء محاكمته خلال نوفمبر1937م أعلن أن الهدف الأساسي هو احلال برنامج جزائري محل مجلس الوفود المالية وقال بأن حزبه يعمل على تحقيق الاستقلال بمساعدة فرنسا[2]؛ ورغم أن مصالي أراد أن يفلت من قبضة المحكمة فتظاهر بالتنازل عن مطالبة بالاستقلال الجزائر ورغم الاحتجاجات التي قدمتها الأحزاب الوطنية الأخرى فإن المحكمة حكمت عليه بالسجن لمدة سنتين. لقد أراد حزب الشعب تحقيق الاستقلال التام للجزائر وبناء أسس دولة جزائرية تكون مرتبطة بماضيها الحضاري العربي الاسلامي يحترم فيها الاسلام دينا والعربية لغة وتسود فيها العدالة الاجتماعية[3].

يمكن القول أن فكرة الاستقلال في الجزائر قد ترسخت لدى الجزائريين مع وصول مصالي الحاج إلى الجزائر والقاءه خطابه الشهير في2أوت1936م وأصبحت أكثر وضوحا مع حزب الشعب الجزائري، وإن حاول مصالي التظاهر بالتنازل عنها في برنامج حزب الشعب الذي كان عبارة عن تكتيك اقتضته الظروف داخل الجزائر وخارجها.

2. في تونس

لئن كانت فكرة الاستقلال في الجزائر قد وجدت استمرارا وتطورا تصاعديا منذ ظهورها، فإن هذا يعود إلى أن الحزب الاستقلالي كان يتمتع بقائد قوي استطاع الحفاظ على وحدته كما تمكن من تطوير فكرة الاستقلال في حين أن هذه الفكرة في تونس شهدت تطورا متذبذبا وذلك بسبب الاختلاف في الوسائل وطرق النضال التي تؤدي إلى الاستقلال خاصة في ظل غياب الثعالبي عن البلاد وهو الذي كان يحمل هذه الفكرة فماهي التطورات التي عرفتها فكرة الاستقلال في غيابه؟

سبق وإن ذكرنا أنه على اثر مؤتمر قصر الهلال2مارس1934م استقلت جماعة العمل التونسي نهائيا من اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم وأعلنت عن تأسيس حزب جديد هو حزب الحر الدستوري الجديد التي عملت على اقحام القوى الشعبية في العمل السياسي المباشر، وبالتالي فهي تختلف عن الجماعة

---

[1]- يوسف مناصرية ، **الاتجاه الثوري** ....، المرجع السابق، ص114.

[2]-أبو قاسم سعدالله، **الحركة الوطنية**...،ج3، المرجع السابق، ص145.

[3]- يوسف مناصرية ، **الاتجاه الثوري** ....، المرجع السابق، ص115.

السابقة التي كانت تتوخى الحذر[1]. ونتيجة لنشاط هؤلاء الشبان فقد تم نفي بعضهم إلى الجنوب التونسي وهذا ما أدى إلى ظهور العديد من المظاهرات والاحتجاجات[2].كما تمكن الشباب الطلابي التونسي بفرنسا من نسج علاقات وطيدة مع الزعيم "شكيب أرسلان"، ولئن تعرف هذا الأخير منذ بداية الحرب العالمية الأولى على بعض الشخصيات التونسية مثل "صالح الشريف" و"اسماعيل الصفايحي "و"الثعالبي" و"محمد باش حانبة" فقد توطدت علاقته مع جيل الثلاثينات[3].

ولم تكن تونس أقل انخداعا بالجبهة الشعبية من الجزائر خصوصا بعدما كان الاشتراكيون الفرنسيون وعلى رأسهم ليون بلوم قد غيروا المقيم العام "بيرتون بأرمان قيون" الذي أبدى رغبته في تحسين حالة الأهلي واتباع سياسة تحريرية تهيء التونسيين لمستقبل أحسن[4]. وقد علق الحزب الجديد آماله على الحكومة الجديدة وحدد جملة من المطالب في10جوان1936م اتسمت بالاعتدال معتمدا على مبدأ احترام معاهدة باردو1881م التي تقر السيادة التونسية، بينما كان الدستور القديم يرى أن نظرة الاستعمار تظل واحدة لمستعمراته وندد بسياسة المقيم العام "أرمان قيون" ووكيل الخارجية الفرنسية "بيار فيانو" ونظر الحزب للإجراءات التي اتخذها الفرنسيون غير كافية لتحقيق مطالب التونسيين زيادة على كونها دون المستوى المطلوب، وفي ظل هذه الظروف عاد الثعالبي من المهجر إلى تونس[5].

وكان الشعب التونسي ينتظر عودة الشيخ الثعالبي المدافع الأمين عن حرية الشعب التونسي والشعوب الاسلامية والمؤسس لأول حركة سياسية كفاحية منظمة والمجاهد العبقري بقلمه السيال وأسلوبه البليغ وهجماته اللاذعة على الأعداء ضمن كتابه الشهير تونس الشهيدة. وكان ينتظر منه الناس أن يجمع شتات الشعب التونسي ويوحده على اختلاف النزاعات و التيارات و الطبقات و الميول[6].

وقد سعى إلى توحيد الحركة تحت رايته حيث تكونت لجنة في هذا الغرض يوم3أوت1937م إلا أن الديوان السياسي والشعب الدستورية الموالية رفضت ذلك نظرا لتباين المواقف بين قيادتي الحزبين، فقد كان

[1]-خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص103.

[2]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص150.

[3]-خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص106.

[4]-علال الفاسي، المصدر السابق، ص 79

[5]-محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص103.

[6]-ابراهيم عبد الله ، المصدر السابق، ص164.

للديوان السياسي تصور براغماتي وخطة عمل للوصول إلى هدف الاستقلال[1]، وللإشارة فإن الدستوريون الجدد قد تبنوا نفس نهج الثعالبي في البداية وأعلن هذا الحزب أن الخطة التي قررها مؤتمر نهج الجبل 1933م هي التي ستظل أساس سياسته لكن نظرا للظروف الصعبة فإن المناضلين غيروا هذه السياسة واتبعوا سياسة المراحل[2] في حين ظلت اللجنة التنفيذية متشبثة بالمطالبة بالاستقلال التام والدفاع عن الهوية العربية الاسلامية[3].

أما القيادة الجديدة كانت تستند إلى تكتيك مرن يتماشى مع العصر ويسمح لها بالوصول إلى أهدافها وحسب امكانياتها وطبيعة تكوينها[4] لأن الاختلاف في الطرق ينجم عن اختلاف في التصور وفي منهجية العمل إضافة إلى النظر للمبادئ التي يناضل من أجلها الدستوريون كانت سببا في التنافر بين الطرفين فالقدامى كانوا أكثر التزاما بمبادئ الهوية والشخصية وعلى رأسها الدين والبعد القومي باعتبارهم من ذوي الثقافة العربية الاسلامية[5]، بينما كانت الجماعة الجديدة غربية الثقافة ويسارية المنهج فلم تتفق مع بقية أعضاء اللجنة التنفيذية فالحبيب بورقيبة أثرت فيه تجربة باريس بشدة وبنت لديه رؤية سياسية جديدة تحولت لاحقا إلى منهج عمل اعجابا بحضارة فرنسا وثقافتها وديمقراطيتها وهو في هذا لا يختلف عن فرحات عباس في الجزائر[6].

ولم يكن نضال الحبيب بورقيبة مبنيا على مفهوم مبدأ الاستقلال حسب نظرة الحزب القديم معتبرا أن سياسة الكل أو لا شيء سياسة غير معقولة في نظره ويرى أن مفهوم الاستقلال خاضع بلا شك إلى شروط تتمثل في العمل على توثيق الروابط مع فرنسا ولابد أن يكون الاستقلال حسب رأيه بموافقة فرنسا[7].

لقد كان لخروج الثعالبي دور في ظهور العديد من الشخصيات التي كانت تطمح لتتبوأ مكانة قيادية في الحزب، ولقد تشابكت الكثير من العوامل لتكون سببا في الانقسام الحزب[8]ورغم محاولات الثعالبي من أجل

---

[1]-أحمد طرفاوي ، المرجع السابق، ص 134.

[2]-علال الفاسي، ، المصدر السابق، ص80.

[3]-خليفة شاطر وآخرون ، المرجع السابق، ص106.

[4]-يحي جلال، المرجع السابق، ص707.

[5]-محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص94.

[6]-عز الدين معزة، المرجع السابق، ص171.

[7]-نفسه، ص171.

[8]- محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص138.

توحيد جناحي الحزب انتهى الأمر لصالح الحزب الجديد الذي حال دون عقد الثعالبي لاجتماعات داخل البلاد وبلغ الأمر إلى محاولة اغتياله[1].

– خطاب الثعالبي بعد عودته من المشرق 1937م(أنظر الملحق رقم06)

بعد غياب دام15سنة قرر الثعالبي العودة إلى تونس وكان قد غادرها يوم 26 جويلية 1923م ورجع إليها يوم8جويلية1937م وكان السبب الرئيسي لمغادرته لتونس هو خذلان "الباي محمد الحبيب" له بعد أن كان يصادقه ويؤازره، إذ جاء الثعالبي إلى الباي بعد انتصابه على العرش يذكره بوعوده في اعانة الوطنيين على نيل مطالبهم فأجابه:" إذا أردت أن تدخل لدى المقيم العام ليعطيك قيادة أو منصبا ساميا فيا حبذا وإلا فالزم مكانك"[2]، وقد أدى ذلك إلى خلاف شديد بين الثعالبي و الباي مما حتم على الحزب أن يقرر سفر الثعالبي للمشرق حفاظا على قضية التونسيين[3].إضافة إلى تخاذل بعض أعضاء اللجنة التنفيذية واختيارهم المناصب على النضال إضافة إلى سياسة "سان لوسيان" الزجرية[4]، ولم تكن هذه الحملات التي نالت من الثعالبي بعيدة عن الادارة الفرنسية بل كانت من فعلها فأثقل الجو على الثعالبي وأحس للمرة الأولى باليأس عندما اقنعه رفاقه أن بقائه في تونس قد يضر بالقضية التونسية والتونسيين، فغادر البلاد متحملا مشاق الغربة والمنفى في26جويلية 1923م[5].

لقد خرج الثعالبي من تونس وفكرة الاستقلال تعد في عرف الذين هناك فكرة منكرة مستنكرة وربما كان الثعالبي يومئذ يلتفت حوله للبحث عن حزب يؤيده ويناصره في دعواه فلا يجد إلا قليلا، أما بعد عودته فقد وجد الحياة المعنوية في تونس قد ارتقت إلى درجت وجود نقابات يرفع صوتها بالاحتجاجات في وجه السلطات، وهذا التطور الزمني من شأنه أن يحفز الزعيم التونسي للكفاح من جديد فمن ناضل وخيوط الأمل متقطعة جدير به أن يناضل وخيوط الأمل مرفوعة[6].

والواضح أن وعي الجماهير الشعبية أصبح أكثر نضجا مما تركه الثعالبي، وهذا ما رافق الاحتفال بعودته من خلال التجمعات الجماهيرية الكبيرة التي حشدت للترحيب بهذا القائد السابق لأول حزب في تونس

---

[1]– خليفة شاطر وآخرون ، المرجع السابق، ص109.

[2]–أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص139.

[3]– علال الفاسي، المصدر السابق، ص67.

[4]– محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص161.

[5]–عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص20.

[6]–صالح خرفي ، المرجع السابق، ص312.

تدل على أن الشعب قد أصبح ناضجا سياسيا يعي جيدا دور هذا الرجل الذي خدم تونس طيلة حياته، وكان أن ألقى خطابا بليغا أمام هذا الشعب[1].

بدأ الثعالبي خطابه بتذكير الشعب التونسي بمآثر ومفاخر الأجداد الفاتحين الذين نشروا فكرة الوحدة والحرية والسلام، وهذا من أجل أن يوقظ فيهم الشعور بالعظمة ويذكرهم بإنجازات أسلافهم من أجل استعادة بلادهم وتحريرها من براثن الاحتلال الغاشم؛ وذكّر الشعب بطبيعة السياسة الاستعمارية في البلاد وما تهدف إليه من القضاء على الشخصية العربية الاسلامية، وذلك من خلال ابعاد الشعب عن أصله ومسح تاريخه وماضيه التليد وذلك عن طريق المدارس الفرنسية التي تهدف إلى فرنسة الشعب التونسي وجعله تابعا لفرنسا يخدم مصالحها وتنسيه أصله وأمجاد أسلافه.

لهذا فإنه دعا الشعب التونسي للنهضة وتحرير بلاده واستعادة كرامته و مكانة تونس بين الأمم ورفع رأس القومية التونسية ووحدة شمال إفريقيا. وبين أنه لا فرق بين الشعب التونسي وغيره من الشعوب ولا تنقصه سوى الارادة لهذا دعا الشعب التونسي إلى التحلي بالإرادة لاستعادة كرامته وبلاده. وانتهى خطابه بعبارة عاشت الأمة التونسية عاش الاستقلال[2]؛إن خطاب الثعالبي كان يوقظ همم الشباب ويحثهم للسير على منهج الأسلاف، لأن التاريخ يعتبر مطية للمستقبل ومن عبره المتجددة يمكن بناءه[3]

يمكن القول أن فكرة الاستقلال كانت تخضع لظروف التي تعيشها تونس داخليا وخارجيا، وبالتالي فهي تظهر وتختفي حسب هذه الظروف، وعموما فإن فكرة الاستقلال التام في تونس اختفت لدى زعماء الحزب الدستوري الجديد الذي كان يميل إلى سياسة المراحل.

وعموما فقد توجت سنة1937م بعودة زعيمين سياسين من المهجر إلى وطنهما حيث استقبلا بحفاوة كبيرة وقد ركز كل من عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج على ضرورة تحرير البلدين من الهيمنة الفرنسية وأكدا على الانتماء العربي الاسلامي للبلدين. وعملا على ربط مستقبل بلديهما بالماضي التليد باعتبار أن التاريخ أساس بناء المجتمعات؛ وفي الوقت الذي كان مصالي الحاج يتزعم الساحة في الجزائر بلا منازع فإن الثعالبي وجد الساحة السياسية شاغرة حيث سيطر عليها الحبيب بورقيبة. وهنا يلاحظ أن فكرة الاستقلال قد سلكت طريقين متعاكسين في كلا البلدين فبينما كان البعض يؤمن بفكرة الاستقلال التام فالبعض الآخر كان يؤمن بفكرة سياسة المراحل لحل قضية البلدين.

---

[1]-صالح خرفي ، المرجع السابق، ص312.

[2]- أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص ص 155-157.

[3]-صالح خرفي ، المرجع السابق، ص296.

المبحث الرابع: الموقف من فكرة الاستقلال في البلدين

منذ أن ظهرت فكرة الاستقلال في البلدين والتي كانت تعني الانفصال التام عن البلد المستعمر فإن هذه الفكرة قد وجدت رواجا في الأوساط الشعبية في البلدين، حيث عملت على الانخراط في الحركات الاستقلالية، وهذا ما أزعج السلطات الاستعمارية التي عمدت على القضاء على نشاط هذه الحركات سعيا منها لقتل فكرة الاستقلال.

1. في الجزائر

أ. موقف السلطات الاستعمارية

كانت الصيحة المدوية الرهيبة التي لم يكن الاستعمار ينتظرها أو يقرأ لها حسابا هي صيحة الاستقلال الوطني ،في ساعة ظن خلالها الكثير من الناس أن سلطان الظلم والطغيان قد وطد أقدامه بصفة مطلقة فوق أرض الوطن فإذا به يشعر لأول مرة أنه إنما وطد أقدامه فوق منبسط من رمال متحركة[1].

منذ أن أدركت الادارة الاستعمارية خطورة نشاط "الأمير خالد" وبدعم من صحافة الكولون لم تكن فرنسا تنظر بعين الرضا لما حققه "الأمير خالد" فقامت بكيل الاتهامات له[2] فاتهم بأنه زعيم ديني يحرض المسلمين ضد الأوربيين، كما شنت الصحافة الأوربية في الجزائر ضده حملة قوية واعتبرته زعيما للحركة المناهضة للسيادة الفرنسية بالجزائر[3]،ووصف نشاطه بأنه مناورة معادية لفرنسا[4].

وهذا ما جعل موقفه يصبح أكثر راديكالية فنقل نشاطه إلى فرنسا إلا أنه اصطدم بالموافق ذاتها لدى اليساريين الذين وصلوا إلى سدة الحكم سنة1924م، حيث حكم عليه بالسجن لمدة 6أشهر ولم يسمح له بدخول الجزائر حتى توفي بدمشق في سنة1936م[5]،أما جريدة "الأمير خالد"(1920-1923م) نظرا لموقفها من المعمرين والخونة وروحها الوطنية فتعرضت للاضطهاد مثل صاحبها، ونتيجة للغرامة المالية الثقيلة توقفت عن الصدور في مارس1923م[6].

---

[1]-أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح** ....،ج2، المصدر السابق، ص196.

[2]-عبد النور خيثر وآخرون ، المرجع السابق،ص 246.

[3]-عمار بحوش ،المرجع السابق ، ص222.

[4]-محفوظ قداش ، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص42.

[5]- أبو قاسم سعدالله، **الحركة الوطنية**..،ج2، المرجع السابق، ص 390.

[6]- ناصر محمد، **الصحف العربية الجزائرية: 1847-1939**، دار البصائر، الجزائر،2008.ص50.

ولأن نجم شمال إفريقيا حمل لواء فكرة الاستقلال بعد "الأمير خالد" فإن السلطات الفرنسية كانت له بالمرصاد حيث حاربته واضطهدت زعيمه "مصالي الحاج" ومنعت جريدته من الصدور وعمدت المحكمة الجنائية لمقاطعة "السين" بباريس إلى حله بدعوى أنه يعمل على اثارة الأهالي ضد السيادة الفرنسية من أجل استقلال الشمال الافريقي[1]. ويعود السبب إلى أنه كان جريئا في مطالبه مقارنة بالمطالب الاندماجية والدعاية الامبريالية ثم أن السلطات الفرنسية ما لبثت أن عرفت مدى خطورته على الوجود الفرنسي في الجزائر لهذا تم حله سنة1929م لأن الاحتلال كان يهدف إلى ابعاد الجماهير الشعبية عن أي حركة تجعلها تتحرك عشية الاحتفالات بالذكرى المئوية[2].

ويرجع حله إلى الضغط الذي قامت به فيديرالية رؤساء البلديات في الجزائر ونواب الكولون في فرنسا إذ أن المعمرين كانوا يرفضون أدنى الاصلاحات فكيف بهم أن يقبلوا بمن ينادي باستقلال الجزائر[3]،ونظرا لازدياد نشاط "مصالي الحاج" ورفاقه فقد تم القاء القبض عليهم بدعوى تكوين جمعية منحلة وممارسة سياسة معادية لفرنسا[4].

واثر مشاركته في التنديد باحتلال الحبشة من طرف ايطاليا ودافع عن قضايا شمال افريقيا أمام عصبة الأمم، وفي جنيف شارك "مصالي الحاج" في مؤتمر مسلمي أوربا الذي دعا إليه وتزعمه "شكيب أرسلان" في12-17سبتمبر1935م في تلك الأثناء أصدرت المحاكم الفرنسية أحكاما بالسجن في حق قيادة النجم[5]، حيث اتهم مصالي بعدة تهم تراوحت من الاخلال بالأمن العام إلى الإساءة بالسلطات والمساس بالسيادة الفرنسية والقاء الخطب التحريضية وعدم الامتثال للقوانين الفرنسية[6].

وفي27 أوت1937م جرى توقيف مصالي عشية جولة كان ينظمها له "حسين لحول" بمنطقة المدية وبدأت من جديد تجربة السجن والنفي والتشريد[7] وحكم عليه بالسجن سنتين وحرم من حقوقه المدنية والوطنية والسياسية[8] وأودع مع رفاقه في سجن بربروس في الجزائر وأعلن الاضراب عن الطعام في أكتوبر

---

[1]- أبو قاسم سعدالله، **الحركة الوطنية**..،ج2، المرجع السابق، ص 382.

[2]-أحمد مهساس ، المصدر السابق، ص85.

[3]- أبو قاسم سعدالله، **الحركة الوطنية**..،ج2، المرجع السابق، ص 405.

[4]- أحمد مهساس ، المصدر السابق، ص86.

[5]-علال الفاسي، المصدر السابق، ص14.

[6]- عبد النور خيثر وآخرون ، المرجع السابق،ص252.

[7]-جلورجي الراسي، المرجع السابق، ص144.

[8]-شارل أندري جوليان، **افريقيا الشمالية تسير**...، المصدر السابق، 143.

1937م لكي يتم تحويله مع رفاقه إلى نظام سجناء السياسيين، للحصول على حقوقه السياسية كان معه "مفدي زكريا" و"خليفة بن عمار" و"حسين لحول"[1].

يقول أحمد توفيق المدني:" ذاق مصالي عذاب السجن والتغريب مرارا وكان كل مرة يخرج فيها من سجنه يعود إلى دعوته وإلى قيادة حزبه بصفة أشد وبعبارة أقوى وبدعاية أمتن...، وعاد إلى العمل في الجزائر بقوة وعزم وثبات وانتشرت دعوته في القطر الجزائري بحيث هيمن على الحياة السياسية بصفة تكاد تكون مطلقة"[2].

وهكذا فإن السلطات الاستعمارية لم يكن لها أن ترتاح وفكرة الاستقلال تنتشر في أوساط الجماهير الشعبية في الجزائر، لأن هذه الفكرة تتنافى مع متطلبات الاستعمار الاستيطاني في الجزائر التي تهدف إلى البقاء إلى الأبد وعمدت على جعلها جزء لا يتجزأ منها، بينما كان مصالي الحاج ينادي بالانفصال التام عن فرنسا.

ب.موقف الجزائريين من فكرة الاستقلال

كان "الأمير خالد" بالنسبة للرأي العام المسلم يعتبر بطلا فقد كانت لهجته الجريئة وتعريضه العنيف بالنظام الاستعماري سبب في التفاف الجماهير حوله[3] والدليل على ذلك انتخابات سنة1919م التي انتصر فيها انتصارا ساحقا، حيث صوت الأهالي بكثافة لصالحه وأصبح البطل الوحيد في عالم الأهالي[4] حيث كان يندد باللامساواة في كل مظاهرها ويحث الجزائريين على التمسك بالإسلام وينتقد بشدة المتجنسين من الجزائريين[5].وما زاد من شعبيته هو انتصاره في انتخابات1920م التي تعتبر انتصارا لجزائر جديدة رافضة للإدماج وتطالب بالحرية بأوسع معانيها، حيث كان يهدف من خلال وظيفة منتخب إلى الدفاع عن مصالح المسلمين ومطالبهم ونتيجة لمواقفه المناوئة للاحتلال تم نفيه، وقد ذكرت جريدة التقدم أن "الأمير خالد" كان رمز التحرر الذي يحرك سكان الأهالي في الجزائر وتونس، حيث ظل يكافح دون هوادة لمحاولة تحطيم نير الذل و الإهانة الذي ينهك عاتق شعبه فكان مصيره المنفى[6].

---

[1]-Mohamed guneneche et Mahfoud Kaddache،**Le parti du peuple Alérien1937-1939: document et témoignages pour savoir à l'étude du nationalisme Algérien**، office des publications universitaires، Alger ،SD،p205.

[2]- أحمد توفيق المدني، **حياة كفاح** ....،ج2، المصدر السابق، ص204،205.

[3]-محفوظ قداش ، **الأمير خالد**..، المرجع السابق، ص35.

[4]-بسام العسلي، المرجع السابق، ص117.

[5]-أحمد مهساس ، المصدر السابق ،ص50.

[6]-نقلا عن محفوظ قداش، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص ص133،145.

بعد نفي "الأمير خالد" لعب دور المحرك في أوساط العمال المغاربة في باريس ولما لمس فيهم الشعور الوطني والاستعداد للعمل وروح التضامن شجعهم على تأسيس هيئة تجمع شمل العمال المغاربة[1]وكان أوائل المنخرطين في نجم شمال إفريقيا عمال جزائريون مثل "بلغول" و"حاج علي عبد القادر"و"مصالي الحاج" و"سي جفال" وقد استعملوا في البداية سمعة "الأمير خالد" التي كانت تمثل الوطنية الجزائرية[2].

وقد حاول مؤسسو النجم منذ تأسيس حزبهم الاتصال بالعمال المغاربة ومطالبتهم بالانضمام إليهم غير أن المراكشيين لم يكونوا يريدون الانضمام إلى الجمعية دون رضى السلطان المغربي، أما الدستورين في تونس ومنهم"محي الدين القليبي"فقد كانوا يعتقدون أن جمعية النجم شيوعية ومع ذلك فقد كان أول رئيس لها هو التونسي"الشاذلي خير الله" من حزب الدستور الذي أسسه "الثعالبي"[3] الذي هو الآخر فتح أبواب حزبه للمغاربة حيث كان كثير من أعضائه من الجزائريين[4].

وكان نشاط النجم منتشرا في منطقة باريس، خاصة وأنشأت الكثير من القسمات في كل المدن والضواحي وكان عدد المنخرطين يزداد[5] وهذا لأن الطرح الذي تبناه مصالي هو طرح شعبي ثوري، فهو بقدر ما كان يعتمد على الحركة العمالية كقاعدة ويعمل على تأطيرها وتوظيفها في اطار الثوري الشعبي بقدر ما كان ينادي بالبعد الجهادي الحضاري من جهة مع العمل على اعطائها بعدا دينيا من جهة أخرى وهذا ما نجده راسخا في اعتقاد الثعالبي قبله، وكانت فكرة الاستقلال تتطلب ايديولوجية ثورية وقد وجد في العمال الدعم حيث كانوا يشكلون القوى الراديكالية بسبب معانتهم[6] من الاغتراب السياسي والاجتماعي والثقافي الناتج عن السياسة الفرنسية الاستيطانية في الجزائر[7].

وقد اعتمد مناضلو النجم لنشر أفكارهم على الصحف والمناشير والمراسلات، حيث كانت وسيلة للدعاية والتعريف، كما كانت وسيلة لجمع العمال[8]وبعد انتشار الأفكار الاستقلالية في فرنسا فإن قادة النجم عملوا على نشر أفكارهم في الجزائر وقد كانت شعاراتهم تعكس مشاعر الجماهير الشعبية التي كانت

---

[1]-عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي**...، المرجع السابق، ص55.

[2]-محفوظ قداش ، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص260.

[3]-محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص350.

[4]-نفسه، ص218.

[5]-محفوظ قداش ، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص264.

[6]-يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص204.

[7]-محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص340. أنظر أيضا أبو قاسم سعدالله، **الحركة الوطنية**...،ج3، المرجع السابق، ص121.

[8]-عبد الحميد زوزو، **الدور السياسي**...، المرجع السابق، ص108.

تعاني من الاضطهاد الاستعماري حيث كان الاستقلال يعني بالنسبة للفلاحين الذين انتزعت أراضهم استعادتها وقد انخرط في صفوفه أفراد من مختلف المستويات الاجتماعية والثقافية[1]، وقد استطاع مصالي الحاج أن يكسب عطف الشعب الجزائري من خلال مطالبته بالاستقلال وهو ما جذب إليه الشعب الجزائري[2] الذي كان يعاني من تعسف الادارة ويحلم بمن يخلصه من هذا الكابوس فقد عمل رجال هذا الحزب على تأطير هؤلاء المنخرطين في حركته ولعل هذه الشعبية هي التي شجعت "مصالي الحاج" على قرار مشاركة حزبه في الانتخابات البلدية التي جرت سنة1937م ،ورغم أنه لم يفز في هذه الانتخابات إلا أن الأصوات التي أحرز عليها تدل على مدى تغلغل أفكاره في الأوساط الجزائرية، وقد شجعه ذلك على توسيع هذه الشعبية بالخطب والمهرجانات والمشاركة في المظاهرات[3].

وقد انشغل حزب الشعب بتجنيد الجزائريين حيث أوضحت جريدة "الأمة" طبيعة هذا الحزب كما يلي:" منظمة مكونة حصريا من الجزائريين وليس من أهالي جزائريين بصفة عامة بل من العمال الذين يشكلون أغلبية المنخرطين ومن الشرائح البسيطة للبرجوازية المتوسطة، وقد كانت سياسته تعكس تركيبته الاجتماعية و تعبر عن تطلعات الجماهير"[4].

2. في تونس

أ. موقف السلطات الاستعمارية

مع مطلع القرن20م كانت فكرة الاستقلال تعرف انتشارا في تونس اثر نشاط "الثعالبي" السياسي في باريس ولذلك سلطت عليه السطات الاستعمارية المتابعة والمحاكمة بدعوى التآمر على أن الدولة الفرنسية بسبب آرائه الصريحة في كتابه "تونس الشهيدة" الذي فضح فيه جرائم فرنسا في تونس[5].

وقد فتش منزل "الثعالبي" و"صالح بن يحي "ومحمد الرياحي وغيرهم، وسجلت عليهم تهم منها اثارت البغضاء والتطاحن بين الأجناس المتعايشة في تونس وكان الهدف من هذا التفتيش هو وضع حد لنشاط الدستورين خاصة "الثعالبي" الذي كانت مواقفه وعلاقاته تسبب تخوفات حادة لسلطة الحماية وتم العثور على نسخة من كتاب "تونس الشهيدة" في بيته وبعض المراسلات مع الدستوريين حيث اعتبرتها سلطات

---

[1]- محفوظ قداش ، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص553.

[2]- يوسف مناصرية، **الاتجاه الثوري**...، المرجع السابق، ص114.

[3]- عبد النور خيثر، المرجع السابق، ص147.

[4]- محفوظ قداش ، **تاريخ الحركة الوطنية**...، المرجع السابق، ص714.

[5]-عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص18.

الحماية برهانا على وجود مؤامرات تهدف في مجملها إلى تغيير شكل الحكومة التونسية[1].وتم القاء القبض على الثعالبي بتاريخ 22جويلية1920م بباريس بأمر من رئيس المجلس الحربي بتونس وزجت به في السجن العسكري22أوت1920م بتهمة المس بأمن الدولة[2]، وبعد ذلك تم التضييق على "صالح بن يحي" و"محمد الرياحي" وتم سجنهما في نفس السنة، كما أبعدت "المدني" و"إبراهيم اطفيش" وغيرهما[3]، وكانت سلطات الحماية تعتبر "محي الدين القليبي" من أخطر عناصر الدستور على الحكومة وسلطات الحماية ووجهت له تهمة تحريض على العداء لفرنسا لأنه كان يندد بالاستعمار. كما تعرض "أحمد الصافي" لنفس التهم[4].

ولما شعرت فرنسا بخطر تعاظم الحركة وتمت تعيين سان لوسيان مقيم عام في تونس وقد عرف بالدهاء والمكر[5] حيث أدخل مجموعة من الاصلاحات كانت سببا في انقسام الحزب الدستوري، حيث أسس "حسن القلاتي" الحزب الاصلاحي واعتبر "سان لوسيان" هذا الانقسام نجاح شخصي له[6].

وفي سنة1923م سلط ضغطا شديدا على "الباي محمد الناصر" بسبب وقوفه إلى جانب الحزب الدستوري[7]وحوصر قصره بالجيش فتظاهر الشعب واحتج على ذلك مما اضطر المقيم العام بفك الحصار عليه ووعده بتنفيذ مطالبه بعد زيارة الرئيس الفرنسي "ميليراند"[8] لتونس إلا أن "سان لوسيان" أخلف بوعده وعاد بالقمع من جديد فصادر الحريات العامة و فرض جوا من الرعب والارهاب وعطل الصحف وأغلق النوادي والجمعيات وبعد موت الباي نفي الثعالبي إلى الخارج فعاش متنقلا في بلاد المشرق[9]. وفي12أكتوبر 1924م تمكن "محمد علي الحامي" من تكوين الحركة النقابية في تونس ونتيجة لنشاطاته التي كانت تزعج المعمرين فإن السلطات في تونس قامت بسجنه؛ وفي سنة1925م نصبت الحماية في تونس تمثال للكردينال "لا فيجري"، فنظم زعماء الدستور مظاهر كبرى انتهت بإبعاد العديد منهم وحكم على

---

[1]-يوسف مناصرية، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص ص204-208.

[2]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص507.

[3]-صالح خرفي، المرجع السابق، ص329.

[4]-محمد السعيد عقيب ، المرجع السابق، ص49-50.

[5]-محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص117.

[6]-شارل أندري جوليان ، **افريقيا الشمالية**...، المصدر السابق، ص96.

[7]-الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص59.

[8]-رجل سياسي فرنسي من مواليد1859-1943م اشتراكي عمل وزير للحربية 1914-1915م ثم أصبح رئيسا للجمهورية الفرنسية 1920-1924م. للمزيد أنظر بسام العسلي، المرجع السابق، ص 143.

[9]-علال الفاسي، المصدر السابق،ص ص63-65.

بعضهم الآخر بالسجن. ظنا منها أنها قد أحكمت سيطرتها على البلاد فقامت السلطات الاستعمارية بتنظيم المؤتمر الأفخارستي بتونس في3ماي1930م [1]وقد اعتبره الدستوريون حملة صليبية[2]، وقد كتب الطيب بن عيسى من أصل جزائري:" أن الاحتفال بذكرى الاحتلال يستلزم ذكرى فقد الاستقلال وعلى فرنسا أن تنفق الأموال التي تبدد في هذه الاحتفالات على مشاريع نافعة للشعب التونسي التي تأخذ من ميزانية بلده نفقات هذا الاحتفال الجارح لعواطفه[3] وشنت الصحافة التونسية حملة على المؤتمر وكثرت الاضرابات والمظاهرات مما أدى إلى قتل عدد من المتظاهرين وتحميل رجال الحزب الدستوري مسؤولية ما يحدث"[4].

وبعد مؤتمر نهج الجبل1933م حيث قرر المؤتمرون العودة بالحزب إلى السياسة الحازمة التي سار بها الوفد الأول بباريس بعد الحرب ووضع مطلب الاستقلال في مقدمة برنامجه[5] فإن المقيم العام "مانصرون" قرر حل الحزب الحر الدستوري وإقفال سائر صحفه في31ماي1933وعطل صحفه مثل"صوت الشعب" و"صوت التونسي" و"العمل التونسي"[6]، ونتيجة لنشاط جماعة بورقيبة فقد قام "بيرطون" بإبعادهم إلى الجنوب التونسي ثم حاول اجبارهم على التنكر لنشاطهم السابق واقترح عليهم فتح حوار يرضي الطرفين ولعل ما تعرضوا له كان سببا في تخليهم عن ما جاء في مؤتمر نهج الجبل1933م ويبني سياسة المراحل كحل للقضية التونسية[7].

من الواضح أن السلطات الفرنسية لم تكن لترضى بأي نشاط يحمل في طياته معاداة الوجود الفرنسي في البلاد لذا فإنها ضيقت الخناق على الدستوريين وعانى زعمائه وفي مقدمتهم "الثعالبي" للنفي والسجن والتنكيل بهم بسبب آرائهم المناهضة للاحتلال وهذا ما فعلته في الجزائر أيضا وهكذا فإن فكرة الاستقلال كانت تصطدم في كل مرة بالسياسة الفرنسية الاضطهادية وهذا ما جعل التونسيون يتنازلون عليها في الكثير من المرات بعكس الجزائريين الذين تمسكوا بها رغم كل ما عنوه من اضطهاد وتنكيل بهم .

---

[1]-بلقاسم بن محمد بن جرادة، المرجع السابق، 264.

[2]-أحمد قصاب ، المرجع السابق، ص509.

[3]- حميدي أبو بكر، **قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية 1920-1954**، دكتوراه ،العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر،2010، ص290.

[4]-الحبيب تامر، المرجع السابق، ص90.

[5]-علال الفاسي، المصدر السابق، ص74.

[6]-محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص83.

[7]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص551.

ب موقف التونسيون من فكرة الاستقلال

لاقت هذه الحركة تأييد كافة طبقات الشعب التي كانت تشعر بحاجتها إلى حركة وطنية منظمة تنضوي تحت لوائها والعمل في صفوفها وإن كانت هذه الحركة ترمي إلى الاستقلال التام للبلاد فإنها لم تعلن عن غايتها جهارا إذا كانت الظروف غير مساعدة ، فكان برنامجه السياسي الظاهري اصلاحيا واسعا يرمي إلى ارجاع السلطة إلى أصحاب البلاد الأصليين[1].

وقد انتشرت حركة الحزب انتشارا سريعا في البلاد التونسية وصارت لها فروع في كل المدن وأصبحت قوة شعبية تحسب لها السلطة الاستعمارية ألف حساب وقد انضمت للحزب فئات متنوعة الترتيب الاجتماعي والتوزيع الجغرافي بنوعيْها الحضري والقروي وكذا التنوع المهني وتكونت شعب في كل مدينة ولعل اختلاف تكوين المنضمين له سببا فيما تعرض له من انشقاقات طيلة مسيرته[2].

وقد حصل الدستوريون على التأييد من القصر نفسه[3] حيث كانت مساندة "الباي محمد الناصر" دفعا قويا للحزب[4] مما جعل الادارة الاستعمارية تعمل على فصم هذا التحالف حيث نشرت صحيفةle petit journal في22مارس1922م حيث صرحت على لسان الباي أنه يجب تفكيك مطالب الحزب الدستوري وبينت أنه رفض مساندة وأنه لا يوجد مكان للدستور في تونس[5]وهنا غضب الباي وهدد بالتنازل عن العرش مما أدخل البلاد في حالة غليان واضطراب[6] واحتج الحزب على تنازل الباي ودافع عنه وكان وراء تحريك لهذه الأحداث واعطاها شكلها الشعبي واستغلها كوسيلة ضغط لنيل مطالبه حيث قال عنها الثعالبي:" إنه مهما كان الأمر فهي أحداث جد ملائمة ومفيدة للتونسيين"[7].

ومما زاد حماس الشعب اشتعالا ما عمدت إليه السلطة الفرنسية من إلقاء القبض على الزعيم عبد العزيز الثعالبي وشعر الشعب بالسخط على ذلك وضغط على السلطة الفرنسية فاضطرت لإطلاق سراحه[8] ولما

[1]-الحبيب تامر، المرجع السابق، ص98.

[2]-محمد السعيد عقيب، المرجع السابق، ص42-43.

[3]-بلقاسم بن محمد بن جرادة، المرجع السابق، ص245.

[4]-خير الدين بن شترة، **اسهامات النخبة** ...، المرجع السابق، ص34.

[5]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص514.

[6]-محمد الهادي شريف، المرجع السابق، ص116.

[7]-نقلا عن يوسف مناصرية ، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص184.

[8]-الحبيب تامر، المرجع السابق، ص98.

خرج الثعالبي من سجنه في ماي1921م هرع الشعب التونسي بمختلف شرائحه إلى الثعالبي يهنئونه ويحتفلون بإطلاق سراحه[1].

وقد لقي الثعالبي في البداية دعما من "الامير محمد الحبيب" ولكن بعد ما تولى العرش فإنه أمضى الإصلاحات التي تقضي بتأسيس المجلس الكبير المختلط وذلك بعد ما وعد الثعالبي بعدم المصادقة عليها فأدى ذلك إلى حدوث خلاف شديد بينهما فخشي الدستوريون أن يستغل الباي منصبه لينتقم منهم لهذا قرر الحزب أن يسافر الثعالبي للشرق واضعا بذلك حدا لهذا الخلاف الذي يمكن أن يتطور لو استمر الثعالبي في عناده لغير صالح التونسيين و قضيتهم[2].

وكانت دعاية الحزب يكسوها طابع وطني ديني معاد للفرنسيين حيث نادى "صالح فرحات" في أحد الاجتماعات سنة1924م بأنه يجب الانخراط في الحزب للتخلص من نير الطغاة وكانوا يهتفون بمفهوم "الاستقلال ويحيا الدستور وتسقط فرنسا" مدفوعين بالحماس الوطني والشعور الديني يبعثه فيهم الدستوريون من جهة وفكرة الجامعة الاسلامية وثورة الريف المغربي من جهة أخرى وسادت عبارتا الاستقلال والكفاح ضد الاحتلال على جميع احتجاجات الحزب فنمى شعور معادات الفرنسيين في نفوس الجماهير والتفت حول الحزب، وزادها ارتباطا بها تلك الشعارات التي كانت مرفوعة على باب مقر الحزب وأبواب شعبه "تونس للتونسيين والاستقلال أو الموت". ورغم غربة الثعالبي فقد كان له اتصال وثيق بالشعب الدستوريين وقد رد الثعالبي على رسالة شعبة الحلفاويين ردا بين فيه ما يعتقده عن فكرة الاستقلال الحضاري الذي بناه على التاريخ والدين والوطن في سنة1933قائلا :"...خليق بكم أن ترسلوها شعلة توقد الجوائح فإما حياة طيبة وإما موت مريح...إن الحركة القدسية لا تموت فسيروا على بركة الله...غير ناضرين إلا إلى الواجب الذي في أعناقكم للدين والتاريخ والوطن فإن النكوب عنه انتحار شنيع وموت أبدي"[3].وقد كان للحركة النقابية التي تزعمها "محمد علي الحامي" دور مهم في تدعيم الحزب و مواقفه[4].

وقد عاد الثعالبي إلى تونس لما أذن له بذلك جويلية1937في وقت بلغت فيه سمعة قادة الحزب الدستوري الجديد أوجها وكان الحبيب بورقيبة يمسك في قبضته400شعبة حزبية وكان تكتيل شبيبة متحمسة

[1]-أحمد قصاب، المرجع السابق، ص509.

[2]-علال الفاسي، المصدر السابق، ص68.

[3]-نقلا عن يوسف مناصرية ، **دور النخبة**...، المرجع السابق، ص111.

[4]-الحبيب تامر، المرجع السابق، ص553.

وتنظيمها متواصلا بفعل الجولات التي يقوم بها نواب الدستوريون الجدد وأمام نشاط وحيوية هؤلاء وكسبهم عطف شعبي كبير كانت شعبية القدماء تتراجع ورغم محاولة الحزب الجديد الاستفادة من سمعة الثعالبي فان هذا الأخير حاول التوحيد بين جناحي الحزب ولكن جواب بورقيبة كان بتحكيم الجماهير الشعبية[1] وهو ما أدى إلى تراجع دور الثعالبي غير أن عمله الاصلاحي ظل مستمرا حيث تفرغ للكتابة و التأليف[2].

لقد وجدت فكرة الاستقلال تجاوبا من قبل الجماهير الشعبية في كل من الجزائر و تونس وهذا لأنها تعبر بعمق عن المعاناة التي كان يعانيها الأهالي في البلدين نتيجة السياسة الاستعمارية التعسفية وبالتالي فإن الشعب أيد من حمل لواء هذه الفكرة ولم يكن الاحتلال ليرضى بأي نشاط يمكن أن يبديه الشعب في البلدين فكيف بانتشار فكرة الاستقلال في أوساطه وهذا ما جعله يتخذ سياسة زجرية ضد من حمل لواء هذه الفكرة.

[1]-شارل أندري جوليان، **افريقيا الشمالية**...، المصدر السابق، ص110.

[2]-أحمد طرفاوي، المرجع السابق، ص28.

ومما سبق نستنتج مايلي:

-كانت نتائج الحرب العالمية الأولى سببا في تطور فكرة الاستقلال في البلدبن نتيجة لتوفر مجموعة من الظروف والمعطيات جعل "الأمير خالد" يطالب بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم، كما طالب بذلك "الثعالبي" وكانت عبارة تقرير المصير تعني الاستقلال وظهرت لجان مشتركة جزائرية تونسية تطالب أيضا باستقلال البلدين.

– عرفت فكرة الاستقلال في الجزائر تراجعا واضحا بعد اخفاق مبادئ "ويلسن" وخيبة أمل الجزائريين في مؤتمر الصلح، لكن هذا لا يعني اختفائها للأبد حيث نقل"الأمير خالد"نشاطه إلى باريس وهناك نشر فكرة الاستقلال بين العمال المغاربة.

-في الوقت الذي كان فيه"عبد العزيز الثعالبي"يطالب في حق الشعب التونسي في الاستقلال في باريس فإن رفاقه في تونس تخلو عن أفكاره الاستقلالية إلا أنه ظل متمسكا بموقفه الرافض للهيمنة الاستعمارية ويدعو إلى التبني فكرة الاستقلال لكنه اصطدم بتعنت الادارة الاستعمارية من جهة وكذا موقف الدستوريين المتخاذل الذين رفضوا حمل لواء فكرة الاستقلال معه ووجد نفسه وحيدا في الميدان مما أدى به إلى مغادرة تونس، حيث عمل على خدمة القضية التونسية خارجها.

– منذ أن تولى مصالي الحاج قيادة نجم شمال إفريقيا فإنه أعلن صراحة عن فكرة الاستقلال التي أخذت تنتشر في أوساط المهاجرين الجزائريين الذين يعانون من نير الاحتلال الذي تسبب في تشريدهم وتغريبهم ونتيجة لنشاطات مصالي ورفاقه عرفت فكرة الاستقلال تطورا مستمرا في حين عرفت هذه الفكرة في ظل غياب الثعالبي تطورا متذبذبا حسب الظروف التي عرفتها الحركة الدستورية حيث عادت للظهور بقوة في مؤتمر نهج الجبل1933م ولكن نتيجة سياسة فرنسا القمعية فقد اختفت فكرة الاستقلال التام عن فرنسا وعوضت بسياسة المراحل بينما عرفت هذه الفكرة أوج تطورها سنة1936م في الجزائر إلا أنه في 1937م ونظرا للظروف الداخلية والخارجية عوضت كلمة الاستقلال بصيغ تكتيكية تماشيا مع هذه الظروف.

– بينما لقيت فكرة الاستقلال تجاوبا كبيرا من قبل الأهالي في البلدين فإنها تعرضت للصد والاضطهاد من قبل سلطات الاحتلال، لأنها تتنافى مع مذهبها.

– وعليه فإن فكرة الاستقلال لكي تنمو وتقوى تحتاج إلى قوة عزيمة وارادة من يحملها إضافة إلى وجود مجموعة قوية تدعمه وتحمل معه لواء هذه الفكرة وتعمل على نشرها والتمكين لها لتصبح أكثر عمقا وتجذرا وكذا توفر الظروف الملائمة التي تساعد على ظهورها ونموها، وعموما فإن فكرة الاستقلال كانت أكثر وضوحا وعمقا في الجزائر منها في تونس وهذا يرجع إلى طبيعة الاستعمار.

خاتمة

من خلال دراستنا لهذا الموضوع فإننا توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات والتي يمكننا ذكرها في النقاط التالية:

– لم يكن لفرنسا أن تسيطر على الجزائر وتونس إلا بعد ضعفهما الأمر الذي جعل منهما فريسة سهلة المنال لها التي جعلت منها الثورة الصناعية قوة عسكرية واقتصادية نتج عنها تبنيها سياسة استيطانية؛ فانتهى بها الأمر بالسيطرة على الجزائر سنة 1830وفرضت حمايتها على تونس سنة 1881م، قام الشعبان في كلا البلدين بمواجهة الاحتلال حيث خاضا مقاومة مسلحة حتى ق20م

–وفي إطار النضال السياسي احتلت فكرة الاستقلال في البلدين حيزا واسعا و قد اشتهر عبد العزيز الثعالبي برفضه للهيمنة الاستعمارية والعمل على استعادة استقلال تونس، بينما برز مصالي الحاج كأقوى مناهض للاحتلال الفرنسي حيث طالب باستقلال الجزائر.

–إن الظروف التي نشأ فيها الزعيمين بكل مميزاتها كان لها دور كبير في تكوين شخصيتهما وتحديد طبيعة نضالهما وصياغة توجههما الفكري ؛فالأسرة والأقارب والمدرسة والتنقل من مكان لآخر والسياسة الاستعمارية كلها عوامل أثرت في فكرهما ونضالهما فكان هدفهما الحصول على استقلال بلديهما عن فرنسا بل استقلال كل الشعوب المضطهدة والحفاظ على الهوية العربية الإسلامية لبلديهما والدعوة إلى الوحدة العربية الإسلامية.

–إن التوجه الفكري للرجلين عرف تطورا طيلة مسيرتهما النضالية حسب الظروف والمستجدات فلاحظنا أن فكر الثعالبي تحول من الإصلاح الديني والاجتماعي إلى الإصلاح السياسي بمناهضة الاحتلال والعمل على الاستقلال عن فرنسا خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، لكن تغير توجهه من الاتجاه الاستقلالي إلى الاتجاه الواقعي المرن وذلك بعد هزيمة الحزب الاشتراكي في انتخابات1920م وإخفاق مبادئ ويلسن فانقسمت النخبة التونسية بين منادي بالاستقلال التام وبين المطالب بالإصلاحات أما فكر مصالي الحاج فقد مر بالمراحل التالية: كان توجهه اشتراكيا في بداية نضاله ثم أصبح توجهه ثوري وطني، ثم تبنى التوجه العربي الاسلامي، وعموما استطاع مصالي الحاج استيعاب مجموعة من مرجعيات المختلفة التي مكنته من توحيد توجهات زملائه في النضال ثم حاول اخفاء توجهه عندما انتشرت أفكاره في الجزائر وهذا يرجع إلى الجو السياسي في الجزائر المغاير لجو فرنسا ونشاط التشكيلات الوطنية الأخرى وتحول الفكر الوطني نحو الاصلاح الديني وعموما تميز توجههما كل منهما بالتمسك بالإسلام وبالتاريخ العربي الاسلامي.

-كان ظهور فكرة الاستقلال في كل من الجزائر وتونس كرد فعل على الأوضاع التي عرفها البلدين وبالتالي فهي تعبر عن رفض الشعبين للواقع الذي فرضه عليه الاستعمار حيث ألغيت سيادة البلدين وصودرت الحريات واستنزفت الخيرات وحوربت الثقافة العربية الإسلامية وسخر الإنسان لخدمة المستعمر .ولعل سياسة فرنسا الاستيطانية كانت أكثر تعسفا في الجزائر منها في تونس وهذا يرجع إلى طبيعة الاستعمار. و بالتالي كانت وليدة الوضع العام الذي نشأ فيه روادها وتأثرا به وما يدل على ذلك أن مختلف الافكار والمواقف كانت تتغير وتتطور وتتقارب وتتباعد حسب تطور الوضع العام محليا أو دوليا .

-هذا وقد ارتبط تطور فكرة الاستقلال بالإضافة إلى السياسة الاستعمارية بعوامل خارجية في مقدمتها إعلان مبادئ ويلسن 14ومساندة التنظيمات الاشتراكية والشيوعية للشعوب المستعمرة و بمناسبة انعقاد مؤتمر الصلح سنة 1919م تشكلت لجان ووفود وقدمت العرائض من طرف الجزائريين كما فعل الأمير خالد الذي طالب بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم من خلال رسالته إلى الرئيس الأمريكي ويلسن كما انتقل الثعالبي إلى باريس للتعريف بالقضية التونسية و هناك ألف كتابه تونس الشهيدة والذي فضح فيه جرائم فرنسا في البلاد وطالب هو الآخر بحق شعبه في تقرير مصيره كما ظهرت لجان جزائرية تونسية مشتركة تطالب باستقلال البلدين وهذا يدل على إيمان الشعبين بوحدة المصير وإرادتهما في التخلص من السيطرة الأجنبية .

-كانت هذه المحاولات هي البداية الأولى لظهور فكرة الاستقلال في البلدين إلا أنها عرفت تراجعا ملحوظا في كلا البلدين ففي الجزائر لم تصمد هذه الفكرة طويلا وهذا يرجع إلى قلة وعي الشعب الذي لم يكن مستعدا بعد لتبني هذا الطرح الجديد إضافة إلى سياسة فرنسا الزجرية التي ضيقت الخناق على الأمير خالد حيث تم نفيه ولكن نشاطه لم يتوقف عند هذا الحد بل واصله في باريس بين المهاجرين المغاربة حيث نشر بينهم فكرة استقلال المغرب العربي .

-أما في تونس فإن الثعالبي اضطر إلى مسايرة رأى الأغلبية من رفاقه في النضال للحفاظ على وحدة الصف حيث كانت الأغلبية تميل إلى سياسة الإصلاحات التدريجية و المطالبة بالدستور وعليه تبني الثعالبي الاتجاه الواقعي المرن إلا انه لم يتخلى عن فكرة الاستقلال عن فرنسا.

-وفي باريس كان مصالي الحاج واحدا من العمال الجزائريين المهاجرين و قد حمل فكرة الاستقلال التام عن فرنسا وذلك منذ سنة 1927م وقد بدا في نشرها في أوساط العمال الجزائريين و المغاربة

عموما ولم يكن له أن يتمكن من هذا الأمر بمفرده لو لا وجود مجموعة من المناضلين المثابرين اللذين ساعدوه في التمكين لفكرة الاستقلال بالتفاني والصبر و قوة عزيمة مصالي و رفاقه عرفت انتشارا واسعا في وسط المهاجرين وأصبحت المطلب الأساسي الذي نادى به مصالي في المؤتمرات والخطابات وفي الصحف. وبعدها وجدت طريقها إلى الجزائر لتصل إلى أوجها سنة 1936م.

-تعتبر سنة1937م سنة حاسمة في تاريخ فكرة الاستقلال في البلدين حيث شهدت عودة الزعيم عبد العزيز الثعالبي إلى تونس بعد غياب طويل وقد أكد في خطاباته الأولى انه جاء من اجل تحقيق الاستقلال لتونس إلا انه وجد الساحة السياسية تتسم بالغليان في البلاد حيث سيطر الحبيب بورقيبة على زمام الأمور ومعه اختفت فكرة الاستقلال التام عن فرنسا و رغم محاولة الثعالبي لتوحيد صفوف الحزب الدستوري التونسي كما كان في عهده إلا انه فشل في ذلك لان اتجاه بورقيبة أصبح هو المسيطر في أوساط الجماهير الشعبية.

-وفي سنة 1936م عاد مصالي الحاج إلى الجزائر وقد نقل معه فكرة الاستقلال إلى الجزائر حيث وجدت رواجا كبيرا باعتبارها مطلب الجماهير الأساسي وعليه فانه سيطر على الساحة السياسية في الجزائر بلا منازع منذ الخطاب الحماسي الذي أكد فيه على ضرورة استقلال الجزائر في الملعب البلدي في 2اوت سنة 1936م وفي سنة 1937م أصبحت هذه الفكرة أكثر تجذرا في البلاد.

- وعليه فإن فكرة الاستقلال لكي تنمو وتقوى تحتاج إلى قوة عزيمة وإرادة من يحملها إضافة إلى وجود مجموعة قوية تدعمه وتحمل معه الأعباء الناتجة عنها وتعمل على نشرها والتمكين لها لتصبح أكثر عمقا وتجذرا وكذا توفر الظروف الملائمة التي تساعد على ظهورها ونموها، ولهذا فان فكرة الاستقلال في تونس التي كان يحمها الثعالبي لم يجد من يدعمها ولهذا لم تعرف انتشارا متواصلا كما هو الحال في الجزائر في حين وجد مصالي الحاج من يدعمه ويتحمل معه مشاق حمل لواء هذه الفكرة التي كانت مطلب الجماهير الجزائرية ولهذا فإنها عرفت استمرارا في تطورها رغم الصعوبات والعراقيل التي وضعها الاحتلال في طريقها .اما في تونس فقد حلت محلها سياسة المراحل مع بورقيبة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول : **"ربنا لا تأخذنا إن نسينا أو أخطأنا "**.

الملاحق

الملحق رقم 01: اتفاقية المرسى 08جوان 1883[1]

«اتفاقية المرسى»

لما كانت عناية سمو الباي المعظم متجّهة إلى تحسين الأحوال الداخليّة بالمملكة التونسيّة وفقا لأحكام المعاهدة المبرمة في الثاني عشر من شهر ماي سنة 1881، وكانت حكومة الجمهورية الفرنسية راغبة تمام الرغبة في تحقيق أغراض سموّه توثيقا لعرى المودّة بين القطرين العامرين، اتّفق الطرفان على عقد اتّفاق لتحقيق هذا الغرض، واعتمد رئيس الجمهورية في ذلك سمو بيار بول كامبون وزيره المقيم بتونس الذي قدم أوراق اعتماده لعقد الاتّفاقيّة المحدّدة في البنود الآتية :

البند الأول : لمّا كان غرض سمو الباي المعظم أن يسهّل للحكومة الفرنسيّة إتمام حمايتها، تكفّل بإدخال الإصلاحات الإداريّة والعدليّة والماليّة التي ترى الحكومة المشار إليها فائدة في إدخالها.

البند الثاني : تضمن الحكومة الفرنسية قرضا يعقده سمو الباي لتحويل أو لدفع الدين الموحّد البالغ 125 مليون فرنك والدين السائر الذي لا يمكن أن يتجاوز 17.550.000 فرنك، ولكنّها هي التي تختار الزمن والشروط الموافقة لذلك، وقد تعهّد سمو الباي المعظم بأن لا يعقد قرضا في المستقبل لحساب المملكة التونسيّة دون إذن سابق من الحكومة الفرنسيّة.

البند الثالث : يخصّص لسموّ الباي المعظم من مداخيل المملكة. أوّلا: المبالغ اللاّزمة للقيام بواجبات القرض الذي ضمنته فرنسا، ثانيا : مخصّصات سموّ الباي وقدرها مليونان من الريالات التونسية (أي 1.200.000 فرنك) وما فضل من ذلك يعين لمصاريف إدارة المملكة ودفع مصاريف الحماية.

البند الرابع : هذه الاتفاقيّة مؤكدة ومكملة للمعاهدة المعقودة في 12 ماي سنة 1881 فيما يحتاج منها إلى التأكيد والتكميل، ولاتتغيّر بها الأنظمة التي سبق وضعها فيما يتعلق بتقرير الغرامة الحربيّة.

البند الخامس : تعرض هذه الاتفاقيّة على الحكومة الفرنسية للمصادقة عليها وتسلّم وثيقة التصديق إلى سمو الباي المعظم في أقرب وقت ممكن. إيذانا بصحّة ما تقدّم حرّرت هذه الاتفاقيّة وختمها الموقّعان بختميهما.

وكتب بالمرسى في 8 جوان 1883

الإمضاء : على باي /«بول كامبون»

[1] – خليفة شاطر وآخرون، المرجع السابق، ص22.

الملحق رقم 02: صورة عبد العزيز الثعالبي[1]

الملحق رقم 03: صورة مصالي الحاج[2]

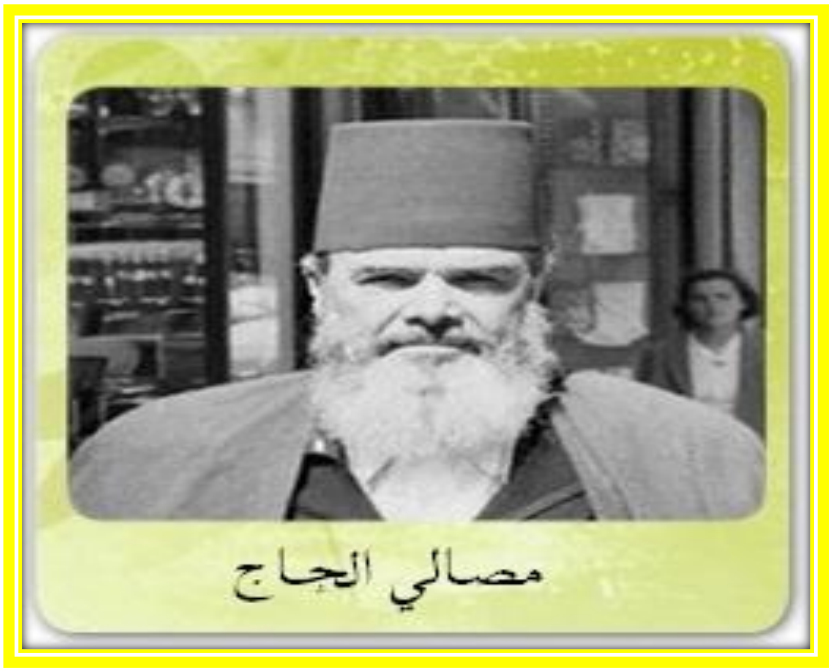

[1]-عبد العزيز الثعالبي، المصدر السابق، ص 1.

[2]- مصالي الحاج ، المصدر السابق، ص185.

الملحق رقم04 :مقتطف من رسالة الأمير خالد إلى رئيس الولايات المتحدة الامريكية1919م [1]

"يشرفنا أن نقدم لتقديركم السامي ولروح العدالة التي تحركم عرضا مقتضبا عن الوضعية الحالية للجزائر الناتجة عن احتلالها من طرف فرنسا ففي حرب غير متكافئة ولكنها مع هذا كانت تضاعف شرف ابائنا حارب الجزائريون مدة سبعة عشر سنة ...لرد المعتدي وللعيش في استقلال...منذ تسعة وثمانين سنة ونحن تحت الهيمنة الفرنسية فان الفقر لا يتوقف عن الارتفاع عندنا بينما كان ثراء المنتصرين يتزايد على حسابنا.

إن المعاهدة التي وقعت يوم 5جويلية1830 بين الجنرال دوبرمون وداي الجزائر كانت تضمن لنا احترام قوانيننا وعاداتنا وديننا. إن قانون1851قد كرس حقوق الملكية والتمتع التي كانت موجودة زمن الفتح. عندما نزل نابليون الثالث بالجزائر يوم 5مايو1865 فانه ألقى بيانا إلى السكان المسلمين فقال..." عندما وضعت فرنسا رجلها على التراب الإفريقي منذ خمسة وثلاثين سنة. فإنها لم تأت لتحطم جنسية شعب ولكن بالعكس لتحرير هذا الشعب من الاضطهاد القديم. انها جاءت عوض الهيمنة التركية بحكومة لطيفة وعادلة ومتنورة ..."

وفيما بعد تبين لنا مع الاسف وعلى حسابنا أن تلك الوعود الجميلة لا وجود لها الا في الكلمات .وبالفعل وكما كان علينا الحال في زمن الرومان، فان الفرنسيين بدأوا يطردون بالتدرج المنهزمين ويستولون على السهول الخصبة والمناطق الاكثر ثراء .الى يومنا هذا مازالوا يحدثون مراكز جديدة للتعمير بانتزاع أحسن الاراضي التي بقيت بأيدي الاهالي تحت عنوان..."نزع ملكية بسبب الفائدة العمومية. إن أملاك الاوقاف التي كانت تبلغ قيمتها مئات ملايين الفرنكات والتي كانت تستعمل لصيانة المعالم المعمارية الدينية وتقديم المساعدة للفقراء ،قد تم الاستيلاء عليها ووزعت بين الاوربيين وهو أمر خطير للغاية علما بأن تلك الاموال كانت موجهة بصفة دقيقة ودينية قد حددها الذين قاموا بذلك العطاء.

وفي هذه الأيام ورغم قانون عزل الكنائس عن الدولة فان الاملاك الوقفية القليلة التي بقيت هي مسيرة

---

[1] –خالد الأمير ،**رسالة إلى الرئيس ويلسون و نصوص أخرى**، تر: محمد معراجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2006، ص ص7-9.

من طرف الادارة الفرنسية تحت غطاء لجنة دينية أعضاؤها قد تم اختيارهم من طرف الادارة. و لا فائدة أن نذكر أنهم لا يملكون أية سلطة. وفي تناقض تام مع ديننا، انتهزت الادارة كل الفرص وخاصة أثناء هذه الحرب لتنظم في مساجدنا ومحلاتنا المقدسة تظاهرات سياسية .وبحضور الجموع المكونة خاصة من الموظفين تعطي للقراءة نصوص قد حضرت من أجل المناسبة من طرف المسؤولين عن الدين، ويصل هذا التدنيس الى اشتراك الموسيقى العسكرية في هذه التظاهرات المهينة للذهنية الدينية للمسلم.

وفي نظام جمهوري إن أغلبية السكان تسيرها قوانين خاصة يستحي منها المتوحشون أنفسهم والشيء الذي هو خاص هو أن بعض هذه القوانين التي تؤسس لهذه المحاكم الاستثنائية (محاكم قمعية ومجلس جنائي) يعود تاريخها إلى29مارس و30ديسمبر1902.اننا نرى هاهنا نموذجا للسير التراجعي نحو الحريات. فقد يسهل على الملاحظ المتجرد أن يرى بأن يرى بأم عينه فقر الاهالي الكبير .ففي الجزائر العاصمة نفسها ترى مئات الاطفال من الجنسين يلبسون الرث من اللباس وأعظمهم تكاد تبرز من تحت اللحم وهم يجرون فقرهم في الأنهج ويتسولون طالبين الحسنة العمومية .

أمام هذه الوقائع المؤسفة تبقى الحكومة العامة في الجزائر في حالة لامبالاة مطبقة باسم العذر الخداع الذي بمقتضاه لا ينبغي المساس بالحريات فإن الاخلاق تدهورت تماما وصارت المشروبات الكحولية توزع بكثرة على الاهالي في المقاهي. وبما أننا مغلوبون فإننا تحملنا كل هذه المصاعب على أمل أن تأتينا أيام أحسن من هذه .إن التصريح الرسمي التالي .."لا يمكن أن يفرض على أي شعب أن يعيش تحت السيادة التي يرفضها (يطلقها)".علما بأنكم قمتم به في مايو 1917 في رسالتكم الى روسيا، فإن يسمح لنا أن نأمل أن تلك الايام الحسنة قد جاءت في نهاية الامر. ولكن تحت الوصاية القاسية للإدارة الجزائرية وصل الاهالي الى درجة من الاستعباد أنهم صاروا غير قادرين على اللوم ..إن الخوف من قمع وحشي ولا يرحم أغلق كل الافواه. رغم كل هذا فإننا نأتي باسم مواطنينا لنستعطف المشاعر النبيلة لرئيس أمريكا الحرة نطلب ارسال ممثلين نختارهم نحن بكل حرية ليقرروا مصيرنا في المستقبل تحت اشراف عصبة الامم. ان شروطكم الاربعة عشر(14) من أجل سلم عالمي سيدي الرئيس قد قبلها الحلفاء والقوات المركزية ولهذا ينبغي أن تكون أساسا لانعتاق كل الشعوب الصغيرة المضطهدة دون تمييز لا في الجنس ولا في الدين.

الملحق رقم 05:مقتطف من خطبة مصالي الحاج في المؤتمر الإسلامي الجزائري 2 أوت 1936[1].

سادتي إخواني

باسم نجم شمال افريقيا أحييكم تحية الاخوة وأحمل اليكم تضامن 200000 شمال افريقي يقيمون في فرنسا واحتراما للغتنا الوطنية "اللغة العربية "التي كلنا نعتز بها ونعجب بها ،وأيضا تقديرا لنبل هذا الشعب الجزائري الشجاع الكريم ،فقد أردت أن أعبر أمامكم ،بعد نفي دام اثني عشر سنة ،بلغتي الام...

إخواني

باسم نجم شمال افريقيا قدمت للمشاركة في هذا الاجتماع الكبير ،لكي أشرك منظمتنا في هذه المظاهرة الضخمة. وأن نجم شمال افريقية مشهور لديكم لأجلك فإني في غنى عن الحديث إليكم عن نشاطه وكفاحه الذي قاده منذ عشر سنوات دفاعا عن مصالح الشعب الجزائري . ومع ذلك فإني سأغتنم هذه الفرصة التي أجمعتم فيها بكثرة بل بالآلاف لكي أذكر لكم بعض التفاصيل عن الدور الذي لعبه، ومن الواجب علي أن أقول بان المعركة كانت صعبة ومريرة .

وتحت حكومات من أكثر الحكومات رجعية، وفي الوقت الذي كان فيه كل الناس في بلادنا صامتين، وتحت حكم استثنائي، كان نجم شمال افريقية هو الوحيد الذي تجرا على رفع الصوت للاحتجاج ضد كل سوء استعمال للسلطة، والظلم والاجحاف ،و ليقول امام العالم أن الجزائر لم تمت وأنها بإرادة ابنائها تريد أن تعيش حرة وسعيدة. وهذه الجرأة هي التي جرت على مناضلي النجم المشاق التي لا مثيل لها كما جرت عليهم اكثر انواع الحقد عنصرية ...

لقد صدرت ضدنا احكام بالسجن لمدة سنوات، مع التغريم بالألاف الفرنكات، وقد عرفنا النفي والتهجير ،ولم يسلم احد خلال هذا الكفاح...وحتى اليوم، وتحت حكومة الجبهة الشعبية مازلنا نتعرض لسلسلة من الاجراءات الخاصة والقوانين الاستثنائية، في قلب باريس .وهي اجراءات وقوانين لا تستعمل إلا ضدنا نحن فقط ... ونخبركم بأننا أيضا كنا في وزارة الداخلية واننا قدمنا إلى السيد راوول أوبو نائب كاتب الدولة ،قائمين بالمطالب إحداهما تخص الجزائريين المقيمين في فرنسا والاخرى تخص الشعب الجزائري

[1] – يحي بوعزيز، **سياسة التسلط**...، المرجع السابق، ص115.

.ونخبركم ايضا باننا علمنا وسررنا بانعقاد المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في بداية جوان بالعاصمة الجزائر وقد ايدناه رغم اننا لاحظنا عليه الضعف والتسرع .

ومنذ وصول الوفد الجزائري إلى باريس المنبثق عن المؤتمر سارعنا الى تحيته والاتصال به و تبادل الآراء معه حول مشكل بلادنا. ورغم موفقتنا وتأييدنا وتهنئتنا لمنظمي هذا المؤتمر، الذي سيكون نقطة تحول في تاريخ الجزائر، فإننا نقول لكم بصراحة بأنه يجب علينا اليوم ان نقدم لكم توضيحات نراها ضرورية. حقا اننا نوافق على المطالب العاجلة التي هي في الواقع متواضعة وشرعية، والتي نص عليها ميثاق المطالب الذي قدم الى حكومة الجبهة الشعبية ، وإننا سنؤيد بكل قوانا حتى نراها منجزة ...

وهنا التزم باسم منظمتي وأمام الشيخ الجليل ابن بادي سان اعمل كل ما في وسعي لتأييد هذه المطالب ولخدمة القضية النبيلة التي ندافع عنها جميعا .لكننا نقول صراحة و بشكل لا يقبل التراجع بأننا نتبرأ من ميثاق المطالب بخصوص الحاق بلادنا بفرنسا وبخصوص التمثيل البرلماني.

والواقع ان بلادنا اليوم ملحقة بفرنسا إداريا وهي تابعة لسلطتها المركزية ، ولكن هذا الالحاق كان نتيجة غزو فظيع ،تلاه احتلال عسكري يقوم اليوم على الفيلق التاسع عشر من الجيش. لكن الشعب لم يوافق عليه ابدا . إما الالحاق الذي نص عليه ميثاق المطالب فهو مطلوب اداريا باسم مؤتمر يقولون عنه انه يمثل اجماع الشعب الجزائري . ومن ثمة فهناك فرق اساسي بين الحاق لبلادنا حصل رغم ارادتنا والحاق اداري مقبول عن طيب خاطر في المؤتمر الذي انعقد في السابع من جوان بالجزائر العاصمة ....

إن هذا المستقبل يخص الجيل الصاعد، فهو وحده الذي يملك الحق في تقرير مصيره وقدرة .ونحن ايضا ضد التمثيل البرلماني لأسباب عديدة. اننا نؤيد الغاء المجالس المالية، ومنصب الحاكم العام ،ونقف مع انشاء برلمان جزائري منتخب عن طريق الاقتراع العام بدون تمييز بالعنصر او بالدين.

إن هذا البرلمان الوطني الجزائري الذي يتكون في عين المكان سيعمل تحت مراقبة الشعب المباشرة ومن اجل الشعب. ونحن نعتقد ،من جهتنا بان هذه هي الوسيلة الوحيدة التي تسمح للشعب الجزائري أن يعبر عن نفسه بحرية و بصراحة بعيدا عن كل الضغوط والمناورات الادارية.

مصالي الحاج رئيس نجم شمال افريقية والمدير السياسي لجريدة الامة.

الملحق رقم06: خطاب الشيخ عبد العزيز الثعالبي عند رجوعه من الشرق سنة 1937م[1].

أيها الشعب الكريم

أتقدم إليك محييا وشاكرا و منوّها بهذا العطف الكريم الذي تبديه نحو خادمك الأمين، وأحيّيك رافع الرأس لهذا التقدير والإجلال والاحترام الذي يبدو لي من هذه الأسارير الفياضة التي أتمثلها البحر زاخرا، والنسيم ساحرا دافقا متدفقا، ويريني من الشعب آياته، ومن خلائقه ديباجته وبيّناته.

إن مشاعرك الفيّاضة أيها الشعب الكريم هي التي كوّنت ذاتيتي وجعلتني استوحي فكرتي ومنهاجي وآلامي وآمالي في جميع حركاتي. فأنا من الشعب وإلى الشعب ومن الشعب أستمد قوتي. أقف لأحييك وأنوه بعملك ومساعيك ,فقد شاء الله أن يبعث روحا ترفرف بأجنحتها فوق رأس تونس الخضراء لتبعث من جديد، لتحي حياة الشرف والكرامة والمجد، حياة الأبطال الخالدين.

أبناء الأغالبة! أبناء العزّ الميامين!

أذكروا أنكم الذين رفعتم شأن الإسلام قرونا طوالا ونشرتم الحضارة بأوروبا. وان أنكر ذالك مؤرخوها وقساوستها، وأنتم الذين حررتم الأمم والشعوب من الرق ومن الاضطهاد والاستعباد. تذكروا أيها الشعب أن روح الأجداد تناديكم الإنقاذ كرامتهم، تناديكم لأجل أن تعيدوا سيرتهم الأولى، لأجل أن ترفعوا رؤوسهم وترجعوا لهذه البلاد عظمتها ومجدها. وما أنا إلا مذكر جئت لأنبهكم إلى اليقظة، أنبهكم إلى العمل ,أنبهكم إلى السعي، أنبهكم إلى موطن الكرامة الذي حيل بينكم وبينها بأيدي المغتصبين، بأيدي الذين أرادوا أن يقبروا هذه الملايين من ورثة مجد الأعراب والإسلام ليجعلوها خلقا جديدا لا يمت إلى الأسلاف بسبب، وعلى هذا الأساس يعلمونكم تعليما ناقصا ليقضوا على كل تأميل في حاضركم ومستقبلكم .فانتبهوا إلى ما يجب عليكم لأنفسكم ولبلادكم، قدما إلى الحياة ترفعون شعار الإسلام والعروبة، يومئذ يتغير التاريخ وتصيرون أحرارا جديرين بالانتساب لأولئك الأسلاف الذين دوّنوا أجل الفاخر في تاريخ هذا العالم...

[1] – أحمد الطويلي، **الزعيم عبد العزيز الثعالبي**...، المرجع السابق، ص ص188-190.

نحن العرب لسنا بأقل مواهب من غيرنا .فمن العار عليها أن تضيع هذا الميراث الجليل .كنا وكانت الدنيا لنا، وكان القول قولنا ولأمر أمرنا، وكانت الأمم التي تدعي الزعامة علينا ترجو قربنا وتخطب ودّنا، ولكنا استهنا بكرامتنا وهانت علينا أنفسنا، فالله الله في أنفسنا، وفي وطننا وفي قومنا، وفي قارتنا التي تستغيث، ويجب أن يغيثها الأبناء. فإن من لم ينصف نفسه ولم يرحمها غير خليق بالرحمة والإنصاف من أي أحد في العالم، فإذا أردنا أن نكون كما يجب، فلنقف وقفة الجندي الباسل لإنقاذ الميراث العظيم في سبيل تحرير البلاد.

أنا لست ثائرا، كما يقولون، وإنما طالب حق وإنصاف، أريد أن أنصف نفسي وأثأر لكرامتي، وهذا ما أدعو إليه الشعب التونسي، ولو شاء التونسي أن يكون عظيما لكان إذا ما هي إلا إرادة، فالذي ينقصنا ليس هو العلم والمادة، بل هي الإرادة، فبها نستطيع أن نكون أقوياء ونكون كما نريد. وما علينا إلا أن نشحذ إرادتنا لنتبوأ المقعد اللائق بنا تحت الشمس، فهبوا إلى التسابق في العمل، فإن الأمة المتوانية لا تستحق البقاء في العالم الذي يطير مع الأطيار، ويسير فوق البحار.

ولا يليق في هذا العصر أن نقف الواقف المخزية المريبة التي وقفها آباؤنا، خصوصا بعد أن أدركنا الحالة التي وصلنا إليها. فلقد مضى عهد الغفلة والكسل والتفرق والشتات...هذه كلمتي، وتستطيع أن تجد فيها منهاجا مجملا، وأسأل الله أن يوفقك إلى السير في هذا المنهاج الذي أدعوك إليه...

وأما أنا الذي غاب عن البلاد 15سنة، فقد بعد تأثيري على هذا الشعب، والعمل الحقيقي هو الذي قام به هؤلاء الشبان، فعرضوا أنفسهم للمخاطر والمهالك، وقد كانوا في غنى عن ذلك وهم لايبتغون جزاء ولا شكور. فحياهم الله ووفقهم وأكثر من أنصارهم.

وهذه يدي أمدها إلى كل عامل لخير الأمة من أي فريق كان متى كانت الغاية هي تحرير هذا الشعب. عاشت الأمة التونسية حرة عاش الاستقلال عاش الجهاد في سبيل الإنقاذ وسلام عليكم ورحمة الله.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

- **المصادر بالعربية:**

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. الأشرف مصطفى، **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر: حنفي بن عيسى، دار القصبة،الجزائر،2007.
2. بن العقون بن عبد الرحمان ،**الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، ج1، منشورات السائحي الجزائر (د ت).
3. الحاج مصالي ،**مذكرات مصالي الحاج** ،تر: محمد معراجي ، منشوراتANEP ،الجزائر،2007.
4. الحفناوي أبو القاسم، **تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة** بييرفونتانة الشرقية، الجزائر، (د ت).
5. خالد الأمير، **رسالة إلى الرئيس ويلسون و نصوص أخرى**، تر: محمد معراجي، وزارة الثقافة، الجزائر، 2006.
6. خرفي صالح،**عبد العزيز الثعالبي وأخباره في المشرق والمغرب**،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1995.
7. خوجة حمدان بن عثمان، **المـــــرآة**، تق وتح وتع، محمد العربي الزبيري، منشورات، الجزائر ،2005.
8. الزبيري محمد العربي، **مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2007.
9. الثعالبي عبد العزيز ،**تونس الشهيدة**، ترجمة سامي الجندي، دار القدس،لبنان،1977.
10. عباس فرحات، **ليل الاستعمار**، تر: أبو بكر رحال، وزارة الثقافة،الجزائر،2009.
11. عباس محمد، **نصر بلا ثمن :الثورة الجزائرية1954-1962**،دار القصبة،الجزائر،2007.
12. -----،**رواد الوطنية:شهادات28 شخصية وطنية**، دار هومة،الجزائر،2009.
13. عبد الله إبراهيم، **شروق وغروب أو نافذة على تاريخ النضال الوطني**،ج1،مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، تونس،(د ت).
14. الطاهر عبد الله ،**الحركة الوطنية التونسية: رؤية شعبية وقومية جديدة1830- 1956**،دار المعارف، تونس، (د ت).
15. صالح عنتري، **مجاعات قسنطينة**، تح :رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971.
16. الفاسي علال، **الحركات الاستقلالية في المغرب العربي**، مؤسسة علال الفاسي، المغرب،2003.
17. قنانش محمد، **ذكرياتي مع مشاهير الكفاح**، دار القصبة، الجزائر، 2004.

18. ------،**الحركة الاستقلالية في الجزائريين الحربين 1919-1939**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

19. المدني أحمد توفيق ،**حيـاة كفـاح**،ج1، دار البصائر، الجزائر ،2009.

20. ---------، **حيـاة كفـاح**،ج2،دار البصائر،2009.

21. ---------، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة العربية، مصر، 1956

22. مهساس أحمد، **الحركة الثورية في الجزائر والثورة المسلحة: من الحرب العلمية الأولى إلى الثورة المسلحة**، تر: الحاج مسعود محمد عباس، دار القصبة ،2003.

23. الميلي محمد، **المؤتمر الإسلامي الجزائري**، دار هومة، الجزائر،2006.

24. الورتلاني الفضيل، **الجزائر الثائرة**، دار الهدى ، الجزائر، (د ت ن).

- **المصادر المعربة**

25. اجرون شارل روبير، **تاريخ الجزائر المعاصرة :من انتفاضة1871الى اندلا ع حرب التحرير**، تر: جمال فاطمي و آخرون، دار الأمة،الجزائر2008.

26. أندري شارل جوليان، **إفريقيا الشمالية تسير: القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية**، تر: المنجي سليم آخرون، الدار التونسية للنشر،تونس،1976.

27. ----،تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي و البشير بن سلامة ،ج2،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1978.

ثانيا: المراجـع

- **المراجع بالعربية**

28. أبو جزرة أحمد، **العلاقات الجزائرية الفلسطينية في ظل الاحتلال الفرنسي مواقف وأسرار**، دار الهدى،الجزائر،2009.

29. أبو زكرياء يحي ، **الحركة الاسلامية من الثعالبي إلى الغنوشي**، النشر الالكتروني، تونس، 2013.

30. براهمي نصر الدين، **تلمسان الذاكرة**، منشورات ثالة، الجزائر ،2010.

31. بركات أنيسة، **محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر،1995.

32. بقطاش خديجة، **الحركة التبشيرية في الجزائر1830-1871**، منشورات دحلب،الجزائر،2007.

33. بلقاسم محمد، **وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا: الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي** ،البصائر الجديدة،الجزائر،2013.

34. بن جراد بلقاسم بن محمد، **قابس عبر التاريخ**، المدرسة المرادية،تونس،1999.

35. بن سلامة البشير، **النظرية التاريخية في الكفاح التحرري في تونس**، ج 1،مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس ،1977.

36. بن الشيخ أبو عمران، **قضايا في الثقافة والتاريخ**، منشورات ثالة، الجزائر،2007.

37. بوحوش عمار، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962**،دار البصائر،الجزائر،2008.

38. بوخاوش سعيد، **الاستعمار الفرنسي والسياسة الفرنسية في الجزائر**، دار تفيتلت ،الجزائر،2013.

39. بوصفصاف عبد الكريم، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الوطنية الأخرى**، دار المدار، الجزائر،2009.

40. ------،**جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية 1931–1945**،عالم المعرفة،الجزائر،2008.

41. بوقصة كمال، **مصادر الوطنية الجزائرية إلى منابع الجزائرية الشعبوية** تر: ميشيل سطوف، دار القصبة، الجزائر،2005.

42. بوعزيز يحي، **الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه:1921–1948**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ت).

43. ------،**تـــلمسان**، وزارة الثقافة ،الجزائر،1985.

44. ------، **سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية:1830–1954**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2007.

45. -----، **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية**، دار البصائر،الجزائر،2009.

46. بوسماية عبد الحميد، **تـــلمســـان**: ثقافة وتاريخ، منشورات الرياحين، الجزائر،2011.

47. تامر الحبيب، **هذه تونس**، مطبعة الرسالة، مصر،1948.

48. التميمي عبد المالك خلف، **الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي:المغرب العربي،فلسطين، الخليج العربي** ،عالم المعرفة،1983.

49. التميمي عبد الجليل ،**الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي1859–1882** ،مؤسسة التميمي، تونس،2005.

50. الجابري محمد صالح ،**النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس1900-1962**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ت.

51. جلال يحي، **العالم العربي الحديث والمعاصر**: الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين،ج2 ،المكتب الجامعي الحديث،مصر،2001.

52. جندلي محمد، **عنابة في سياق التاريخ وعمق الجغرافيا: مبعث الحركة الوطنية بالجزائر وامتدادها بعنابة 1919-1954**،ج1،منشورات البركة،الجزائر،2008.

53. حربي محمد، **الثورة الجزائرية سنوات المخاض** ،تر: نجيب عياد وصالح المشلوشي، موفم للنشر،الجزائر،2012.

54. حرز الله محمد العربي ، **تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة**، دار السبيل ،الجزائر ،2011.

55. خيثر عبد النور وآخرون ،**منطلقات وأسس الحركة الوطنية** ،وزارة الجاهدين،الجزائر،2007.

56. دبور محمد علي، **أعلام الإصلاح في الجزائر، من عام 1340هـ-1921م إلى عام 1396هـ-1975م**،منشورات السهل،الجزائر،2009.

57. ------، **نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة**،ج2،عالم المعرفة،الجزائر،2013.

58. رابح تركي عمامرة، ج**معية العلماء المسلمين الجزائريين التاريجية1931-1956:الرؤساء الثلاث**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2004.

59. زوزو عبد الحميد ،**المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة: مؤسسات ومواثيق**، دار هومة ، الجزائر،2009.

60. ---،**الاستعمار وحركات التحرر في إفريقيا وآسيا**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2009.

61. ---،**الدور السياسي للهجرة إلى فرنسا بين الحربين1919-1993:نجم شمال إفريقيا و حزب الشعب**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2010.

62. زيدان زبيخة المحامي، **جبهة التحرير الوطني: جذور الأزمة**، دار الهدى،الجزائر،2009.

63. سعد الله أبو القاسم، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ،ج3،دار الغرب الإسلامي،لبنان،2005.

64. ------،**أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج4**،دار الغرب الإسلامي،لبنان،2005

65. ------،**تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954**،ج5،دار البصائر،الجزائر،2010.

66. ------، **الحركة الوطنية الجزائرية**،ج1،در الغرب الإسلامي،لبنان،1992.

67. ---،**الحركة الوطنية الجزائرية1900–1930**،ج2،المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1983.

68. ------،**الحركة الوطنية الجزائرية**،ج3،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1992.

69. ------،**محاضرات في تاريخ الجزائر :بداية الاحتلال**، دار الغرب الإسلامي ،لبنان،2005.

70. سعدي بزيان، **دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة نوفمبر1954:التاريخ السياسي والنضالي للعمال الجزائريين في المهجر من نجم شمال افريقيا إلى الاستقلال** ،منشورات ثالة ،الجزائر، 2009.

71. سعيدوني ناصر الدين، **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر1830–1962**، دار الإرشاد،الجزائر،2013.

72. -------،**الجزائر منطلقات وأفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية** ،عالم المعرفة ،الجزائر،2008.

73. شاطر خليفة وآخرون ،**تونس عبر التاريخ: الحركة الوطنية و دولة الاستقلال**،ج2،مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية و الاجتماعية ،تونس،2005.

74. شترة خير الدين، **إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية** ،دار البصائر ،الجزائر،2008.

75. --------، **المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية**، دار كردادة،الجزائر،2013.

76. --------، **الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة**،ج1،دار البصائر ،الجزائر،2013.

77. الشريف محمد الهادي، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، تر: محمد الشاوش ومحمد عجينة ،دار سراس،تونس،1993.

78. شويتام أرزقي ،**نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره :1800–1830**،دار الكتاب العربي، الجزائر،2011.

79. الشيخ رأفت، **تاريخ العرب المعاصر**، عين للدراسات و البحوث،مصر،1997.

80. الطويلي أحمد، **دراسات ووثائق عن الحركة الإصلاحية بتونس** ،مؤسسة سعيدان،تونس،1992.

81. ----،**الزعيم عبد العزيز الثعالبي :مسيرة نضاله الفكري والسياسي** ،المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس ،2012.

82. صبحي حسان، **النظام التربوي الاستعماري في الجزائر**، رياض العلوم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2005.

83. العايش بكار،**حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية1937–1939**،دار شطابي ،2013.

84. عبد السلام أحمد،**مواقف إصلاحية في تونس قبل الحماية**،الشركة التونسية للتوزيع،تونس،1986.

85. عبد القادر حميد، **فرحات عباس رجل الجمهورية**، دار المعرفة، الجزائر،2007.

86. العجيلي التليلي ،**الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية1881–1839**،ج2، منشورات كلية الآداب ،تونس،1990.

87. عبيد أحمد، **التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية: الجزائر،تونس، المغرب**، ابن النديم للنشر و التوزيع،الجزائر،2010.

88. العسلي بسام، **الأمير خالد و الدفاع عن جزائر الإسلام**، دار النفائس،لبنان،1984.

89. العلوي محمد الطيب، **مظاهر المقاومة**، منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر، (د ت).

90. عمراوي أحميدة ،**أثار السياسة الاستعمارية و الاستيطانية في المجتمع الجزائري** ،المؤسسة الوطنية للنشر و الاشهار والتوزيع ، الجزائر، (د ت).

91. قداش محفوظ، **تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919–1939**،تر:أحمد بن البار،ج1،دار الأمة، الجزائر،2008.

92. القصاب أحمد، **تاريخ تونس المعاصر1881–1956**،تر:حمادي الساحلي، الشركة الوطنية للتوزيع ،تونس،1986.

93. قنان جمال، **قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر،2007.

94. ----،**دراسات في المقاومة والاستعمار**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر (د ت).

95. ----،**التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف1920–1954**،كوكب العلوم،الجزائر،2009.

96. قنانش محمد ومحفوظ قداش، **نجم الشمال الفريقي1926–1937**،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2009.

97. محرز عفروون، **ملحمة الجزائر المصورة من ماسينيسا إلى5جويلية 1962**،تر :محمود حاج مسعود، دار هومة،الجزائر،2013.

98. المحجوبي علي، **انتصاب الحماية الفرنسية بتونس**، تر: عمر بن ضو وحليمة قرقوري، سراس، تونس،1986.

99. ------،**العالم العربي الحديث والمعاصر: تخلف فاستعمار فمقاومة**، دار محمد علي للنشر ، تونس،2009.

100. مرتاض عبد المالك، **أدب المقاومة الوطنية في الجزائر1830–1962:رصد لصور المقاومة في النثر الفني**،ج2،دار هومة ،الجزائر،2009.

101. مقران يسلي، **الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل:1920–1954**، دار الأمل، الجزائر ،2006.

102. مقلاتي عبد الله، **المرجع في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر**، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر،2014.

103. مناصرية يوسف، **الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين**، دار هومة، الجزائر، 2004.

104. ------،**دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830–1962**،دار هومة،الجزائر،2013.

105. ------**دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين** ،دار هومة،الجزائر،2014.

106. -------،**مواقف و أراء في تاريخ الجزائر المعاصر**، دار هومة، الجزائر،2013.

107. مجموعة من المؤلفين، **ثورة يوليو وحركات التحرر في المغرب العربي وجنوب إفريقيا** ،ج5،دار الفكر ،مصر،2008.

108. ناصر محمد، **الصحف العربية الجزائرية: 1847–1939**، دار البصائر، الجزائر،2008.

109. نجار عمار ،**مصالي الحاج الزعيم المفترى عليه**، دار الحكمة،الجزائر،2009.

110. ولد خليفة محمد العربي، **الاحتلال الاستيطاني للجزائر: مقاربة للتاريخ الاجتماعي والثقافي**، منشورات ثالة،الجزائر،2008.

111. همشاوي مصطفى، **جذور نوفمبر1954 في الجزائر**، دار هومة،الجزائر،2010.

112. ياغي إسماعيل ومحمود شاكر ،**تاريخ العالم الإسلامي الحديث و المعاصر: قارة إفريقيا**، ج2 دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، 1993.

- المراجع الأجنبية

113. Mahfoud Kaddache ,**L'Emir Khaled** :**Documents et témoignages pour sévit altude** ,Nationalisme Algérien ,affice des publications univers,Alger,2009

114. Charles Roert Agerron،**de l'Algérie Française a l'Algérie algérienne** ،Ebif 2000 ،Alger، 2010.

115. Jean-Louis Planche،Aux Origines de l'étoile Nord-Africaine à Alger- le parti National Révolutionnaire L'Etoile Nord- Africaine Editions،ANEP،Alger،2000

116. Mohamed guneneche et Mahfoud Kaddache،**Le parti du peuple Alérien1937-1939: document et témoignages pour savoir à l'étude du nationalisme Algérien**، office des publications universitaires، Alger.

- المراجع المعربة

117. بريان أندري و ايف لاكوست واندري نوشي، **الجزائر بين الماضي و الحاضر**، تر: اسطنبولي رابح ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1884.

118. الراسي جورج ،**الدين و الدولة في الجزائر من الأمير عبد القادر إلى عبد العزيز بوتفليقة**، دار القصبة، الجزائر ،2008.

119. بن يامين سطورا، **مصالي الحاج**, تر: صادق عماري ،دار القصبة ،الجزائر ،2007

ثالثا: الدوريات والمجلات

120. بن باديس عبد الحميد، **مجلة الشهاب**، المج13،ج7،(1936-1937)، دار الغرب الاسلامي، لبنان،2011.

121. جابر توفيق، **في احتفائية الشيخ عبد العزيز الثعالبي** ،مجلة الثقافة ،العدد1524،اليمن جوان2010.

122. رمون حسن، الاستعمار، **الحركة الوطنية والاستقلال في الجزائر**، مجلة إنسانيات، السنة العاشرة، العدد 30،جانفي-مارس2006.

123. سلمان محمد عصفور ، **الحماية الفرنسية على تونس عام1881م والموقف العثماني والأوربي منها**، في المجلة ديالي ،العدد56،كلية التربية للعلوم الانسانية، (د.م.ن)،2012.

124. قنانش محمد، **الايديولوجية الثورية للحركة الوطنية**، مجلة الأصالة، المجلد1 ،العدد، وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف ،الجزائر،2011.

125. محفوظي محمد ،**المشكلة التونسية**، مجلة المنار، العدد 13، دار البصائر، 12ديسمبر 1952.

رابعا: المذكرات

126. حميدي أبو بكر الصديق، **قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية** ،أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، الجزائر،2010.

127. حميطوش يوسف، **منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،الجزائر،2006.

128. حليفي عبد القادر، **أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983**، أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسنطينة،2007.

129. شويتام أرزقي، **المجتمع الجزائري وفعاليات في العهد العثماني:1519–1830**، دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،الجزائر 2005.

130. الشيخ مليكة ، **العلاقات السياسية الاقتصادية بين تونس وفرنسا خلال القرن الثامن عشر (18م)**، مذكرة ماجستير ،معهد العلوم الانسانية و الاجتماعية، المركز الجامعي بغرداية،2011،(غ. م).

131. طرفاوي أحمد، **عبد العزيز الثعالبي و بعض قضايا فكره من خلال مؤلفاته** ،أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،الجزائر،2012.

132. عقيب محمد السعيد، **الحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1934–1956**،أطروحة دكتوراه ،الجزائر،2010.

133. فلالي رابح ،**جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر**،،أطروحة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،الجزائر،2007.

134. قدادرة شايب، **الحزب الدستوري التونسي الجديد و حزب الشعب الجزائري: دراسة مقارنة**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية،قسنطينة،2006.

135. قريري سليمان، **تطور الاتجاه الثوري و الوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، باتنة،2010.

136. معزة عز الدين، **فرحات عباس والحبيب بورقيبة: دراسة تاريخية وفكرية مقارنة 1899–2000**،قسنطينة ،2009.

137. مومن العمري، **شعار الوحدة ومضامنه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني**، دار العلوم، قسنطينة،2010.

خامسا: المعاجم والقواميس

138. الزملي صادق ،**أعلام تونس**، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي،لبنان،1986.

139. تميم آسيا، **الشخصيات الجزائرية** ،دار المسلك، الجزائر،2008.

140. شوقي عاشور، **معلمة الجزائر: القاموس الموسوعي تاريخ، ثقافة، أحداث، أعلام ومعالم**، تر: عبد الكريم أوزغلة وآخرون، دار القصبة، الجزائر،2008.

141. الشيخ أبو عمران و آخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، منشورات دحلب ،الجزائر،2007.

142. المشاعلي محمد براهم، **الموسوعة السياسية و الاقتصادية**، دار الأحمدي للنشر، مصر ،2007.

الفهارس

1. فهرس الأعلام
2. فهرس الأماكن
3. فهرس الصحف والمجلات
4. الفهرس العام

1. فهرس الأعلام

الاسم	الصفحة
أ	
أبي هدى أفندي الصيادي	48،
أرزقي كحال	97،
أحمد باي	45،46،9،
أحمد بن يوسف	16،
أحمد توفيق المدني	62،
أحمد السقا	93،
أحمد زكي باشا	55،
آرمان قيون	112، 114،
الأمير خالد	84،85،86،87،92،94،103،105،54،62،63،64،67،75،13، 115، 118
الأمير عبد القادر	51،31،10،
إبراهيم باي	9،
ابراهيم أطفيش	70
ابن باديس	89،
ابن التهامي	95
ابن زعمون	9،
ابن علي بوخرط	88
ابن أبي الضياف	46،
الابراهيمي	89،

اسماعيل الصفايحي	90، 91، 112
ايسعاد	97
ايماش عمار	97،65
ب	
برابح بوكابوية	91ن
بروطون	105، 112،
بول كامبون	16،38،
بن كلفات	52،
بلغول	119،
بوانكارية	12،
بوعمامة	17،
بومرزاق مصطفى	9،
بانون آكلي	97،
بيرم الحامس	46،
بيرنون	112،
بيار فيانو	112،
بيجو	19،11،
ت	
توماس ويلسن	84، 86، 92، 94، 96، 100، 103
ج	
جول فيري	53،36،
جمال الدين الأفغاني	56،57،63،48،

ح	
الحاج سيدي السعدي	9،
حمدان بن عثمان خوجة	12،
الداي حسين	14،
الحاج الحراث	65،
حسن القلاتي	59، 101، 103، 106، 121،
الحداد	17
الحاج محمد بن يلس	53،
الحاج علي عبد القادر	63، 64، 67، 70، 79، 87، 96، 119
الحبيب بورقيبة	105، 113، 125
حسين لحول	118،38،
حسين بن علي	10
خ	
خير الدين باشا	56،46،45،14،
خليفة بن عمار	118،
خير الله مصطفى	18،
د	
دوما	11،
دوبرمون	8
ر	
راجف بلقاسم	97،65،
روفيقو	91،10،
ريبو	91،

رشيد رضا	60،
س	
سي أحمد	9،
سي الجيلالي	97،
سالم بوحاجب	39،46،56،
سان لوسيان	104، 114، 121،
سي الجفال	100،
سعد زغلول	92،
ش	
الشاذلي خير الله	74، 95، 119،
شكيب أرسلان	64،66،79، 112،
ص	
الصادق الزملي	101،
صالح بن يحي	89، 120،
صالح الشريف	91، 112،
ط	
الطيب بت عيسى	122،
ع	
عبد الرحمان الثعالبي	46،47،
عبد العزيز الثعالبي	18،24،49،50، 56، 57،58، 60، 61، 62، 63،69، 70، 71، 72، 84،85، 91،94، 95،96،100، 101،102، 103، 104، 105، 110، 112، 113، 115، 119، 124
عبد الرحمان الصنادلي	39،

عبد القادر الجيلاني	52،
عبد القادر ممشاوي	63،53
عبد الله كنون	76،
علي بن خليفة	16،
علي باش حانبة	59،70،18، 90، 91، 94، 101،
عمر بن قدور	37،
عمر راسم	37،
علي بوشوشة	39،
الباي علي	46،
عمر بن قفصة	75،
عمار أوزقان	88،
العقبي	89،
ف	
فاطمة ساري	52،
فرحات عباس	11، 88، 89
فرحات بن عياد	101، 103،
فيوليت	107،
ك	
الكواكبي	60،
كليمانصو	90،
كلوزيل	51،
ل	

لا فيجري	34،121،
لويس الرابع عشر	25،
لي برات	52،
ليون بلوم	107،
م	
محمد الصادق	16،15،45
الباي محمد	14،46
محمد السنوسي	17،39،46،56،
المكي بن عزوز	17،46،56،
محمد باش حانبة	90، 106، 112،
مصالي الحاج	51 ،52، 53،54، 55، 56، 57 ، 63، 69، 68، 71 ،72 ، 73، 65، 74، 75، 76، 78،89، 96، 97، 98، 100، 108، 109، 110، 111، 115، 118، 120، 122، 124 ،
الماريشال جيرار	28،
المقراني	14،
محمد البشير الصفر	39،
مسطول	99،
محمد بن عبد الرحمان	52،
الشيخ موسى	52،
مفدي زكرياء	112،
محمد قنانش	66،
محمد أمين الحسيني	71،
محمد الصالح بن جلول	88،

محمد عبده	48،17،63،57،56،
محي الدين العتابي	91،
معروف	97،
محمد السعيد	97،
محمد الرياحي	120،
محي الدين القلبي	102، 119،
محمد الحبيب	114، 124،
محمد الناصر	120، 121، 123،
محمود قبادو	46،
ميليراند	121،
مانصرون	122
محمد علي الحامي	121، 124،

2. فهرس الأماكن

الأماكن والبلدان	الصفحة
أ	
الألزاس	19،
اسطنبول	90،
ألمانيا	15،
أناضوليا	49،
انجلترا	15،
ايطاليا	15،
ب	
باردو	50، 52،
باريس	10، 30، 35، 45،65، 85، 100،
برلين	15،
بوردو	
ت	
تونس	8،
تركيا	65،
تلمسان	
ج	
الجزائر	8،9،10،11،12،13، 15،19،20،24،26،26،27،29،45،85،65،95، 110،115،120، 126،

د	
الدولة العثمانية	14، 24،
ر	
روسيا	92، 106،
س	
سيدي فرج	9،
السودان الغربي	49،
سوريا	49،
سويسرا	55،
ص	
صفاقس	45،
ط	
طولون	49،
طرابلس الغرب	49،
طنجة	76،
ع	
العراق	49،
ف	
فرنسا	30،8،9،10،11،12،13،16،17،19،21،24،26،28،29 ،40،41،42،43،44،45،46،49،58،60،32،33،36،37 ،61،66،67،69،70،74،75،79،80،82،100،103،106 .109،102،115،119،122
ق	

قابس	45،
قبرص	
القاهرة	
ل	
اللورين	16،
م	
مصر	73، 49، 92،
مقدونيا	49،
مرسيليا	49،
المغرب الأقصى	85، 105، 106،
هـ	
الهند	73،
و	
وهران	51،
ي	
اليمن	49، 61،

1. فهرس الصحف والمجلات

الصحف و المجلات	الصفحة
أ	
جريدة الأمة	67، 75، 76، 77،97، 98، 99ن 120،
الاتحاد الإسلامي	61،
الإنسانية	63،
جريدة الإقدام شمال الافريقي	71، 74، 95، 99،
جريدة الإقدام الباريسي	70، 74،
ت	
جريدة التونسي	18، 41، 70، 91،
ح	
جريدة الحاضرة	41،
ذ	
جريدة ذو الفقار	37،
ر	
الرابطة الإسلامية	71،
جريدة الرائد	46،
ز	
جريدة الزهرة	40، 41،
س	
جريدة سبيل الرشاد	48، 60، 69
ص	

صوت التونسي	122،
صوت الشعب	122،
ع	
جريدة العدل	111
العروة الوثقى	63،
العمل التونسي	122،
ف	
جريدة الفاروق	37،
الفجر	71،
ل	
جريدة لانازيون	85،
م	
المؤيد	69،
المبشر	69،
المنار	47،
الموسوعات	69،

الإهداء
الشكر والتقدير
المختصرات
مقدمة.....ص(أ-و)
الفصـــل الأول: الأوضاع العامة في البلدين (الجزائر وتونس)1830-1907.....ص(8-42)
المبحث الأول: الأوضاع السياسية.....ص(8-18)
1. الأوضاع السياسية في الجزائر.....ص(8-13)
2. الأوضاع السياسية في تونس.....ص(14-18)
المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية.....ص(19-27)
1. الأوضاع الاقتصادية في الجزائر.....ص(19-23)
2. الأوضاع الاقتصادية في تونس.....ص(23-27)
المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية والثقافية.....ص(28-40)
1. **الأوضاع الاجتماعية** .....ص(28-33)
- في الجزائر.....ص(28-30)
-في تونس.....ص(31-33)
2. **الأوضاع والثقافية**.....ص(34-41)
-في الجزائر.....ص(34-37)
-في تونس.....ص(38-41)
خلاصة الفصل.....ص(41-42)
الفصـــل الثـــاني: رواد فكرة الاستقلال في البلدين (عبد العزيز الثعالبي ومصالي الحاج)....ص(44-81)
المبحث الأول: المولد والنشأة.....ص(44-54)
1. مولد ونشأة عبد العزيز الثعالبي.....ص(44-49)
2. مولد ونشأة مصـــالي الحـــاج.....ص(50-54)
المبحث الثاني: التوجه الفكري.....ص(55-67)
1. التوجه الفكري لعبد العزيز الثعالبي.....ص(55-60)
2. التوجه الفكري لمصـــالـي الحـــاج.....ص(61-67)

المبحث الثالث: الآراء الفكرية والسياسية .....ص(68-79)
1. الآثار الفكرية والسياسية لعبد العزيز الثعالبي.....ص(68-73)
2. الآثار الفكرية والسياسية لمصـــالـي الحـــاج.....ص(73-79)
خلاصة الفصل.....ص(80-81)

الفصـــل الثـالـث: تجـسيـد فكرة الاستقلال في البلدين.....ص(83-124)
المبحث الأول: بروز فكرة الاستقلال.....ص(83-93)
1. بروز فكرة الاستقلال في الجزائر.....ص(83-88)
2. بروز فكرة الاستقلال في تونس.....ص(88-93)
المبحث الثاني: تبلور فكرة الاستقلال.....ص(94-104)
1. تبلور فكرة الاستقلال في الجزائر.....ص(94-98)
2. تبلور فكرة الاستقلال في تونس.....ص(98-104)
المبحث الثالث: تجذر فكرة الاستقلال.....ص(105-113)
1. تجذر فكرة الاستقلال في الجزائر.....ص(105-109)
2. تجذر فكرة الاستقلال في تونس.....ص(109-113)
المبحث الرابع: الموقف من فكرة الاستقلال.....ص(114-123)
1. الموقف من فكرة الاستقلال في الجزائر..... ص(114-120)
2. الموقف من فكرة الاستقلال في تونس.....ص(121-123)
خلاصة الفصل.....ص(124)
الخاتـمـــــة.....ص(126-128)
الملاحـــــق.....ص(130-137)
المصادر والمراجع.....ص(139-147)
الفهارس.....ص(149-160)
1. فهرس الأعلام.....ص(149-155)
2. فهرس الأماكن.....ص(156-158)
3. فهرس الصحف والمجلات.....ص(159-160)
4.الفهرس العام.....ص(161-162)